توبني
يارب فأتوب
القمص يوسف أسعد

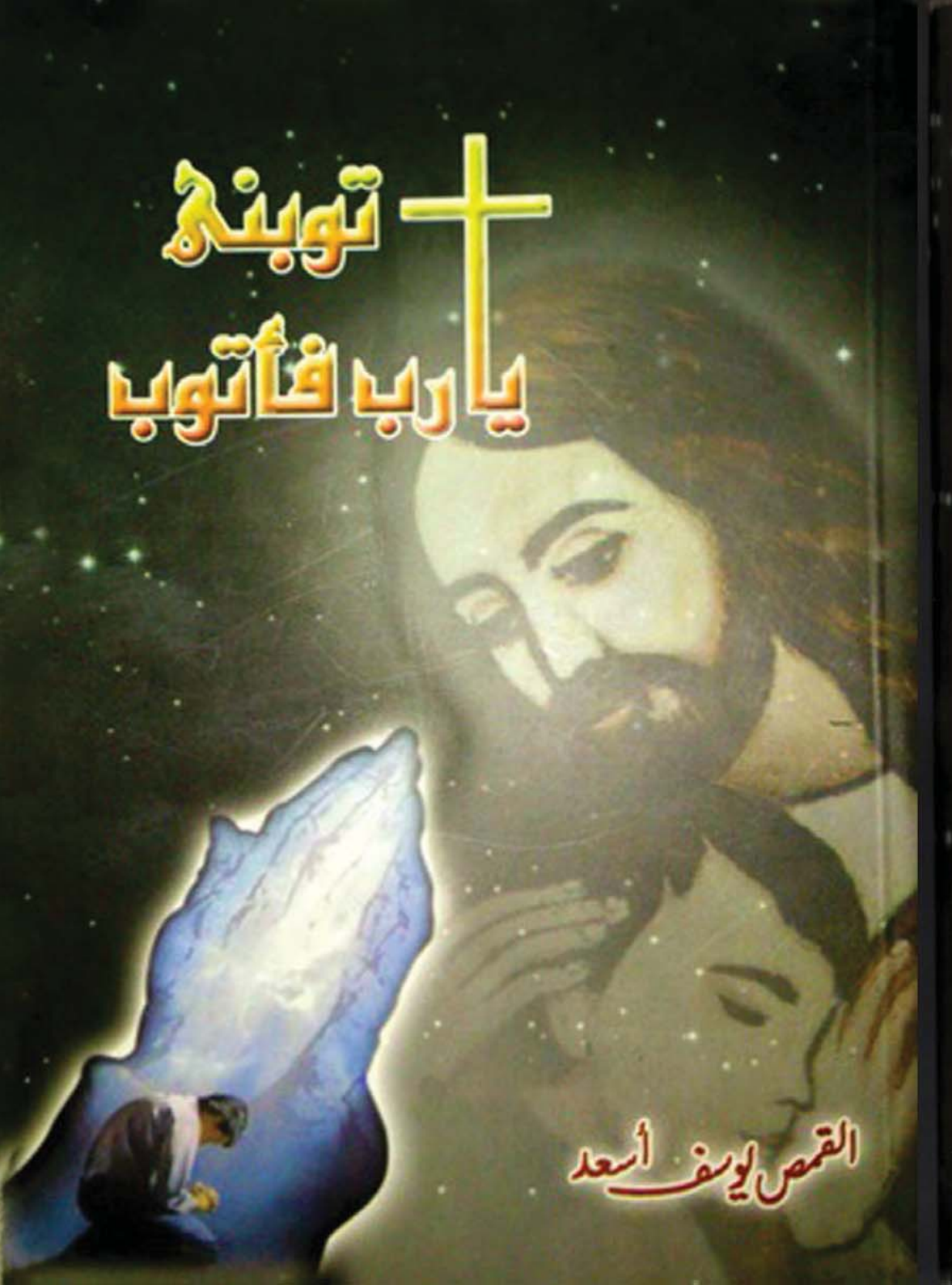

توبني يارب فأتوب

الطبعة الرابعة

القمص يوسف أسعد

الكتاب : توبنى يارب فأتوب
المؤلف : القمص يوسف أسعد
الطبعة : الأولى أغسطس ١٩٧٣
الثانية أغسطس ١٩٧٤
الثالثة أغسطس ١٩٧٨ منقحة ومزيدة.
الرابعة يناير ١٩٩٤
الخامسة سبتمبر ٢٠٠٧
إصدار : أبناء القمص يوسف أسعد
المطبعة : دار نوبار للطباعة
رقم الإيداع : ٢١١٤٢ / ٢٠٠٧

نستودع

فى يديك ياسيدنا الصالح ورئيس الكهنة الأعظم
أبانا الطوباوى المكرم قداسة البابا شنودة الثالث
وشريكه فى الخدمة الرسولية أبانا المطران الأنبا دوماديوس
مع كافة آبائنا مطارنة وأساقفة وكهنة الكرازة المرقسية

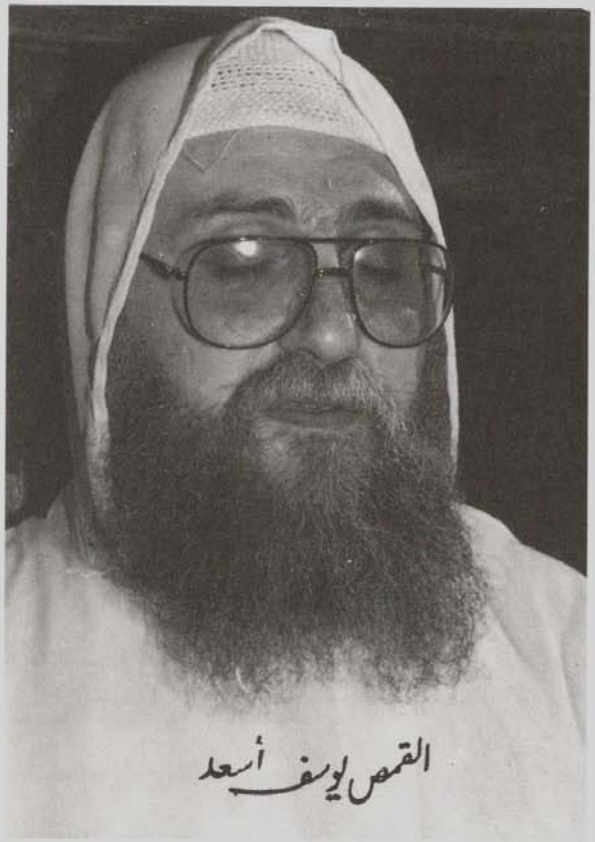

القمص يوسف أسعد

الذين يتقونك يكونون أعزة عندك في كل شئ

« يهوديت ١٦ : ١٩ »

مقدمة

ياالهى رد نفسى

تحركت فىّ الشكوى، فمن أشكو إلا نفسى؟

ولمن أشكو نفسى إلا لك ياربى؟

أشكو نفسى التى بدأت تسلك طرق العالم الواسعة الرحبة وتضيق بطريقك، وبدأت تسند الباطل بل وتتبناه، حتى غدوت ميتاً مع أنى حى لى إسم أنادى به وسط الناس.

لقد حدث إتصال بينى وبين العالم حينما فتحت باب حواسى للخطية وللهوى الردى. وكانت لحظة الإتصال بداية تيه نفسى عنك فى مسالك ردية وطرق آثمة.

● لقد فتحت للشيطان فكرى، فبذر فيه سمومه. وعوض أن يكون فكر المسيح فىّ، تحول فكرى ميداناً للأفكار الشريرة بصورها المتنوعة. ومن كثرة خيالاتها ضاق فكرى أن يحتمل.

● لقد فتحت له فمى، وعوض أن أباركك بدأت ألعن حظى، وألعن اليوم الذى ولدت فيه، وألعن الناس.

● لقد فتحت له عيناى. وكان ينبغى أن أفتحهما على بهاء مجدك لكنهما تحولتا إلى الأباطيل لتنظرا أمجاد العالم وتتحسر على مراكزه الزائلة التى فاتنى اللحاق بها، ونسيت قول الحكيم «الكل باطل وقبض الريح» (جا ١:١٤). لقد نزعت عنهما البساطة فصارتا تفحصان الأمور كمتصيد، وتفحصان الناس كرقيب.

● وسلمت للشيطان يداى، اللتان كانا ينبغى أن تظهر فيهما آثار صلب العالم لى وأنا للعالم فصارتا تقطران غضباً، وترتفعان مدافعة عن حق أدعيه بينما كان علىّ أن أرفعهما فى صمت وقور أمامك فى الصلاة المنسحقة.. وأنت الحق ذاته تستطيع أن تحفظ حقى وتدافع عنه.

● وفتحت له أذناى، فمن سمع صوتك الحلو العذب وألحان تسابيحك الشجية صرت أجد لذة فى أنغام غير طاهرة. بل طاع سمعى لإفتراءات أبعدت ضميرى عن الحق وسلوكى عن الفضيلة بينما سددتهما عن صراخ المساكين.

وبالإجمال، فتحت للشيطان باب إرادتى.. حتى فى الأوقات الكثيرة التى أجد فى قلبى ميلاً نحوك ونحو مصادقة قديسيك، تحولت إرادتى للشر

دوماً إذ وجدت نفسى تصنعه بينما إرادتى المسلوبة تطلب الخير فلا تجد.

نعم يارب، لقد حدث إتصال بينى وبين العالم.

وكان يمكن أن ينتهى الأمر إلى مجرد إتصال، لو أن إرادتى فى يدى.

لكن الذى حدث ياربى أن الإتصال بينى وبين العالم تحول إلى إنفعال به. إذ صرت دائم الإنفعال بكل ما يلقيه أمامى من شباك مهلكة، بل صرت آخذ عطاياه الشريرة كهدية أنفعل بكل ما فيها من فجور ودنس ورياء وضجيج. وفى مثل هذا التردى هل يمكن لنفسى أن تنجو من الإضطراب وفقدان السلام الباطنى المصاحبان دوماً للإنفعالات الشريرة؟!

إن وداعة موسى وحلمه وهدوءه لم تشفع فيه لمرة واحدة سقط فيها فى إنفعال غير مقدس فحرمته لقاءك بأرض الموعد.

لقد رنت كلمات الآباء القديسين فى أذنى «لا تستصحب غضوباً» حينما وجدتك تفر عنى وتأبى السير أمامى..

لقد دفعت ثمن هذا الإنفعال غالياً، إذ حُرمت من مصادقتك الحلوة لى ومآنستك الجليلة المشجعة لضعفى.

ولم تكن أنت وحدك الذى فررت عنى، إذ كان طبيعى أن يفر إخوتى عنى بعد أن أكلوا ما فى كرمتى من ثمار ناضجة حتى فرغ ما بها من عناقيد.

آه ياربى!

لقد كان فرارك منى، وإنفضاض أخوتى عنى وقود إنفعالى بشدة حتى

أصبح الإنفعال صراع. صراع بدت نفسى معه تتمزق، وقلبى الواحد يئن تحت وطأة إنقساماته..

لقد تحولت الإرادة فىّ إلى إرادات، والمشيئة عندى إلى مشيئات. وكأننى قطع ممزقة لا تستطيع فى هذا الصراع إلا أن تناجيك بصوت خافت «وحّد قلبى فىّ يا الله!»

فإن كان الإنسان الموحد الإرادة يجد من قوات الشر الروحية ما يضنى جهاده، فكم يكون حالى أنا الممزق أمامهم. لقد **إنتهى الصراع معى إلى حد الهزيمة!**

لقد إنهزمت أمام أعدائى الشياطين، وصرت مكسوراً بين أيدى من لا يعرفون الرحمة.

إننى أشتهى دوماً أن أكون مكسوراً بين يدك أنت وحدك، لأن يدك التى تكسر هى ذاتـها تجبر. فالخمس خبزات التى أردت أن تطعم بها ألوف، لم تقدمها للجميع خبزاً صحيحاً ـ وكان فى إستطاعتك وسلطانك ذلك ـ بل قدمته لهم مكسوراً بين يديك فأشبعت به الألوف حتى الفيض أيضاً.

أما أن أصير مكسوراً بين أعدائى ومنهزماً أمامهم فهو ما لم تطيق نفسى إحتماله!

وبماذا ينفع إحتمالى الآن؟، إذ لم أقوى الوقوف بين أيديهم لحيظة، فسقطت ياربى. وكان سقوط الضعف بإرادتى «فتركت عنى ناموسك برأى، وتكاسلت عن وصاياك».

لقد كان معنى السقوط هو الإستسلام لأعدائى، الذين أذلونى جداً حينما صرت بينهم عبداً للخطية. أُذللت جداً، لأن نفسى كانت تشتهى خطية معينة وتسعى وراءها بكل الحواس بينما الشيطان يحرمنى منها، فيعذبنى جداً إمعاناً فى إذلالى.

آه ياربى!

كان مفروضاً علىّ أن أقود النفوس كمنار، لكنى صرت منقاداً كأسير وعبد ذليل يصرخ من شدة ذله ويناجيك فى لحظة إنكسار شديد:

يا إلهى رد نفسى

ما تبقى فى من تطلع نحوك ـ كمنقذ ومخلص للساقطين، ومعين مقتدر للتائبين ـ يجعلنى أردد قول يونان النبى: «حين أعيت فىّ نفسى، ذكرت الرب فجاءت إليك صلاتى» (يون ٢ :٧).

أذكرك الآن ياربى، فلا تنسانى.

أذكرك برجاء وأثق أنك لا تخزيه.. فإن كان صوت يونـان من جوف الهاوية وعمق اللجج قد سمع أمامك فتبارك رجاؤه فيك، فكم بالأولى أنا عبدك المسكين أسير خطاياى وذليل آثامى؟!..

أذكرك الآن مع اللص فى الساعة الحادية عشرة، فخلصته بل وفتحت فردوسك أمامه.

أذكرك الآن مع الزانيـــة التى غفـرت لها ونضحـت من طهرك عليها وقدستها.

أذكرك الآن مع العشار الذى قرع باب تعطفك يطلب رحمة ففتحت ذاتك المحبة «كباب للخراف» على مصراعيه.

أذكرك الآن كضال يترجاك ياراعى الخراف الناطقة... أسألك رد نفسى، ومن يستطيع أن يردها إلا أنت ياراعى؟!

فأنت الذى تستطيع أن تصنع من حاضر تيهى وضلالى مستقبل حبى الأمين لك، وحسبما أذللت يارب بحق اجعلنى فى حبك نامياً حتى الأبدية..

وقل لنفسى ياإلهى، وهى الآن حطام ماثلة أمامك تريد أن تردها إليك: أريد، وستعودين بقوة أعـظم.

عبدك

يوسف أسعد

سمات للإنسان التائب

+ **التائب ينفر من الخطية**
+ **التائب لا يخجل من الإقرار بالخطية**
+ **التائب يستعمل أسلحة النصرة ضد الخطية**

مراحل للخطيّة يفطن إليها التائب

التائب الذى خبر الخطية، وتمرس فى فهم حيل الشيطان يعرف جيداً أن الخطية تبدأ دائماً بعرض نفسها أمام الإنسان، ومعها جملة من الإغراءات الساحرة لتزداد فتنة فى عينيه. ثم يتدخل الشيطان ليشجع الميل الطبيعى الموجود فى الإنسان نحو الخطية.

وحينما يرفض الإنسان مرة، تعيد الخطية عرض نفسها بأسلوب آخر وبمفاتن أشد إغراء. ويـعاود الشيطان تشجيعه لميل الإنسان نحو الجديد فى العرض.

وعندما يقل إلتصاق الإنسان بالله وتضعف مقاومته، يزداد ميله تلقائياً للخطية، فيقترب منها ولو على مضض.

وعند هذه المرحله تساعد الخطية الإنسان على تجرعها بتقديم اللذة عقب الميل نحوها، لتجعل من الطعم المعسول تهيئة لسقوطه التام ووقوعه تحت سطوتها.

والإنسان الساقط الذى فقد إرادته بتذوقه الحلاوة الأولى للسقوط ينخدع أكثر فيزداد ميله للإثم، حتى تتحول لذة مذاقها إلى عادة يعتادها الإنسان إعتياد الضرورة غير المستغنى عنها.

وعند هذا الحد يكون الإنسان باعتياده الخطية قد سجد للشيطان وصار عبد للخطية.

فماذا تفعل فيه الخطية بعد أن صار ملكاً لها؟!.. هل تهتم بعبيدها وتقدم لهم «العلوفة» فى حينها؟! كلا ـ بل أن عبدها حينما يشتهى تذله إذلالاً عجيباً من لذاتها.

وهنا تكون قمة المأساة فى حياة الساقط، إذ يتحول إلى عبد يشتهى فلا يجد ما ظنه حلو المذاق.

يشتهى السيجارة، وعندما لا يملك ثمنها يحرم البيت والأولاد القوت الضرورى ليشبع عبادته للخطية.

يشتهى الزنا، ويلهث وراءه فلا يجد فرصة لإتمامه. وحتى حينما يجد فرصة لا يعطى ما يطلب، فتزداد مرارته وإحساسه بخيبة أمله.

يشتهى، ويشتهى، ويشتهى.. وحينما لا يأخذ، ولا يجد معاونة على الأخذ يطلب الموت لنفسه. ويكتب بنفسه آخر فصل من علاقته الآثمة بالخطية.

ولذا فالتائب يعرف أن العرض الأول لخطية يحمل فى نهايته ذلة حقيقية تأباها نفس الإنسان الحرة التى تحررت بدم الإبن الكلمة. ولذا تجد التائب يحمل فى حياته سمة واضحة تدل على فهمه لمرارة الخطية، هى: نفوره من الخطية.

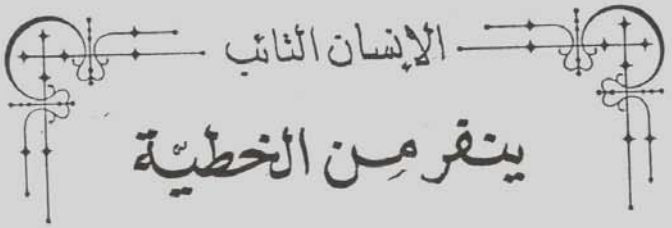

الإنسان التائب

ينفر من الخطية

التائب إنسان ينفر من الخطية فى اللحظة الأولى التى تعرض ذاتها عليه ويقاوم كل بريق ظاهر وميل باطنى نحوها، فى حزم شديد مع نفسه تؤازره فيه نعمة الله المخلصة.

إنه لا يدع مجالاً للمناقشة مع الخطية، ولا يسنح بفرصة يعترف فيها بحق الخطية فى التخاطب مع ضميره أو سلوكه.

إن التائب ينفر للوهلة الأولى، نفوراً صادقاً وسريعاً. تماماً كصدق النفور الذى يبديه الكلب والقط عند تقابلهما على إنفراد. فالتائب الذى إقترب من الرب يسوع يشعر بدون إفتعال أو محاكاة بنفور شديد من الخطية فى كافة أشكالها. بل وحتى أشباه الخطية يتحاشاها إمعاناً فى صدق إلتصاقه بالرب يسوع.

لقد تجلى هذا النفور فى لقاء العفة والزنا خلال شخصيتى يوسف العفيف وزوجة فوطيفار. فبالرغم من سلطان تلك المرأة وقدرتها على إيذاء ذلك الشاب العبد إلا أن نفور يوسف من الزنا جعله لا يعبأ بما

تحمله من سلطات قادرة أن تحرمه حتى من لقمة العيش وهو فى أرض غريبة ليس له فيها صديق يأويه أو قريب يحميه.. ولد هذا النفور فى يوسف قوة عجيبة للهروب من الزنا.

وأعظم مشهد للنفور من الخطية نراه فى القديس يوحنا القصير الذى كان يمتطى ظهر جمل فى الصحراء، وبينما الجمل يسير إشتدت الحرارة وقل صبره، فغضب وهاج. فما كان من هذا القديس إلا أن تركه فى الصحراء وسار على قدميه. وحينما سؤل: «أين الجمل الذى كان معك؟». قال: لقد كان الحكيم يقول لى: «لاتستصحب غضوباً» (أم ٢٢: ٢٤).

والنفور من الخطية ليس نقطة مرحلية فى حياة التائب تنتهى بإنتهاء زمانها، لكنها حالة تبدأ من تسليم الحياة للرب وغسل القلب بالدموع تحت أقدام الصليب، تستمر حتى خروج النفس من الجسد. فيظل التائب طيلة غربته ينفر من كل ما يحرمه الإلتصاق بالرب وكلما إزداد التائب عمراً فى غربته كلما إزداد هذا النفور عمقاً وإثماراً.

ولكن ماهى مظاهر نفور التائب من الخطية؟

إن النفور من الخطية عملة لها وجهين:

الأول: الحساسية من الخطية

والثانى: كراهية الخطية

وسنعرض لكليهما تفصيلاً فيما يلى:

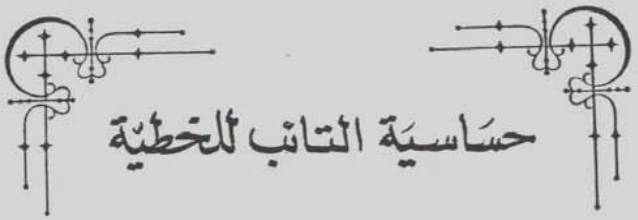

حساسية التائب للخطية

إن بمعرفته السابقة لها، يدركها من على بعد وقبل إقترابها منه:

مثل إنسان حساس للبرد، يدخل حجرته فيغلق أبوابها بعناية، وإن حل فى مكان يطلب شدة إحكامه، وإن تغطى يطلب الثياب الثقيلة.. وحينما نسأله لماذا تصنع ذلك يقول: أنا إنسان حساس للبرد!

ومثل إنسان لا يأكل نوع معين من الطعام أو الفاكهة ـ كالمانجو مثلاً، إذ مع أنها متاحة للجميع ولا تحمل شراً بطبيعتها بل هى «أطعمة خلقها الله لتتناول بالشكر» (١ تى ٤ :٣)، عندما نقدم لمثل ذلك الإنسان المانجو يعتذر ويقول: أنا عندى حساسية للمانجو لا أستطيع تناولها!

هكذا التائب إنسان حساس للخطية حساسية شديدة تجعله يمتنع أحياناً عن أمور متاحة ولا تعتبر فى حد ذاتها خطية، وذلك لمعرفته نفسه أنه مريض وحساس لها.

فالتائب الذى ينفر من مشاهدة التليفزيون، أو إرتياد السينما، أو مصادقة بعض الأشخاص، أو تصفح جريدة أو مجلة أو كتاب ما.. حينما ينفر من ذلك لا يتهم هذه الوسائل النافعة كلها بالشر، أو يلقى اللوم عليها فى تحليل أخطائه، أو يضفى عليها روح الخطية. ولكنه فى معرفته الدقيقة لنفسه وإحساسه بسهولة سقوطه فى خطايا معينة بسببها ـ ينفر منها جميعاً فى

تقديس لكيانه الداخلى وفى شعور بضعفه وحساسيته لها.

ومن مفهوم الحساسية للخطية يتخلى التائب عن كل صداقة أو قرابة تعطله عن الملكوت، وتحرمه من مباشرة التوبة..

فالتائب الذى خلال نموه فى التداريب الروحية ـ اللازمة لإستمرار فعل التوبة فى حياته ـ يتحاشى بعض الأندية أو الزيارات أو الأشخاص، لا ينبغى أن يفهم ذلك على أساس أنه يحتقرها بل من منطلق فهمه لمواطن ضعفه وحذره من كل ما يؤدى إلى السقوط خيراً كان أم شراً...

لعل لذلك قال الرب «إن كان أحد يأتى إلىّ ولايبغض أباه وأمه وإمرأته وأولاده وإخوته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً» (لو ١٤ :٢٦). أى أن إقتراب التائب من يسوع يقتضى التحلل حتى من الأوضاع الطبيعية للكيان البشرى إن أعاقته أو منعته من الإقتراب للملكوت.

فيسوع المحب الذى علمنا أن نبذل ذواتنا من أجل غيرنا يعلمنا أن نكون حساسين لأى وضع أو مبدأ يحرمنا من إستمرار سلوكنا التائب.

ياعزيزى: كن حريصاً أن تهرب من الخطية قبل إقترابها نحوك ولا يكن عندك غال مهما كان إرتباطك به إن أعاقك ذلك الغال عن الطريق الذى بدأته بدموع توبتك. وإن إقتضى ذلك كل التضحية من جانبك، فلا تصغر نفسك فى عينيك لأن ذلك يؤول فى النهاية إلى ملء التعزية كثمر تقطفه من جهاد زارع بالدموع.

قلنا أن النفور من الخطية له عدة مظاهر، أسردنا منها حساسية التائب للخطية. ونورد منها أيضاً:

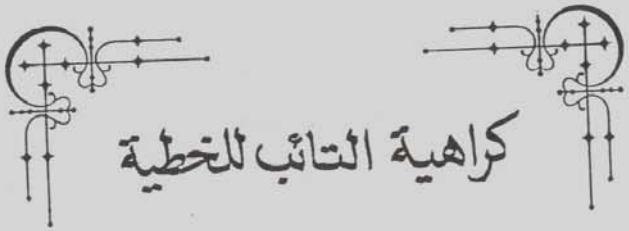

كراهية التائب للخطية

هذا أمر إنجيلى يعلن فى بوق رسولى: «كونوا كارهين للشـــر» (رو ١٢: ٩).

فالتائب إنسان ينمى فى قلبه وجهاده وبيته كل ما يؤكد كراهيته للخطية أو شبه الخطية.

فكيف يقول إنسان إنى كرهت الزنا وبيته ومكتبه ملآنين بالصور الخليعة والكتب الماجنة؟!.. وكيف يقول إنسان إنى كرهت الغضب ولسانه مملوء بالثرثرة والإغتياب والحديث فيما لا يليق؟!

كيف يقول إنسان إنى كرهت السرقة، ومازال يتردد على المكان الذى خطط فيه وحده أو بمشاركة غيره طريقة إغتصاب مال أو ثروة أو شرف؟!

إن التائب إنسان يكره الخطيـــة كراهية شديدة، بل ويكره حتى المكان الذى أخطأ فيه إلى الله لأنه يشد ذكرياته وعقله إلى ماضيه الردىء.

والآباء التائبين يعلمونا أن لا نرجع إلى موضع أخطأنا فيه لله، لئلا

يذكرنا ترددنا عليه بماضينا ويقودنا الشيطان إلى حنين إثمنا الماضى.. بل يطالبون التائب أن يكره حتى المكان كأنه جهنم يلتظى بنار إثمه.

+ **والله المحب الذى علمنا أن نحب الناس هو الذى يطالبنا بكراهية الخطية لا الخطاة.**

فالإنسان الكاره للخطية يعطف على الخطاة، لا ليزيدهم إنغماساً فى الخطية بل ليدفع بهم بعيداً عن ساحاتها.

إنه يعرف أن الخطاة هم ضحايا لمن يكره، فيتعاطف معهم ويقوى رجاءهم فى إمكانية النصرة على الخطية. لأن الخطاة أخوة لنا ضعفوا فسقطوا، أما الخطية فهى السلاح الذى لا يزال يشهره الشيطان فى وجه كل تائب.

+ **كذلك فالإنسان الـكاره للخطية يحارب ويوبخ الخطية علانية وخفية بكل ما يمتلك من مواهب ونعم.** ولا يمكنه أن يهادن مبدأ يقود إلى السقوط أو ينطوى على فعل السقوط. إنه يصنع مثلما صنع يوحنا المعمدان الذى وبخ خطية إغتصاب أمام الملك إذ قال له بحزم «لا يحل أن تكون لك إمرأة أخيك» (مر ٦: ١٨، مت ١٤: ٤).

+ **والإنسان الكاره للخطية لا يشترك فى أى عمل من أعمال الظلمة، مهما كانت دوافعه أو مبرراته.** إذ كيف له أن يشارك فيما قد تربى هو على كراهيته؟!!

فمثلاً كيف يشترك إنسان تائب كاره للزنا فى شراء خمور أو

يعاون على شرائها.. أو كيف يشترك فى تأجير شقة من ممتلكاته، أو يساعد على تأجيرها، لأشخاص معروف عن أعمالهم أنها مظلمة؟!!

إن التائب إنسان يدقق فى كل أعماله حتى لا يشترك ولو بسلامة نية فى عمل شرير من أعمال الظلمة.

+ **والإنسان الكاره للخطية إنسان تجده دائماً ملتصقاً بالخير** أينما وجد، ومع أى من صناعة الأرض..

فحالة كراهية الخطية تستلزم عند التائب إلتصاقاً بالخير وصنع الخير مع الجميع وبدون أى هدف ذاتى أو نفع شخصى.

إن التائب يجول يصنع خيراً، بعمله أو ماله أو كلامه أو كتاباته، لأنه يرى فى كل مجال للخير على الأرض مجاله الصحيح للتعبير عن كراهيته للخطية وإشتياقه للقداسة ومعاينة الله. ثم أنه يرى فى كل موقع للخير إنتصاراً على الشر ينبغى أن يسهم فيه على قدر طاقته وقامته.

إن التائب الذى يشعر بضعفه، ويهرب بحساسية بالغة من الخطية، كارهاً كل ما يتصل بالخطية مباشراً وغير مباشراً يجد أن قوته الحقيقية هى أن يقف بجوار الخير والحق على الأرض.. لأنه مهما كان التعب من وراء ذلك، فالقوة للخير والحق وكلاهما لا يموت!

+ **والإنسان التائب الكاره للخطية تجده لا يحسد الأشرار لغناهم أو يغير منهم فى نفوذهم أو سلطانهم**... إنه مع كل الضيق والألم الذى يظهر فى إحتماله لمشقة الجهاد ضد الخطية، يظل يحسب أن كل ما يحيط بالشر والأشرار مثل عشب الحقل يظهر ويذبل سريعاً..

ليس للشر أقدام، فكيف تثبت ثروة الشر والأشرار لتكون محل غيرة التائب أو حسده.

✠ ✠ ✠

بقى كلمة أخيرة أهمس بها فى أذنك يا أخى التائب:

إن الدول والمؤسسات حينما تتعادى مع غيرها **تربى الأجيال (خاصة الأجيال الصاعدة الأكثر إستعداداً للتشرب) على كراهية العدو، ورجال القتال فى توجيههم المعنوى يربون** على كراهية العدو.

فاشترك ياعزيزى التائب فى تربية الجيل الحديث **الإيمان على كراهية الخطية بكل ما تملك من جهد ومال**. اشترك فى تربية ولو نفس واحدة على كراهية الخطية، فإنك تكسب بذلك صديقاً ورفيقاً فى جهادك فتزداد إتساع جبهة القتال ضد الخطية.

ابذر كراهية صادقة للمبادىء المسمومة وللإنحرافات الإيمانية والأدبية لكل جيل. **واحرص أن تكون حكيماً فى بذر هذه الكراهية للخطية، لئلا يكرهك الجيل دون الخطية.**

فأسلوبك فى تربية جيل كاره للخطية لا يقوم إلا على حب الجيل وحكمة التوجيه فى الوقت المناسب.

قلنا أن التائب ينفر من الخطية من أول عرض لها، ويهرب قبل أن تدركه. ولكن إن ضعف التائب لأمر ما وسقط فى الخطية، عليه ألا يكتم النار فى حضنه لئلا يحترق. لذا فللتائب الساقط سمة ثانية هى:

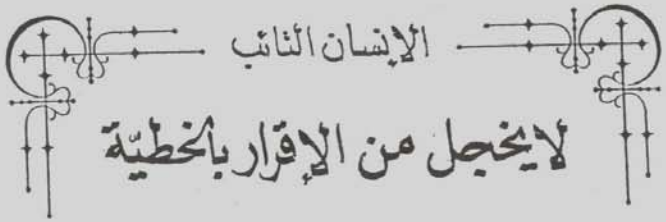

الإقرار بالخطية علامة صدق التائب:

فالذى يسقط وهو كاره لما سقط فيه يشبه المريض الذى وقع فى مرض لا يشتهيه أحد لذاته. ولذلك فهو يعرف أن صدق رغبته فى الشفاء تظهر فى إعلان مواضع ضعفه وشكواه أمام طبيب مداوى يشخص الداء ويعرف الدواء وهو فى ذلك لا يخجل من كشف حتى الأعضاء المستورة فيه أمام الطبيب، بل وبكل ثقة وأمانة فى حق الطبيب أن يعرف كل تفاصيل المريض ووضعه.

لذا كان الله حريصاً أن يعلن فى العهد القديم عن ضرورة الإقرار بالخطية.

يقول الكتاب المقدس: «وكلم الرب موسى قائلاً: قل لبنى إسرائيل إذا عمل رجل أو إمرأة شيئاً من جميع خطايا الإنسان وخان خيانة بالرب فقد أذنبت تلك النفس، **فلتقر بخطيتها التى عملت...**» (عد ٥، ٦، ٧). وفى موضع ثان يقول: «إذا أخطأ أحد.. فإن كان يذنب فى شىء من هذه يقر بما قد أخطأ به» (لا ٥ : ١، ٥، راجع أيضاً: لا ٦ : ٢١، ٣٩-٤٥، ١٦ :٢١، ٢٦ :٤٠، ٤١، تث ٢٦ :٣، ٤، ١ مل ٨ :٣٨، مز ٣٢ :٥، أش٣٨ : ١٧، ٥٩ : ١٢ ، ٦٤ : ٦ ، أر ١٤ :٢٠ ، دا ٩ : ٤، ٢٠، عزرا ١٠ : ١١، ١٢).

وفى كنيسة العهد الجديد «كان كثيرون من الذين آمنوا **يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم**» (أع ١٩ : ١٨). (راجع أيضاً مر ١ :٤٠-٤٤، مت ١٨ : ١٨، يو ٢٠ :٢٣، يع ٥ :١٦، ١ يو ١ :٩)

الإقرار بالخطية لا ينفع وحده دون الإقلاع عنها:

ولكن ليس مجرد أن يقر الإنسان التائب بسقوطه يجعله صادقاً فى التوبة فالذى يؤكد ثباته فى التوبة هو تجرده عن الخطية ومسبباتها.. لذلك يقول سليمان النبى «من يكتم خطاياه لا ينجح، ومن يقر بها **ويتركها** يرحم» (أم ٢٨ :١٣).

فالترك هنا علامة على ثبات التائب فى جحد مشيئة الشيطان، ورغبته أن ينمو فى فعل التوبة.

إن المؤمنون الكثيرون الذين آمنوا بالرب يسوع على يد مار بولس فى أفسس والذين كانوا يستعملون السحر قبل إيمانهم، حينما أقروا بخطاياهم تبعوا ذلك بجمع كتب السحر وحرقها أمام الجميع بالرغم من

أن أثمانها التى كانت تبلغ «خمسين ألفا من الفضة» وكان يمكن أن تباع ويستخدم مالها فى الكنيسة. لكنهم كانوا صادقين للحد الذى جعلهم يحرقون الكتب لئلا كما أسقطتهم تسقط غيرهم.

لقد تركوا الخطية بصدق، وحفظوا الآخرين من الوقوع فيها.

ياعزيزى..

لا يكفيك أن تعلن خطاياك، وتقر بها.. فالكلام النادم قد يقوى الإنسان على تمثيله. ولكن الإرادة النادمة على السقوط هى ذاتها الإرادة التى تقلع عن سبب السقوط مهما كلفها ذلك.

حينما تصنع توبة وتقر بخطاياك، ابدأ أولاً وأعلن صدق توبتك بتصحيح طرقك وإقلاعك عن أفعالك الماضية.

ماذا ينفع ياعزيزى أن تقر بزناك، وبيتك وحجرتك مزدانة بصورة خليعة،ومكتبتك ملآنة بكتب النجاسة الرخيصة، وصداقاتك لا تزال صداقات الشارع والناصية؟!! إن أردت أن تكون صادقاً فى التوبة عن الزنا ـ بأشكاله المتعددة ـ فأقلع أولاً عن كل ما شابه ذلك.

وماذا ينفع أن تقدم الدموع وأنت بفتورك فى الصلاة وعدم أمانتك فى الجهاد، ومازلت غير منظم لأوقاتك، أو تحب جلسات الناس أكثر من غلق بابك والحديث مع الله، تدعى بأنك غير هاو للقراءات الروحية أو الصداقات الروحية التى تشجعك وتسندك؟! إن أردت يقظة الصلاة وتعزيتها أقلع عن هذا كله، تكون قد بدأت فعلاً طريق التوبة..

ياعزيزى ... لا تقول ماذا أفعل؟

فالفعل واضح أمامك، وهو ضد السقوط الذى أعثرك؟

إبدأ سريعاً، وغير الإتجاه بقوة... فتوبتك تظل بلا ثمر فيك إن لم تقلع عن مسببات الخطية وفعلها.

وهذا عمل إرادى للإنسان، لا دخل للنعمة فيه.. فإن لم يصنعه الإنسان كيف تلقى اللوم على النعمة؟.. إن النعمة لا شك تسندك حينما تبدأ تغير مسارك وتقلع عن خطاياك، فهى تظل منتظرة أن تعمل عملها فى مساندتك إلى أن تبدأ أنت.

فأقلع أولاً، والنعمة تؤازرك ثانياً.

الإقرار بالخطية فضح لعمل الشيطان:

فالذى يسقط التائب ويعثره «واحد هو الذى من البدء قتال».. الشيطان الذى قال عنه الرب يسوع لليهود: «أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذلك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب» (يو ٨:٤٤). فلا توجد خطية على الأرض لا يكون وراءها الشيطان.

لذلك فالإقرار بالخطية هو فضح علنى لفعل الشيطان. الشيطان الذى نحن فى حالة حرب دائمة معه من اليوم الذى جحدناه فيه فى المعمودية معترفين بالمسيح يسوع إلهنا. إنه يحاربنا لا لأننا شىء يستحق المحاربة إنما يحارب المسيح الذى يسكن هيكل جسدنا وحينما نقر بضعفنا وخطايانا فإننا نعلن سخطنا وعدم رضانا على ما سقطنا فيه. هذا الفضح يتبعه ثمرتان...

الأولى: نقاوة قلب التائب. لقد وقف القديس موسى الأسود يقر بخطاياه علناً فى الكنيسة أمام الأنبا إيسيذورس قس الإسقيط. وكان أبو مقاره الكبير - أثناء إعترافه - يرى لوحاً عليه كتابة سوداء، وكلما إعترف موسى بخطية قديمة يمسحها ملاك واقف بجواره. إلى أن إنتهى أبا موسى من إعترافه فنظر اللوح ناصع البياض!

والثانيـة: حذر الشيطان من التائب الذى يفضحه. فالمعروف أن الإنسان لا يأمن غيره مرة أخرى على شىء من أموره إذا فضحه فى سر سبق فكشفه لغيره. فكم يكون الحال مع الشيطان وهو يرى التائب يفضح فعله فى إقراره بالخطية!

لقد سلط الشيطان قتاله على موسى الأسود بالزنا فى ليلة واحدة حوالى سبع مرات. وكان يهزم موسى رغم إرادته وكراهيته للخطية. ولكن أبا موسى كان بعد كل سقطة يخرج من قلايته يبحث عن أبيه فيقر بخطاياه حتى سابع مرة.. وفى تلك الأخيرة ظهر له الشيطان وقال له: لقد فضحتنى ياموسى فلن أعود إليك! ولم يعد مرة أخرى إلى موسى يقاتله بهذه الخطية.

ياعزيزى... إن كنت تائباً، فلماذا تجعل من ذاتك مخزناً يخزن داخله فعل الشيطان الردىء والشيطان مطمئن أن أمره لا يفضح. إن إقرارك بخطاياك يخزى الشيطان ويفضح عمله فلا يعود يلقى بإثمه فيك مرة أخرى.

لاحظ هنا أن الفضح للشيطان:

فليس إقرارك بالخطية فضيحة لك، بل للشيطان الذى صرعك. أما أنت فأنت مجنى عليك.

فالذى يذهب أمام ضابط البوليس، والدم يلطخ ثيابه الممزقه، لا يخجل من نفسه بقدر ما يقصد إخجال المعتدى بشكواه أمام الضابط.. إنه لا يفكر فى ذاته أن الضابط يحتقره أو يرذله، بقدر ما يضع الضابط بكل سلطاته فى موضع الإنسان الحافظ حقه من الضياع والحامل سلطان التأديب ضد المعتدى.

والتائب حينما يقر بخطاياه لا يفكر فى الخجل مطلقاً، لأن الأمر أساساً موجه للشيطان، والفضيحة لفعله معه لازمة وضرورية لإبطال قوته فى الحرب معه.

إنه يذهب يحتمى فى الله الذى قال: «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر١٤: ١٤)، ولايهمه ماذا يقول الله عنه كساقط.. ونحن نشكر الله أنه يرى فينا كخطاة مرضى نحتاج لطفه وأدوية نجاته.

التائب لا يخجل، لكنه يستحى:

إن الإقرار بالخطية عرى للنفس، إذ يعرى التائب نفسه ليعلن ما بها من ضعف.

وإن كان العرى الجسدى يجعل الحياء يجرى فى دم الإنسان، لكنه لا يخجل منه أمام الطبيب كممثل للشفاء. كذلك التائب فى عرى النفس إن كان الحياء يجعله يطرق بنظره إلى أسفل، وقلبه خاشع وقور.. لكنه لا يخجل من فضح الشيطان بكل جرأة وإقدام.

والحياء هنا ضرورى أيضاً، لئلا يتجرد الإنسان من إنسانيته.. فالإنسان التائب حقاً لابد له أن يستحى من الله وهو يقر بخطاياه دون أن يخجل منه

كأب وطبيب وراعى. ويظهر حياءه فى الإقرار بالخطية بنسيان الدالة التى تربطه بالله وأبيه، والإطراق بوجهه إلى التراب تذكاراً دائماً لنهايته، والسجود بين يدى الله وأبيه كسجود المرأة الخاطئة التى تسكب الدموع على قدميه وتمسحهما بتاج مجدها أى شعر رأسها.

لمن يقر التائب بخطاياه

أولاً : لله، لأن الخطية إهانة مباشرة لحبه

فالله عدو للخطية، لا يطيقها لأنها لا تتفق مع قداسته وبره وحبه المعلن للإنسان.

والذى يخطىء خطية ما يهين الله ويسىء إلى أبوته وحنانه بالدرجة الأولى.

لنأخذ مثلاً واحداً لأقل الخطايا إهتماماً عندنا، وهى خطية جرح الشعور. حينما يجرح إنسان مشاعر آخر فإنه يخطىء إلى المسيح بل ويجرحه. هذا تعبير الإنجيل نفسه «وهكذا إذ **تخطئون إلى الأخوة** وتجرحون ضميرهم الضعيف **تخطئون إلى المسيح**» (١ كو ٨:١٢). فالله هو خالق كل أحد، وهو منظور فى كل إنسان قبله بالروح القدس. وجرح شعور أحدهم فى هذه الحالة هو جرح للمسيح ذاته!

إن الله ينسب كل شيء نصنعه بالناس أو بأنفسنا إلى شخصه تعالى كخالق لنا جميعاً وكأب لنا جميعاً. إنه يقول فى يوم الدينونة «الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه (البر) **بأحد** هؤلاء الأصاغر فبى لم تفعلوا» (مت ٢٥:٤٥).

ولذلك فى كل خطأ نخطىء فيه مع أنفسنا أو مع الناس، ينبغى أن نذكر أن الخطأ أساساً موجه لله.

والتائب الذى يعلن حربه على الخطية يبدأ بالإقرار بخطاياه أمام الله كمسئول أوحد عن الخليقة بأسرها. يقف بين يديه يعتذر عن كل ما أصاب الناس أو نفسه من جراء خطاياه.

لذلك يقول داود النبى: «ابتدئوا للرب بالإعتراف» (مز١٤٦: ٧ حسب النص القبطى). مرة ثانية يقول «ادخلوا أبوابه بالإعتراف» (مز ٩٩: ٣ قبطى).

وحينما يقف التائب بين يدى الله يقول: «أعترف لك بخطيتى ولا أكتم إثمى قلت أعترف للرب بذنبى وأنت رفعت آثام خطيتى» (مز ٣٢: ٥).

ياعزيزى التائب.. **أدخل مخدعك، والتقى بالله أب الخليقة كلها.. وإعترف له بكل ما أذنبت، ومع من أذنبت.**

قدم له إرادة المعتذر النادم الكاره لفعله الردى، فى وقفة خاشعة بجسد خاشع يعبر عن القلب الخاشع التائب.

اذكر أنك واقف أمام عرش الله، فانتبه لنفسك بالوقار ولقلبك بالتنهد حتى تستنير أنت بغفرانه الأبدى.

وثق ياعزيزى أن إعترافك الصادق لله متبوع بالغفران المباشر من لدنه عن كل ما قد إقترفت، وكل ما أقلعت عنه. يقول يوحنا الحبيب: «إن إعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا

خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (١ يو ١: ٩) أليس هو الذى منح الشفاء للأبرص الذى دنا إليه يستعطفه «إن أردت تقدر أن تطهرنى» إذ تحنن يسوع ومد يده ولمسه وقال له: «أريد فأطهر فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص وطهره» (مر ١: ٤٠، ٤١، ٤٢).. **فهو** «يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون» (١تى ٢: ٤). وقد وعد «أن الذى يقبل إلىّ لا أخرجه خارجاً» (يو ٦: ٣٧).

ولكن هل مجرد أن يقر الإنسان بخطأه فى مخدعه أمام الله يجعله تائباً صادقاً؟!

إن الله الذى أخطأت إليه وأقررت بخطأك أمامه هو رأس غير منفصل عن جسده السرى أى الكنيسة..

لذلك يأمرك الله الذى يلقاك فى مخدعك أن تقر بخطأك أمام الكنيسة.

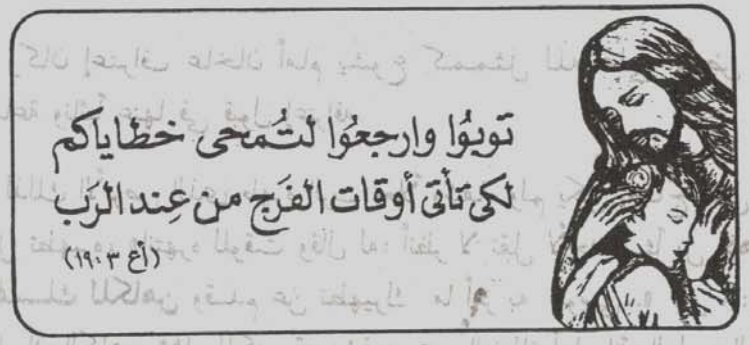

ثانياً : للكنيسة، لأن الخطية تعطيل لعمل الروح القدس فيها

فالخطية التى أهانت الله كرأس، أتعبت الكنيسة كجسد وأثقلت عليها أحمالاً كثيرة، وعطلت عمل الروح القدس وسط الكنيسة كلها.

فخطية السرقة التى سقط فيها عاخان بن كرمى، مع أنها كانت سرية ومكشوفة لله ولعاخان فقط.. إلا أنها أتعبت شعب بأسره بل وهزمته فى الحرب هزيمة قاسية.. حتى قال الله «فى وسطك حرام ياإسرائيل، لذلك لا تتمكن من الثبوت أمام أعداءك» (يش ٧:١٣) ولذا كان إقرار عاخان بن كرمى بخطيته لابد أن يكون أمام الجماعة كلها.. وتم ذلك فعلاً أمام رئيس الجماعة ومقدمها يشوع النبى الذى قال للسارق: «ياإبنى اعط الآن مجداً للرب إله إسرائيل واعترف له واخبرنى الآن ماذا عملت. لا تخف عنى» (ع ١٩).

وكان إعتراف عاخان أمام يشوع كممثل لله على الأرض ورأس للجماعة ونائباً عنها فى قبول إعترافه.

لذلك الأبرص الذى طهره الرب فعلاً وشفاه ولم يكن يحتاج لشىء آخر يكمل تطهيره، «إنتهره للوقت وقال له: أنظر لا تقل لأحد شيئاً بل **اذهب أر نفسك للكاهن** وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى..» (مر ١:٤٤). بإعتبار أن الكاهن ممثل للكنيسة، وشفيع عن الخطاة أمام الله العلى بالذبيحة عن إثمه.

أذكر ياعزيزى أن كل خطية تسقط فيها تهين الله وتتعب الكنيسة ولا تنسب المتاعب التى نراها تحدق بالكنيسة من كل جانب إلى الظروف أو إلى الناس بل إلى خطاياك التى تتجرعها دون أن تدرى أنها تسبب نكبات مره للكنيسة بأسرها.

هل ننسى أريوس الهرطوقى الذى بضلاله أتعب الكنيسة كثيراً حتى أن الأب البطريرك حينما أعياه تعب هذا الإنسان الشقى ونام ظهر له فى حلم ربنا يسوع وثيابه ممزقة.. فقال له الأب البطريرك: «ما الذى مزق ثيابك يارب». فقال له يسوع: «أريوس الذى مزق الكنيسه بإثمه!».

لذلك فالإقرار بالخطية ينبغى أن يكون للكنيسة كأم للمؤمنين وكجسد سرى للرب يسوع.

والذين آمنوا بالرب يسوع فى العصر الرسولى مارسوا الإقرار بالخطية علناً وسط الجماعة وعلى مرأى الكنيسة كلها. ولم يكن أحدهم يقبل الرب يسوع دون أن يقر بأفعاله ويخبر الكنيسة بخطاياه. لذلك كانت فى كنيسة الرسل «كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة» (أع ١٩:٢٠).

لقد أخطأ شاول الطرسوسى مرة فى حق الكنيسة، ولكن حينما ظهر له الرب يسوع قال له: «أنا يسوع الذى تضطهده» (أع ٩:٦). فلقد إعتبر يسوع أن القتل والتهديد الذى صنعه شاول فى تلاميذ الرب إضطهاد شخصى له. ومع أن الرب تكلم معه وأزال الغشاوة عن عينيه إلا أنه لم يطلقه دون أن يوصيه «قم أدخل إلى المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل»...

ودخل شاول دمشق وإلتقى هناك بحنانيا الكاهن الذى أعلم برؤيا من قبل الله بقدوم شاول، فتعجب وقال للرب: «يارب قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل كم من الشرور فعل بقديسيك فى أورشليم».. لكنه أطاع الرؤيا وذهب ممثلاً للكنيسة لإستقبال التائب بعد مقابلته مع الرب.

وحينما إستقبله قبل إعترافه للكنيسة، ووضع عليه يديه للمعمودية معطياً إياه هبة الإمتلاء من الروح القدس!

هكذا فالتائب لا يفصل بتاتاً بين الإقرار بالخطية أمام الله فى المخدع، وأمام الكنيسة وسط البيعة!

ويعتبر ذلك الإقرار العلنى رغم الحياء المصاحب له مظهر من مظاهر الحنان الإلهى الفائق الوصف.

فكيف يمكننى كمذنب فى الحق الإلهى وفى جسده السرى أن أقف أمام ديان الأرض كلها؟!!. إنه خطير جداً بل ومخيف جداً هو الوقوع بين يديه. وداود النبى يقول «وإن كنت بالآثام تأخذ يارب فمن يستطيع الوقوف بين يديك» (مز ١٢٩: ٣ قبطى).

لذلك إختار الله من البشر رسلاً وهؤلاء أقاموا فى كل مكان من البشر قسوساً. وبالتفويض الإلهى للرسل «الحق الحق أقول لكم أن كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء وكل ما تحلونه فى الأرض يكون محلولاً فى السماء» (مت ١٨: ١٨) وبالتفويض الإلهى الرسولى للقسوس صاروا يحكمون فى خطايا الناس الظاهرة: «خطايا بعض الناس ظاهرة تتقدمهم إلى القضاء (الكنسى)» (١ تى ٥: ٢٤)، لكى من خلال الواقع البشرى الضعيف يحكمون على أخوتهم الضعفاء. ونحن نشكر الرب الذى

أعطى الكنيسة ممثلة فى الآباء الرسل ومن جاء من بعدهم بوضع اليد كهنوتياً سلطان مغفرة الخطايا على الأرض. إنه أعطى أن كل ما تقره الكنيسه على الأرض كجسد ينفذ فى السماء عند موضع الله تعالى كرأس..

ما أجمل قول ذهبى الفم «إن ساكنى الأرض والقاطنين فيها قد سمح لهم أن يسودوا ما فى السموات وأخذوا سلطان لم يعطه الله لا للملائكة ولا لرؤساء الملائكة!. لأنه لم يقل لأولئك (الملائكة) كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء وكل ماتحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء. ثم أن للمتسلطين فى الأرض سلطان أن يربطوا ولكنهم يربطون أجساداً فقط أما هذا الربط (الكهنوتى) فإنه يمس النفس عينها ويجتاز السموات. وما يعمله الكهنة تحت يثبته الله فوق، ويؤيد السيد رأى العبيد!».

إن الغفران الذى ينعم به المؤمن داخل الكنيسة هبة من هبات الروح القدس لها.. لأن الرب يسوع إذ نفخ فى تلاميذه الروح القدس قال لهم: «إقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه غفرت ومن أمسكتم خطاياه أمسكت» (يو ٢٠: ٢٣).

ونحن نؤمن أن الروح القدس ماليء للكنيسة وحافظها، وهو الذى يعمل حتى الآن وسيظل يعمل لغفران الخطايا من فم الكاهن الرسولى الشرعى الذى ينطق بالحل للمعترف بخطاياه أمام الكنيسة جميع التائبين المؤمنين به حقاً ليغفر خطاياك برحمته العظيمة فيقول: «ربنا يسوع المسيح الذى ترك للكنيسة سلطاناً لتحل وأنا بسلطانه الذى فوض إلى أحلك من جميع خطاياك باسم الآب والإبن والروح القدس آمين».

ياعزيزى إن كنت إبناً محباً لأمك الكنيسة التى تمخضت بك وولدتك بالإيمان للرب يسوع، فـلا تتأخر فى أن تقر بخطاياك أمامها ممثلة فى الأب الكاهن.

والذى لا يسمع هذا الصفح الإلهى من الكنيسة كيف يمكن أن تكون توبته صادقة؟!

فإن كنت قدمت توبة لله فى مخدعك، فأطع الله الذى يأمرك أن تعترف للكنيسة ممثلة فى كهنتها.

فممارستك للإعتراف وسط الكنيسة هو دلالة حبك للمسيح الظاهر فى إطاعتك لوصاياه «من يحبنى يحفظ وصاياى». ثم أنه يمتعك ببركة الغفران الكنسى من فم المسيح الناطق فى الأب الكاهن، ويحفظك فى بركة مشورة الأب الكاهن الروحية النافعة لبنيان خلاصك ونموك فى النعمة.

ما معنى «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات»:

هذه العبارة أوردها معلمنا يعقوب الرسول فى حديثه عن سر مسحة المرضى إذ يقول: «أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت بإسم الرب وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له. اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا...» (يع ٥:١٤ـ ١٦).

فحديث الرب هنا يشمل مجموعتين من الناس: القسوس، والمرضى.

فالقسوس مدعوون للصلاة على الزيت ودهن المريض بإيمان. والمرضى مدعوون للإعتراف بعضهم على بعض من القسوس المدعوين.

فليس معنى تلك العبارة أن يعترف الإنسان ويقر بخطاياه لكل أحد فى الكنيسة. بل كما وضح من التحليل أن المقصود «بالبعض» بعض المرضى يعترفون على بعض القسوس.

وهذا ما تعلمه الكنيسة لا للمرضى فقط بل وللأصحاء أيضاً أن يختار كل منهم كاهناً معروفاً يصير له أبا للإعتراف.

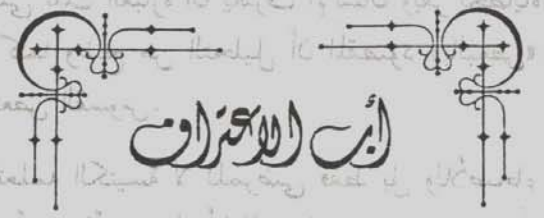

قلنا سابقاً أن إقرار التائب بخطاياه كان علنياً أمام الكنيسة وفى محضر كل المؤمنين.

ولكن الكنيسة التى تحمل سلطان التشريع حسب حاجة الناس للخلاص رأت فى القرن الثانى الميلادى أن تحدد مفهوم الإقرار بالخطية أمام الله فى الكنيسة فى نطاق السرية التى يحققها سر الإعتراف أمام الكاهن ممثل الكنيسة.

وأب الإعتراف هو كاهن رسولى، جاهد حسناً، وإختبر الإيمان عملياً. وهو تسليم إنجيلى ورد على لسان مار بولس الرسول خلال حديثه إلى الكورنثيين بقوله «لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين لكن ليس آباء كثيرون» (١ كو ٤: ١٥) **يقيمه الأب الأسقف** لتقواه وورعه على إتمام سر الإعتراف للمؤمنين وبالكنيسة فيقول له موصياً:

«فلا بأس تقبل الإعتراف إذا جاء إليك أحد معترفاً بخطية إن كنت مدرباً بهذه الصناعة.

فإن القانون المقدس يقول: إن الكاهن الذى لا يقبل المعترف ينفى من الجماعة.

ويعقوب الرسول ينذر المعترف ومعلم الإعتراف معاً ويؤكد أن ذلك واجباً وفرضاً بقوله للمعترف: ليعترف بعضكم لبعض بخطاياكم.

ويقول للمعرف: وليصل بعضكم على بعض. أعنى الكاهن عن الرعايا لأن من يرد الخاطىء عن ضلالته يخلص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا.

ويجب أن تتخذ لك قبل ذلك أبا وشيخاً خبيراً بالمعالجة مشهوراً بالنجاح، حتى يعلمك أن تضع الدواء والمرهم بما يلائم الوجع والجراح. كى لا تضع دواء العين على الرجل فلا ينتفع بذلك، وتشدد على العضو الترابى المزمن فيصير هالك.

ولتسأل عن السن والعادة والموضع والزمان والطبع والمكان والإمكان والمزاج والتحصن.

معتمداً فى ذلك على أبى الرأفة والتحنن، ولاطف كل واحد من هؤلاء بما يلائمه من الدواء حتى يعود العليل من مرضه إلى حالة الصحة والنضج.

لتكن مركباً روحياً يحمل البركات إلى ميناء الخلاص. ومعلماً روحانياً نورانياً ترفع المتعلمين الى درجات التكريس.

لتستحق بهذه الحالة الأجر المتضاعف ويسبغ الرب عليك الخير السمائى المترادف.

بشفاعة والده الإله العذراء الطاهرة والشهداء والقديسين. آمين» [1]. أ هـ.

(١) كتاب الرسامات من الأغسطس للقمص ـ الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا ـ طبعة ١٩٥١، ص ١٠٣

وعلى ذلك فليس المفروض أن يكون كل كاهن أباً للإعتراف. بل والوضع الصحيح فى الكنيسة أن يختار هذا الأب من بين الآباء الكهنة بمعرفة الأب الأسقف.

ليس بالضرورة أن يصبح كل كاهن يقام فى الكهنوت أباً للإعتراف.. بالتأكيد كل كاهن معلم ومرشد، أما أبوة الإعتراف فهى طب روحى وممارسة وسط المرضى تحتاج إلى نوع خاص من الأطباء الحاذقين.

ولكن كثيرين من الكهنة، من أول يوم الرسامة، يحاربهم إبليس محاربة شديدة فى التكالب نحو قبول الإعترافات.. ويستسهلون قبول المعترفين حتى لو كان لهم آباء سابقين، ولأسباب يجرون وراء كل كاهن جديد للإعتراف. إنها شهوة تحارب المبتدئين فى الكهنة لكى ينشغلوا عن عمل الرعاية والصلاة إلى البحث عن خطايا الناس والحكم فيها.. وهى بلا شك حرب ردية تحرم الكاهن المبتدىء والشعب معاً من بركة الرعاية والتعليم. أما التقليد الكهنوتى فيحمل لنا خلال رسامة الكاهن أنه عندما يوصى من الأب الأسقف تقرأ عليه وصية أخرى يوم السماح له بقبول الإعترافات.

ومن مراجعة وصية الأسقف لأب الإعتراف نلحظ أن **أب الإعتراف مسئول عن المعترف ليخلصه** فيستر بذلك كثرة من الخطايا. هذه المسئولية قائمة مادام المعترف قد أعطاها بإختياره لأب الإعتراف. وتظل قائمة إلى أن يطلب الإنسان المعترف تغييرها فيكون الأب المعرف طليقاً من مسئولية خلاصه.

على أنه لاينبغى لأب الإعتراف أن يلزم المعترف بممارسة الإعتراف على يديه، إن طلب المعترف غير ذلك.. إذ عليه أن يطلقه بدعاء وبركة دون أن يحس أن ذلك إهانة له أو إمتعاض لمركزه. فالأب الذى يحب خلاص إبنه، لا يمانع قط أن يخلص نفسه بممارسة الإعتراف لدى أب آخر.

وأب الإعتراف فى إحساسه بمسئولية خلاص نفسه وأولاده يجاهد فى الصلاة وخاصة أمام المذبح من أجل أولاده.. ويحيا فى ممارسات النعمة حياة جادة، بحكمة وقيادة الروح القدس. فقبوله للإعتراف يلزمه أن يمارس هو الإعتراف لدى أب مشهود له يعينه على تدبير خلاصه وخلاص أولاده. **فالطبيب الذى يعيش وسط المرضى معرض هو أيضا للعدوى إن لم يتحصن جيداً وبإستمرار.**

لابد أن يكون لأب الإعتراف أبا يراجع معه أفكاره وتدابيره وجهاداته وسقطاته. فالقديس ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين (من آباء القرن العاشر) يشدد على ذلك بقوله: «لا يجب لأحد أن يجعل نفسه رأسا بغير رأس، ولا أب بغير أب، ولو كان رئيس الكهنة الذى ليس فوقه فى الرئاسة أحد، وأب الآباء الذى ليس فوقه فى الآباء أحد. فلايجب أن يترك نفسه بغير أب يخضع له. بل يجب عليه أن يتخذ واحداً من تلاميذه وأولاد كهنته يختاره أبا له، ويخضع لمشورته كيلا يبقى بغير أب فيتشبه بالذى ليس له أب ولا رأس. وهذه الكبرياء لم يختطفها لنفسه إبن الله الوحيد الخالق بل حقق أنه ابن خاضع لأب، وطائع لأوامره لكى يعلمنا أيضاً أن نفعل مثله، ولا يجعل أحد منا نفسه أبداً بلا أب أو رأس يخضع له مادام حى على الأرض» [1]

(١) ذبيحة الإعتراف ـ أبناء البابا كيرلس السادس ١٩٧٢ ص ٦٩، ٧٠

وأب الإعتراف يحمل سلطاناً كهنوتياً لحل الخطية من أولاده بكل رباطاتها. يستعمل هذاالسلطان لهذا الغرض وحده، وليس للضغط على أولاده لحملهم على قبول أمر لا يريحهم. أو تلبية لرغبة سياسية أو حزبية. فأب الإعتراف مهمته الأولى أن يريح أولاده، لا أن يهيج فيهم الأوجاع أكثر.

يريحهم كطبيب يداوى، ليعطى الدواء الذى يقبلون عليه وإن لم يريحهم يبحث عن آخر يصل بواسطته إلى غاية راحة أولاده. وليس بطبيب من يرغم مريض على قبول دواء لا يقبله.. إن الطبيب الذى يصنع هكذا يشير بذلك إلى جهالته وفقره. فليس هذا الدواء هو الأوحد عند الطبيب الماهر، بل أنه يخرج من كنزه جدداً وعتقاء.

مثال ذلك إستغلال سلطان أب الإعتراف لحمل إبن عنده على قبول زواج معين، أو للضغط عليه لإفطار صوم يراه الأهل مضعفاً لصحته، أو للتأثير عليه فى قضية أو مشكلة معينة.. ليس هذا من سلطان أب الإعتراف، لأن سلطانه للحل والغفران من الخطية فقط..

لكن **أب الإعتراف مشير**، يشير على أولاده بما يراه صالحاً لنجاتهم دون ضغط أو إرغام. ثم يستودعهم لنعمة الله أن تعمل فيهم وفق ما يراه روح الله فى شخصياتهم.

ولذلك فهو لا يطبع صورته الروحية، وجهاداته فى أولاده بقدر ما يجعلهم يحسون بحرية عمل النعمة وفق شخصية كل منهم أو «كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» (أع ٢: ٤).

وأب الإعتراف ككاهن يحمل الروح القدس فى أحشائه ويعطيه للآخرين أيضاً للإيمان والثبات والخلاص. **ينبغى فى ممارسته لسر الإعتراف**

ومشورته لأولاده ألا يقع إلا تحت تأثير وإلهام الروح القدس وحده.

الروح القدس هو الذى يستلم جلسة الإعتراف، ويبكت المعترف ويعينه على الإقرار بخطاياه، ويرشد ويوجه المعرف للعلاج والمشورة الصالحة.

أما إذا إستلم هذه الجلسة تأثير آخر للناس على أب الإعتراف فقد إنتفى هنا عمل الروح القدس فى توجيه السر كله.

مثال لذلك: أن يلجأ أمين الخدمة إلى أب الإعتراف لكى يحمل خادم قبول خدمة معينة، أو لمنعه من الخدمة لسبب ما، أو لنقله إلى مكان آخر.. مستعيناً فى ذلك بالسلطان الكهنوتى لأب الإعتراف.

إن مهمة أب الإعتراف هى أن يتلمس توجيه الروح القدس وإلهامه الباطنى خلال جلسة الإعتراف لا توجيه أمين الخدمة.

ومهمة أمين الخدمة أن يمارس عمله مع الخدام عن طريق الوضوح والإقناع، وعدم التحايل للوصول إلى أغراضه بواسطة أب الإعتراف.

مثال آخر: أن يقوم مجموعة من المؤمنين، أو الأقارب بالإتصال بأب الإعتراف لتوجيه شخص نحو إتجاه معين فى التكريس لإعتقادهم بصحة ما يطالبون به.

لكن أب الإعتراف يوجه فقط، ويترك تأثير الروح القدس وإلهامه يعمل فى مثل هذا الشخص بالطريق الملائم لخلاصه وليس لما يراه الناس من حوله ملائماً.

ولكى يكون الإلهام واضحاً وتأثير الروح القدس كاملاً خلال جلسة الإعتراف يستوضح أب الإعتراف ـ بأسلوب مباشر أو غير مباشر ـ سن

المعترف، وثقافته، وطباعه الخاصة، وميوله أو هوايته، ووضع معيشته، وقدراته المالية والمعيشية، وقامته الروحية، وأصدقاءه، وقراءته...

وهذا ما يتضح من الوصية الرسولية لأب الإعتراف التى تنص على أن **يسأل الكاهن المعترف فى المراحل الأولى من الإعتراف عن:**

- **السـن:** فهناك خطايا تختص بسن معين دون غيره كما أن السن يعطى فكرة عن مدى النضج والثقافة.
- **العادة:** أى عادات الإنسان، وهل ما يعترف به من خطايا صارت من عاداته أم أنها عارضة.
- **الوضع:** أى وضع الإنسان أثناء الخطية.
- **الزمان:** فهناك خطايا قديمة، وأخرى حديثة، والزمن يعطى فكرة عن الظروف المحيطة.
- **الطبع:** فهناك طباع فى الإنسان طبع عليها تقيم خطاياه على ضوء طباعه الخاصة.
- **المكان:** مكان الخطية لأن هناك خطايا لابد أن لا يرجع فيها الإنسان للمكان الذى أخطأ فيه إلى الرب.
- **الإمكان:** أى إمكانيات الشخص المتاحة للهروب من الخطية.
- **المزاج:** فهناك خطايا يمارسها الإنسان برغبة ولذة بينما آخرون حينما يسقطون يكونوا كارهين لما فعلوه.
- **التحصن:** أى أساليب الوقاية التى يتخذها الإنسان لعدم الرجوع إلى خطأه.

ولكن هذه الأسئلة كإطار روحى يختم بعبارة قوية هى:

«معتمداً فى ذلك على أبى الرأفة والتحنن»

أى يعتمد أب الإعترف فى فهم هذه الأسئلة، وفى قيادة الإنسان روحياً على الله تعالى...

وهذا يحتاج إلى صلاة يرفعها أب الإعتراف من أجل أولاده .

إن صلاة أب الإعتراف من أجل أولاده هى شفاعة حب تسند المعترفين، وهى ذبيحة بخور يقبلها الرب.

وفى خلال الإعتراف أب الإعتراف يسمع خطايا وآثام وتعديات يحملها بكهنوت السيد المسيح ويحمل عوضاً عنها فداء وغفران المسيح للإنسان..

حسناً يشبه أب الإعتراف بصفيحة زبالة تلقى فيها من كل ناحية وسخ وأقذار أخواتنا. وحينما يزداد عدد المعترفين لدى أب الإعتراف تزداد هذه الصفيحة إمتلاء بالوسخ وهذا كاف للرد على حروب إبليس التى تحارب أب الإعتراف الناجح بأنه أصبح أباً لكثيرين وأنه كلما يعترف على يديه تائب جديد يحمل هو وسخاً جديداً...

فهل حامل الأوساخ يفتخر بكثرتها ويخدع من إبليس بذلك؟!!

وهل الذى يتحول من صفيحة زبالة إلى مقلب زبالة يحتاج إلى رد على إبليس؟!!

وأب الإعتراف يعود أذنيه دائماً على السماع وحسن الإصغاء فإن كان المبتدئين يعاونهم بالأسئلة لكن الإعتراف الصحيح يلزمه أن يصغى فقط ويعلق

فقط على الإعتراف الصحيح. ومن يظن أن أب الإعتراف سيأخذ عنه فكرة غير صحيحة بسبب إعترافاته مظنته هذه خاطئة، لأن أب الإعتراف يعلم أن أذنيه لن تسمع فى الإعترافات الصادقة غير الضعفات.

ومع شعور أب الإعتراف بأنه ملتقى الأوساخ دائماً توصى الكنيسة بكرامة كبيرة لأب الإعتراف.

فالكتاب المقدس يسلمنا إنجيلياً «أما القسوس المدبرون حسناً فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم. لأن الكتاب يقول لا تكم ثوراً دارساً والفاعل مستحق أجرته» (١ تى ٥:١٧، ١٨. راجع تث ٢٥:٤، ١ كو ٩:١٠، لا ١٩:١٣، تث ٢٤:١٤، ١٥، مت ١٠:١٠، لو ١٠:٧).

وقد أخبرنا سفر الأعمال عن الكرامة التى أعطاها أهل جزيرة مالطة وحاكمها لمار بولس ورفاقه (راجع أع ٢٨:١٠) كما أوصى مار بولس الفيلبيون أن يكرموا القديس تيموثيوس (راجع فى ٢:٢٩).

كذلك يوصينا الآباء الرسل فى الدسقولية بالكرامة الجزيلة لآباء الإعتراف:

«أكرم الذى صار لك وسيطا لهذه المنزلة العظيمة ووقر الذى صار لك أباً بعد الله. فإن كان الكتاب يقول لأجل آبائك بالجسد أكرم أباك وأمك ليكون لك الخير (تث ٥:١٦) ومن قال كلمة ردية على أبيه وأمه موتاً يموت (حز ٢١:١٧) فكيف لا يلزمكم بالأكثر أن تكرموا آبائكم الروحانيين وتحبوهم وتحنوا عليهم كصانعى الخير لأنهم شفعاؤكم عند الله.. هؤلاء الآن خافوهم وأكرموهم بكل كرامة لأنهم نالوا سلطان الحياة والموت من الله

ليدينوا من أخطأ ويدينوهم لنار أبدية ومن رجع أيضاً يغفرون له خطاياه ويحيونه»[1].

والمقصود بالكرامة هنا:

- إحترام أب الإعتراف فى وجوده وفى غيابه، فى حياته وفى مماته. فى خلال تلمذتى للمسيح على يديه، أو بعد تغييره لأى سبب.
- **طاعة أب الإعتراف**، طاعة المسيح نفسه...

«أطيعوا مدبريكم وأصغوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً لكى يفعلوا ذلك بفرح لا آنين لأن هذا غير نافع لكم» (عب ١٣:١٧).

وأب الإعتراف المستحق للكرامة المضاعفة إنسان بشرى له من الضعفات الظاهرة ما قد يستغله إبليس وجنوده من الناس الأشرار الذين يسيئون إلى أب الإعتراف وقداسته وسمعته. حتى إذا تشكك الإنسان فى أبيه فقد الثقة رويداً رويداً فيحرم من نبع قداسة حى وينجح إبليس فى حرمان الإنسان من بركة الإعتراف.

لذلك فمهما كانت قداسة أب الإعتراف فإنى أرتب ذهنى دائماً على أنه لا إنسان مهما كانت قداسته بدون ضعف أو خطية.

ووجود الضعف فى حياة أب الإعتراف، ليس مدعاة لتشككى فى الإعتراف وفى أبوته، بل هو دعوة خفية للإلتصاق بالرب يسوع وحده والتعلق

(١) قوانين الرسل، الباب السابع ـ طبعة رابعة القمص مرقس داود ص ٨٦، ٨٧.

به وحده وإتباعه وحده.. **إننا لم نعرف قديسى الكتاب المقدس، أو قديسى التاريخ الكنسى بدون ضعفات... لكن القديسين لا يؤخذون بضعفاتهم بل بمجمل سيرتهم وجهادهم وأثمارهم..**

إن فتح أذنى، أو فتح أفكارى لفحص ضعفات أب الإعتراف خطية كبيرة.. كخطية كنعان الذى رأى عورة أبيه ولم يسترها.. لذلك فمن الضرورى ألا يفتح الإنسان أفكاره لفحص أى ضعف ظاهر فى حياته.. إن ستر الإنسان العادى بركة، فكم تكون بركة ستر أبى فى ضعفاته؟!!

وأب الإعتراف بالنسبة للإنسان واحد لا يتغير، إلا برحيل المعترف أو أب الإعتراف. إنه ثبات من أجل الإثمار، إنه جهاد ألا يتنقل الإنسان بين آباء الإعتراف.. فضلاً عما يحتويه ذلك من مضار كثيرة لا تنفع من يبغى نموه الروحى.

وإذا دعت الظروف القهرية إلى تغيير أب الإعتراف فليكن ذلك بمشورته وبتدبير منه على أنه من اللائق أن يهدى الإنسان أبوه قبل تغييره هدية مناسبة يذكر له فيها محبته وإحترامه وطلب دعواته له فى جهاده القادم، تعبيراً عن الإحساس بالتعب والجهد الذى بذله معه ومن أجل خلاص نفسه.

فى إختيار أب الإعتراف الجديد ينبغى التدقيق.. لذا:

١ ـ يلزم الصلاة بقداسات وذبائح.

٢ ـ يلزم أن يكون فى سن الوقار.. سن الوقار لا يرتبط بعمر زمنى بل بقامة الرجولة الروحية والإختبار المعاش.

٣ ـ يحسن أن يكون فى أقرب كنيسة لسكنى.. حتى يمكن الوصول إليه

عند لحظات الضرورة بسهولة. وحتى لو كانت قامته الروحية لا تسمح بالمشورة فيكفى فى هذه الحالة، الإعتراف على الخطايا، والإستعانة بأب كاهن آخر فى منطقة بعيدة كمرشد روحى لأخذ الإرشاد النافع للنمو الروحى.

٤ ـ يحسن أن يكون للعائلة أب إعتراف واحد، للزوج والزوجة والأبناء حتى تسير بروح وأبوة واحدة. وهذا يتطلب عند الخطبة إختيار أب إعتراف موحد بين الخطيبين بعد إتفاقهما وإقتناعهما.

وفى هذه الحالة ـ حالة التغيير ـ سأتحول من تلميذ إلى إبن وعلاقتى بأب الإعتراف السابق. أنه كاهن الله العلى، وأنا إبنه: سأداوم الإتصال به وطلب صلاته عنى ودعوته لزيارتى إن كانت الظروف تسمح بذلك. **إن بنوتى لأبى الكاهن لن تتغير حتى لو تغير تلمذتى له فى الإعتراف.**

وإن كنا من جهة المبدأ نوافق على تغيير أب الإعتراف عندما تقتضى الظروف ذلك فنحن لا نوافق على التنقل بين الآباء بين الحين والآخر.. إن هواة ذلك لن ينتفعوا من أب الإعتراف، ولن ينتفعوا من مواجهة أنفسهم وخطاياهم.

وهناك من يشتكى أن أب الإعتراف ينسى، وأننا عندما نعاوده فى أمر ما نجده قد نسى.. إنها نعمة ـ أختبرها شخصياً ـ أن ينسى أب الإعتراف فليست هناك ذاكرة على الأرض تستطيع أن تعى كل ما يسمعه أب الإعتراف وتظل محتفظة به..

بل أقول أنه **لابد لأب الإعتراف أن ينسى كل ما يسمعه فى الإعتراف من خطايا وضعفات**.. لأنه مثال لله الذى يطرح الكل فى بحر النسيان..

هناك رواية لقداسة البابا مكاريوس الثالث (البطريرك ١١٤) أنه أحب أن يمتحن الكهنة فى سر الإعتراف.. فدعاهم واحداً واحداً على إنفراد، وقال للكل: إنى أريد أن أتخذك لى أبا فى الإعتراف فكانوا جميعاً يعتذرون بينما هو يصر فيضطرون إلى إجابة طلبه وسماعهم لما يقول من خطايا.. ويذكر أنه مع جميعهم كان يعترف بجزء ويؤجل بقية الإعتراف للغد، وفيه يسأل الكاهن «عند أى نقطة وقفنا أمس يا أبانا» فيرد الكاهن: «عند النقطة الفلانية»..

وفى نهاية إختباره للجميع دعاهم وقال لهم: لست أجد كاهناً واحداً صالحاً للإعتراف لأنكم جميعكم تذكرون الخطايا والضعفات؟!!

إن أب الإعتراف يذكر أولاده بالإسم فى صلواته وقداساته لكنه لا يذكر خطية واحدة لهم.. قد يذكر أمام الله ما يحتاجونه فى جهادهم من مؤازرة النعمة، لكنه لا يستطيع أن يذكر خطية واحدة لهم. يا أخوتى صلوا من أجل منح آباء الإعتراف نعمة النسيان.

وأب الإعتراف مع أنه طبيب إلهى، يعطى سلطان حل الخطايا وربطها فهو يحترس من العدوى بينما هو يمارس عمله وسط المرضى.. فعند سماعه لإعترافات متعبة له كإنسان يحسن أن ينشغل فى صلاة قلبية يرفعها من أعماقه بجهاد طالباً المعونة لنفسه وخلاصه ولنفس وخلاص المعترف..
والصلاة أنفع ألف مرة من الأخذ والعطاء فى الإعترافات المتعبة لاسيما إعتراف الشباب من الجنسين فى بداية توبتهما.. وإذا طلب المعترف متابعته

فليعلم أن متابعة أب الإعتراف بالصلاة الفورية لأجله أكثر بركة له. لقد إختبرت شخصياً كلتا الحالتين.. فوجدت أن فى رفع القلب أثناء سماع الإعتراف المتعب أكثر بركة للمعترف أولاً ولى ثانياً.. لقد لمست أثر الصلاة فى أثناء ممارسة المعترف للسر فى جهاده بعد الإعتراف..

وأب الإعتراف لا يختص بالخطايا والجهادات الروحية فقط، إنه «أب» يدبر الإنسان فى كل حياته، ولذلك فحياة الإنسان ومشروعاته وتدابيره ينبغى أن تؤخذ مشورة أب الإعتراف فيها كلها..

فأب الإعتراف يهتم بالروح، والروح قائدة للنفس والجسد لذلك فأب الإعتراف أب للإنسان كله لا لروحه فقط.

وأب الإعتراف بالنسبة للمؤمنين العاديين، مهما يكن سنه، ومهما كانت خبراته.. فعمل الروح القدس فيه وخلال الإعتراف يغطيان كل نواحى القصور فى حياته الشخصية.

ليس معنى ذلك أن السن والخبرة ليست ذات أهمية، إذ أنهما بلا شك يضيفان بصمات الحياة بكل ممارستها فى حياة الإنسان.

لكن الكنيسة المقدسة تؤمن أن الروح القدس يلهم الجهال مايعجز عنه العلماء «لقد إختار الله جهلاء العالم ليخزى بهم الحكماء». لذلك يقول **القديس الأنبا أشعيا** (قديس القرن الرابع) فى تعليمه للمبتدئين: «إن سألك شيخ عن أفكارك فاكشفها له بصراحة متى تأكدت أن له أمانة ويحفظ كلامك. **ولا تنظر إلى كبر السن بل إعتمد على من له علم وعمل وتجربة ومعرفة روحانية**، لئلا يزيدك سقماً بدلاً من أن يهبك شفاء». كذلك يقول القديس يوحنا كاسيان (قديس القرن الرابع):

«إن أنبا موسى أوصانا بألا نكتم أفكارنا بل نكشفها لمشايخ روحانيين لهم معرفة وتمييز، وليس لمن طال عمره وشاب شعره. **لأن كثيرين قصدوا أهل كبر السن وكشفوا لهم عن أفكارهم، وحيث أنه لم يكن عندهم معرفة، فعوض العلاج طرحوهم فى اليأس**».

أما أب الإعتراف بالنسبة للمعرف نفسه (الكاهن) فالكنيسة تعلم حسب الوصية الرسولية لأب الإعتراف أن يكون:

- شيخاً، لأن السن المتقدم مع الروحانية تعطى دسماً أكثر.
- خبيراً بالمعالجة، أى مختبر.
- مشهوراً بالنجاح، لأن النجاح الروحى محصلة جهادات وخبرات.
- حتى يعلمك أى له قدرة على التعليم بالحزم والقوة والوداعة.

المرشد الروحى

فى العصر الرسولى سمعنا عن المرشدين فى نص إنجيلى لمار بولس الرسول يقول فيه: «لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح لكن ليس آباء كثيرون» (١ كو ٤: ١٥).

وهذا يوضح الحقيقة التى لازالت قائمة إلى يومنا هذا فى الكنيسة وهى ندرة من آباء الإعتراف، ووفرة من المرشدين المؤمنين.

والمرشد الروحى إنسان لا يهم صفته الكهنوتية، بقدر روحانيته وإختباره وتقواه وقدرته على معاونة الآخرين.

يختار بمشورة الله فى سر الإعتراف، ويهتم مع التائب بتعليم الفضائل العامة: كالخدمة، والقراءات الروحية، والمساندة فى التعليم والتوظيف.. إلخ.

وهو لا يقبل سماع جهادات التائب الخاصة أو خطاياه الشخصية بقدر ما يوجهه لحق الإنجيل وأب الإعتراف.

إن العلامة أوريجانوس يرى ضرورة وجود المرشد الروحى فى حياة التائب الكنسية، ويشبهه بأحد سلاحى المقص أما السلاح الآخر فهو أب الإعتراف... والإنسان حينما يضع توبته أمام الله، ويقر بها أمام الكنيسة تنحل الخطية منه كما تنحل الأربطة من بعضها بفعل المقص.

على أنه إن كان يوجد ربوات من المرشدين يمكن الإستفادة بجهاداتهم فإن التائب يشبه نحلة تجول وسط زهور كثيرة تزين الكنيسة يلتقط من الكل الرحيق الروحى المناسب دون أن يطالب بإيضاح ما يحمله من رحيق زهور أخرى.

وإذا كان أب الإعتراف يمثل بالطبيب، فالمرشد الروحى يمثل بالممرض الذى يمارس التمريض للإنسان دون التدخل فى تفاصيل المرض ودقائقه. والطاعة للممرض، إن كان يعقبها تعاطى أدوية نافعة، فالطاعة للمرشد يعقبها بلا شك نمو دائم فى حياة التائب.

ثالثاً: لمن أخطأ التائب فى حقه

فإقرار الإنسان بخطأه أمام الله والكنيسة يجعله مضطراً إلى إطاعة الله والكنيسة فى الإعتراف بالخطأ لمن أخطأ الإنسان إليه. لأن الإنسان المعتدى عليه يمثل مباشرة حق معتدى عليه لازم التعويض عما لحقه من أضرار مادية أو أدبية وما يتبع ذلك من توقيع جزاءات معينة تفى بغرض التعويض.

وتعود الإنسان التائب على الإعتذار لمن أخطأ فى حقه مهما كان سنه أو مركزه بتأدب وبإحساس حقيقى بالخطأ وفى إحتمال لكل تبعات الإعتذار، يعطى التائب خفية بركة الإتضاع الذى يحفظه من سقوط جديد، ويعطيه الحذر فى المستقبل لعدم تكرار الخطأ.

أما الذى يأبى أن يعتذر (ولو أنه مقتنع داخلياً بخطأه ومارس التوبة أمام الله والكنيسة). فلا يمكن لتوبته أن تثمر فيه صلاحاً أو تقوم فيه إعوجاجاً.

تعود ياعزيزى التائب أن تعتذر لمن أخطأت فى حقه، فإعتذارك ضرورة لا تساوى قدر ما سببت له من متاعب وعثرات من جراء خطأك.. لكنه مجرد وضع زيت على جرح لعله يندمل فيبرأ.

وإعتذارك يجعل الخطأ سهل التصحيح، وينهى الخصومة التى نشأت بسبب خطأك. بل إنه يحفظك من ويلات تسليمك لمن يقضى بعدل.

أكثير عليك أن تطيب خاطر نفس سحقت بسبب كبريائك، وجرحت بسبب إهاناتك، وفسد سمعتها بسبب إشاعاتك الغاشة من حولها وإثارة الناس ضدها؟!!..

يا أخي إن كنت فطنت إلى خطأك، وعزمت التوبة الصادقة عنه فأسرع بالإعتذار المتأدب.

وقد يتبع الإعتذار توقيع عقوبات، والتائب الصادق هو الذى يقبل هذه العقوبات قبول المريض للدواء بشكر وبلهفة نحو الشفاء.

أما الذين يتململون من العقوبات، بحجة الرحمة والتسامح، لن ينصلح حالهم أو تتغير طبيعة الخطية فيهم. فلو كان ممكناً أن يمتنع المريض عن الدواء وهو على الموت بحجة مرارة المذاق فى فمه للدواء ويشفى لكان ممكن للتائب أن يصدق فى توبته دون قبوله الشاكر للعقوبات المخلصة لنفسه من ضعفاتها.

فالكنيسة المحبة للخطاة، التى تكرز بالتوبة للضالين لا تتستر على الخطية،

بل فى تعليم صادق صحيح توجه أولادها نحو الإعتذار وقبول نتائج الإعتذار.

إن الساقطين الذين يخطئون فى حق الناس أو الدولة، فى وعى روحى عميق تشجعهم الكنيسة وتوجههم إلى تسليم أنفسهم بالإعتذار للناس أو الدولة لكى تقضى فيهم العقوبة التى يضعها الحاكم بالقانون للمخالفين.

فمثلاً حينما أخطأ أوريجينوس ـ العلامة الكبير وأستاذ أجيال من المؤمنين ـ فى حق جسده، وخصى نفسه بنفسه حرمته الكنيسة تأديباً له وشفاء لسقطته!

فإن كان سقوط الإنسان يمس علاقته السرية بالله، تلتقى الكنيسة بالإنسان التائب الذى أقر بخطاياه أمام الله والكنيسة فى أدوية نجاة وتداريب للتقوى وممارسات نسكية خاصة يقرها أب الإعتراف للتائب كما يرى بالروح مناسباً لخلاصه.

هذه الأدوية مهما بدت مرة المذاق لكنهاتحمل فى طياتها شفاء للنفس التائبة، كما أنها تحمل رياضة روحية يتدرج من خلالها التائب على حب الله الصادق. وهى لا تغفر خطية واحدة للإنسان مهما كانت الأمانة والتدقيق فى إتمامها، إنما هى تشبه الفيتامينات للجسم إذ تساعد الروح على فعل التوبة التى بواسطتها فقط ينال الإنسان مغفرة الخطية.

أما إذا كان سقوط الإنسان يتعلق بالكنيسة، رعاة أو مؤمنين فالقوانين الكنسية ـ المسكونية والمكانية ـ رغم أنها تحتاج إلى مراجعة دقيقة إلا أنها تحمل فى طياتها روح التأديب والتقويم الذى يمارسه الأب بحب مع أولاده «والذى يحبه الرب يؤدبه». فالذين يخطئون فى حق الكنيسة، رعاة أو مؤمنين، أو الذين يشتركون فى تعطيل وإعاقة عملها الخلاصى فى العالم

عندما يتوبون تقبلهم الكنيسة كأم حانية، وعليهم أن يبرهنوا صدق توبتهم بقبول تأديب أمهم المحبة مهما رأوا التأديب شديد التطبيق أو مر للمذاق.

وإذا كان سقوط الإنسان متعلق بغيره من البشر أو الهيئات.. فالمعروف أن من حق الإنسان المعتدى عليه أن يعوض قانوناً. فإن هو سامح المعتذر يكون الأمر منتهياً. وإن لم يسامحه فالقضاء مرتب من قبل الله ليعطى الكل حقوقه.

وتسليم الإنسان نفسه للهيئة التى أخطأ فى حقها ضرورة تحتمها التوبة للإنسان التائب، لكى يقبل فى جسده عقاب إثمه دون أن يكون ذلك سبباً لبره.

فالحاكم والدولة مقامين من الله لذلك «إن فعلت الشر فخف، لأنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هـو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر» (رو ١٣: ٤) والخضوع لهما خضوع لمشيئة الله فى حياة التائب.

والمريض الذى يطلب الشفاء يجتهد أن يقص على الطبيب كل تطورات مرضه: ما قبل المرض، وبدء المرض، وإستمرار المرض.. مع إيضاح إحتمالات تسبب عنها المرض..

والمريض الذى يترجى سرعة الشفاء يكون مطيعاً لنصائح الطبيب ويناقشه فيها ليستعلم ويأخذ لنفسه خبرة..

هكذا فإن المعترف الذى يبغى خلاص نفسه يقبل على الأدوية المعطاة له فى الإعتراف كأدوية الحياة والنجاة.. وإن كانت الأدوية تسمى أحياناً «تأديبات» فلاغضاضة أن يقبل المعترف المهتم بخلاص نفسه أى تأديب كدواء.. « فالذى يرفض التأديب يرذل نفسه» (أم ١٥: ٣٢) لا يخلصها..

إنه حتى لو كان التأديب فى مبدأه غير مهضوم لكن فى نهايته يحمل الخلاص والسعادة الأبدية للإنسان.. ودائماً الفرح يسبقه الدموع. لذا فالحكيم هو الذى يقبل تأديب أبيه (أم ١٣ :١) أما «الأحمق يستهين» به(أم ١٥ :٥) وقال مار بولس «كل تأديب فى الحاضر لا يرى أنه للفرح بل للحزن. وأما أخيراً فيعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام» (عب ١٢ :١١).

والطبيعى أن الدواء للعلاج لا للقتل..

فالهدف من التأديبات الكنسية علاج ضعفات الإنسان وحصارها بالنعمة والجهاد معاً. لذلك يقول مار بولس عن المؤمنين «كمؤدبين ونحن غير مقتولين» (٢ كو ٦ :٩).

وخدمة التأديبات الكنسية متصلة بسر الإعتراف لذلك فأب الإعتراف كخادم لابد أن يتقن التأديبات الكنسية كأدوية حياة ونجاة، يقدمها لله «خدمة مرضية بخشوع وتقوى» (عب ١٢ : ٢٨)لا يقدمها كنوع من إستظهار السلطان أو فرض القوة.. لأن الكتاب يقول «إلهنا نار آكلة» (تث ٤ :٢٤، خر ٢٤ :١٧، ٢ تس ١ : ٨) ومعلمنا بولس الرسول يحدد منهج هذه الخدمة فى الرسالة الى العبرانيين بقوله «قوموا الأيادى المسترخية والركب المخلعة، واصنعوا لأرجلكم مسالك مستقيمة لكى لا يعتسف الأعرج بل بالحرى يشفى. اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب. ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله. لئلا يطلع أصل مرارة ويصنع إنزعاجاً فيتنجس به كثيرون» (عب ١٢ :١٢-١٥).

ومن مراجعة هذا النص نلاحظ:

١ - **التقويم:** «قوموا» إذ ينبغى أن يجاهد أب الإعتراف لتصحيح إعوجاج

الرأى والسلوك، أو إنحلال الجهاد وتراخى وكسل المقاتلين.. وليس بخلاف أن تقويم يد مسترخية أو ركبة مخلعة لن يتم بدون صراخ المريض ومنع التقوم بسبب الشفقة هو إنحلال أيضاً..

٢ - **المسالك المستقيمة لأقدام المقوم**.. فكيف يقوم أحد آخر ومسالك أرجله معوجة.. إن السلوك المستقيم والقدوة الظاهرة هى وسيلة معاونة فى خدمة التأديبات الكنسية.

٣ - **السلام مع الجميع** لأن التأديبات أدوية لا خصومات.. وربما يفهم بعض المعترفين عن خطأ نتيجة حدوث مصادمات مع البعض - أن تأديبات الكاهن فى الإعتراف إنتقامية لا خلاصية..

ولذلك فإن قوانين الكنيسة تنص على أنه إذا إستخدم حق الكاهن فى توقيع تأديب على أحد فى غير محله (أى بهدف إنتقام أو بهدف إذلال) فهو يرتد على الكاهن نفسه؟ «إن حكمتم على أحد ظلماً فإعلموا أن الذى خرج من أفواهكم يرتد على أنفسكم» (الدسقولية ٨).

٤ - **القداسة أو الطهارة (بحسب النص القبطى للآية)**: فالطهارة هى الوقود الذى يضمن إضرام خدمة التأديبات بإستمرار إلى ذبيحة حب رائحة رضا لدى الرب.

٥ - **الملاحظة** أى ملاحظة أثر التأديب على المعترف من ناحية وملاحظة إنتظام المعترف على قبول التأديب من ناحية أخرى..

+ فملاحظة أثر الدواء على المعترف قد تظهر فائدة فنبارك الله لأجلها، وقد تظهر ضرراً فنغير الدواء.. والطبيب الماهر يخرج من كنزه جدداً وعتاق، لا يتمسك بدواء واحد.. بل يهدف إلى أثر واحد بأدوية متنوعة.. بعضها شراب

وبعضها حقن وبعضها أقراص..

فلن يعدم أب الإعتراف المختبر من تغيير تأديب فى الشكل أو الممارسة إنما تهدف فى النهاية لأثر واحد فى علاج الضعف المهتم به..

لأن ترك ضعف ظاهر قد يستمر فى حياة المعترف ويتمادى الشر فيه فيصبح أصل مرارة أو مصدر إزعاج للكثيرين.. ويكون السبب تهاوننا فى تقويمه بالدواء النافع.

+ أما ملاحظة إنتظام المعترف على قبول التأديب فهو يحتاج إلى متابعة مستمرة يلجأ إليها بإبقاء المعترف معنا فترة من الزمان يعايشنا ونعايشه ونتابعه ويناقشنا حتى نصل إلى ثمر، وإما عن طرق التدوين المستمر فى أجندة الإعتراف ومتابعة ذلك فى كل جلسة إعتراف، وإما عن طريق السؤال المستمر بواسطة التليفون أو خدام مرشدين.

ملاحظـــــةهامـــة:

فى الواقع أن قبول المعترف للتأديب بركة عظيمة. أما عصيانه. للتأديب فهو مخالفة للروح القدس وسقوط فى خطية جديدة..

لذلك فأب الإعتراف المحب هو الذى يمارس كل تأديب مع أولاده أو بعيداً عن عيونهم، وفى أثناء ذلك يقول للرب «إقبل يارب منى هذا التأديب عن أولادك الذين يعاقون عن تقديمه إليك. ولا تجعل علىّ ولا عليهم خطية عصيان مشورة روحك القدوس فى الإعتراف». واذا عرف الأبناء المحبين أن تأديبات سلامهم وخلاصهم سوف تقع على أبوهم فسوف يقبلون على طاعتها شفقة بأبيهم وحباً له فى البداية حتى إذا تجرعوا لذة شفائهم أقبلوا عليها من أجل طاعة المسيح ومن أجل نجاتهم.

الإنسان التائب

يستعمل أسلحة النصرة ضد الخطيّة

طبيعة صراع التائب مع الشيطان:

حينما تلتقى نعمة الله مع التائب، وتقوده إلى التوبة الصادقة فى محضر الله والكنيسة والناس.. فإنه يخرج من قبالة الله مع كل ضعفة من ضعفاته بكل القوة الكائنة فى الله المحب الذى وعد أن «يعطى المعى قدرة، ولعديم القوة يكثر شدة» (أش ٤٠: ٢٩).

إن الإنسان الذى نفر من الخطية وأقر بها يجد ذاته فى محضر الله القوى الذى يقف معه فى كل صراع ضد إبليس ويغلب أيضاً. ونشكر الله أنه إختار لنفسه لقب «الأسد الخارج من سبط يهوذا» (رؤ٥: ٥)، لأنه إن كان إبليس خصمنا «أسد زائر يجول ملتمساً من يفترسه» (١ بط ٥: ٨) فإلهنا فى قوته أسد غالب بالنصرة يحامى عنا ويغلب بقوة.

ما أعظم ما إختبره ماربولس الرسول إذ قال «ولكن الرب وقف معى وقوانى لكى تتم بى الكرازة ويسمع جميع الأمم فأنقذت من فم الأسد وسينقذنى الرب من كل عمل ردىء ويخلصنى..» (٢ تى ٤: ١٧، ١٨).

إن ملكوت الله الذى قال عنه الرب يسوع أنه «فى داخلكم» يأتى إلى

التائب الذى فرغ ذاته أمام الله والكنيسة، ليحل فى داخله بقوة وشدة تؤازره مؤازرة صادقة ضد عدو الخير.

مبارك هـو الرب الذى أعطى تلاميذه الإثنى عشر ـ كنواة للكنيسة كلها ـ «قوة وسلطاناً على جميع الشياطين» (لو ٩:١).

هذه القوة والسلطان مازالت تنتظر التائب وهو يخرج من حجال الله والكنيسة تائباً.. لذلك تجده منشداً نشيد مار بولس الرسول: «فقال لى الرب: إن قوتى فى الضعف تكمل» (٢ كو ١٢:٩).

ياعزيزى إن قوة الرب وشدته التى تؤازرك فى التوبة، مع إقتدارها فى الخلاص والنصرة إلا أنها لا تمثل بالنسبة لك سهولة فى الجهاد أو تقدم لك أرضية مفروشة نحو الملكوت.

لأن إبليس ينتظرك بعد كل لحظة مقدسة تقضيها تائباً فى محضر الله والكنيسة بمكائد وحيل كثيرة ومتنوعة، ولن يفتر فى مهاجمتك مع أنك تحمل قوة الرب وشدته.

وهـذه المكائد لم ينجـو منها تائب، ولم يخفيها قديس.. لأنها طبيعة فى الشيطان أن يقاوم كل سبل الله المستقيمـة فى التائبـين. ولكن هذه الطبيعة الشريـرة بنعمة الله تذلل فى الحياة التائبـة. وإن كـان فى القديم قد أقـام الله فرعون يطغى ويذل شعبـه إلا أنه قال لفرعون: «أنى لهذا بعينه أقمتك لكى أظهر فيك قوتى ولكى ينادى بإسمى فى كل الأرض» (رو ٩:١٧، خر ٩:١٦). فقـوة الرب وشدتـه فى التائب تذلل كل مكيدة وتظهر كل دنس يلقيه الشيطان بكامل قوته وأسلحته.

الإنسان الذى يقبل المعمودية حينما يرفع يديه ووجهه للغرب ويقول «أجحدك أيها الشيطان وكل عبادتك المرذولة وكل طرقك، وكل حيلك، وكل سلطانك، وكل جيشك، وكل بقية نفاقك» ثم يتجه للشرق وينادى الرب يسوع «أعترف لك أيها المسيح إلهى وكل ناموسك المخلصة، وكل خدمتك المحيية، وكل أعمالك المعطية الحياة».. ذلك المعمد تمتد هبات الخلاص فى المعمودية ليبصر وهو تائب قوة الله التى تسنده، ومكايد إبليس التى تنتظره.. وفى ثقة الغالب بالمسيح يرفع يديه إلى فوق ويقول: «أحبك يارب ياقوتى» (مز ١٨:١) «إسندنى فأخلص» (مز ١١٩:١١٧).

والمكايد والحيل الكثيرة التى ينصبها الشيطان للتائب كفخاخ لإسقاطه تحت الخطية هى عدته فى الصراع الروحى الدائر بينه وبين الرب يسوع فى حياة التائب.

وقد يستخدم فى ذلك الرؤساء بما يحملون من سلطات، ويجرون مرؤوسيهم فى خطايا كثيرة إما فردياً أو بالإشتراك معهم. لقد عمل الشيطان فى «حنانيا وقيافا» وهما من رؤساء الكهنة وإستعمل سلطانهم الناموسى ليهيج الشعب الذى كان قد خرج كله وراء المخلص. وهو الذى عمل فى نيرون طاغى روما لكى يضىء شوارعها بأجساد القديسين. وهو الذى عمل فى تراجان الإمبراطور وهو يصدر حكمه بطرح أغناطيوس حامل الإله للوحوش. **وليس الرؤساء الذين يعطون إرادتهم للشيطان هم وحدهم الذين يستعملهم الشيطان ضد التائب، بل وأيضاً كل من له سلطان..فى التربية فى داخل البيت، فى التعليم، فى العمل، فى الكنيسة**.. كل من له سلطان يسعى نحوه إبليس ليستخدمه ضد التائبين .

أليس هو الذى يعمل فى الأم بسلطانها الأمومى لكى تجبر إبنتها التائبة

على اللبس غير المحتشم أو التزين بمساحيق أو أصباغ كثيرة؟! أليس هو الذى يستخدم سلطان الأب ليجبر إبنه التائب على فض صومه والحفاظ على صحته؟!!

إن الصراع الروحى الذى يقوم بين الله فى التائب والشيطان الذى يعمل فى أصحاب السلطات صراع مقدس يسند الله فيه التائب الصادق المحب له وللإنجيل.

والله صاحب كل سلطان، حينما يسند التائب بسلطانه الإلهى يستخدم هذا السلطان لخير الناس وخلاصهم وليس لإرعابهم أو إخافتهم.. لذلك نوصى أصحاب السلطات ألا يستعملوا سلطانهم إلا فى النفع الروحى لمرؤوسيهم وسند كل ما يؤول إلى خلاصهم.

وفى بعض الحالات التى يرى فيها الشيطان تائب نامى بقوة، لم يقع تحت مكيدة من مكائده، يستخدم «جنود الشر الروحيين» فى ممارسة الحرب ضده.. وقد يظهرون للتائب فى صورة حسية مرئية تثيرالرعب فى قلبه، وتجبره على تغيير مساره.

فحينما رأى أيوب البار «رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر» حتى أنه لم يكن مثله فى الأرض فى ذلك الزمان، لم يستحى الشيطان أن يظهر بذاته أمام الله يطلب السماح لتجربته وإتعابه (أى ١ : ٨، ٩) وحينما رأى جهادات أنطونيوس وتصميمه على الوحدة والإنفراد للصلاة إتخذ أشكال حيات سامة ووحوش ضارية تدخل عليه مغارته لتثير من حوله الرعب. أما أنطونيوس فكانت قوة الله تظهر معه فى مجرد رسمه للصليب فتتحول هذه الأشكال كلها إلى دخان!

ياعزيزى التائب، صراعك مع الشيطان طويل.. طويل، ومستمر إلى اليوم الذى تستريح فيه فى أحضان المسيح.

على رأى أبا مقار عندما قال له عند الموت «خلصت يامقارة الآن» فكان رده «لم أخلص بعد» ولم يقل هذه العبارة إلا حينما وجد ذاته فى أحضان الرب يسوع فقال «الآن فقط خلصت».

هذا الصراع الطويل المرير مع الشيطان، لا ترهب فيه شيئاً ولاتتزعزع، يسندك مادمت تطلب سنده، ويحفظك ما دمت تحفظ ذاتك له، ويمنحك قوة بعد قوة مادمت تعرف أنها «من قوة يمنحها الله» (١ بط ٤ :١٠).

نعم يارب «طوبى لأناس عزهم بك. طرق بيتك فى قلوبهم. عابرين فى وادى البكاء يصيرونه ينبوعاً. أيضاً ببركات يغطون مورة. يذهبون من قوة إلى قوة. يرون قدام الله فى صهيون» (مز ٨٤ :٥ـ٧).

والقوة التى يمنحك الله إياها فى صراعك مع الشيطان قوة غير منظورة لكنها محسوسة فيما تركه لك من أسلحة النصرة تحملها على عنقك، وتلبسها كل أيام حياتك..

ما هى هذه الأسلحة؟

هذا السؤال يقودنا إلى نقطة أخرى..

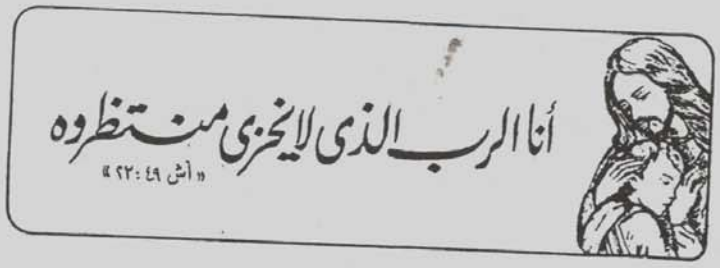

سلاح الله الكامل

الله فى محبته للتائب لا يمكن أن يتركه وحيداً فى مجال الصراع مع الشيطان. لكنه بقوة وإقتدار يعمل من خلال أسلحة الكمال المسيحى ليسند التائب ويدعم جهاده.

والله «كامل»، وفى كماله يمنح السلام الكامل القادر على النصرة ومتابعة الجهاد فى كل موقع من مواقع الحرب المريرة التى يشنها الشيطان على التائبين.

وسلاح الله الكامل يعطى كهبة للتائب للمقاومة ضد إبليس، والمقاومة ضرورة لمن يتعرض للهجوم. ولكن كيف يقاوم التائب دون سلاح يحمله؟!!

والذى نلاحظه **أن الله حتى فى صراعه مع الشيطان لا يهاجمه، ولا يعطى أولاده التائبين أسلحة هجوم**.. فهو لم يسعى إلى لقائه فوق جناح الهيكل، لكن الشيطان كشرير هوالذى بدأ الهجوم والتجربة، وحينما بدأ قاوم وانتصر..

ياعزيزى إن أسلحة الكمال المسيحى لا تستعمل فى الهجوم على الشيطان، ولا ينبغى إستخدامها لذلك. **فالتائب الذى يشعر بضعفه كيف يهاجم الشيطان؟!** لذلك كان أبا أنطونيوس حينما تحاربه الشياطين يقول

لهم «أنى أصغر عن أن أقاتل أصغر أصاغركم»! وكان بهذا وحده يغلب.

لهذا يقول الإنجيل «**قاوموا إبليس فيهرب منكم**» (يع ٤:٧). وحمل السلاح الكامل يعطى القدرة على المقاومة فى اليوم الشرير الذى يسلط الشيطان فيه شره على التائب.

وإن كان سلاح الله الكامل يوهب للمقاومة، فهو نعمة لثبات التائب غير متزعزع بل مكثر فى فعل التوبة. والثبات فى المسيح هبة يقبلها التائب الذى يحمل السلاح ويتمم كل مقتضيات حمله على أكمل وجه.. فالجندى الذى يحمل السلاح ولا يستخدم طلقاته كيف يثبت أمام عدو مقاتل يقذفه بوابل من النيران؟!

وثباتك ياعزيزى التائب هو فى إستخدامك السلاح الكامل لله إستخداماً صحيحاً كل أيام حياتك.

كيف يكون هذا الإستخدام صحيحاً؟ هذا ما نود أن تكشفه نعمة الله لك ولضعفى الآن.

أنا هو
الطريق والحق والحياة
«يو ١٤:٦»

(١) سر القربان المقدس:

فى اليوم الأخير من حياة الرب يسوع بالجسد على الأرض، جمع تلاميذه حوله فى العلية وسلم الكنيسة سراً من أسرار الثبات فيه.. إذ «أخذ يسوع خبزاً وبارك وأعطاهم وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى. ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم وقال لهم هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين» (مر ١٤: ٢٢، ٢٣) وهو الذى سبق فقال لهم على مرأى من اليهود: « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد إبن الإنسان وتشربوا دمه فليست لكم حياة فيكم. من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير. لأن جسدى مأكل حقيقى ودمى مشرب حقيقى، **من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه**» (يو ٦: ٥٣-٥٦).

هذا السلاح المقدس للثبات يلبسه التائب بلهفة وشوق مثل شوق الجندى إلى طعامه وهو فى حلبة الميدان.

والتائب يسرع إلى المذبح يلتف حوله ويسجد فى خشوع ينادى المسيح فى سر القربان وهو يذكر أثر المسامير فى يديه والحربة فى جنبه «ياجراح المسيح إجرحينى بحربة الحب الإلهى. ياموت المسيح أسكرنى بحب من مات من أجلى».

وحينما يرتشف من كأس الحياة قطرة ينادى «يادم المسيح طهرنى من كل خطية.. يايسوع حبيبى إذا رأيتنى عضواً يابساً رطبنى بزيت نعمتك وثبتنى فيك غصناً حياً أيها الكرمة الحقيقية».

إن التائب فى مذاقه الروحى لسر القربان المقدس يستطعم مذاقة النصرة التى صنعها الرب يسوع فوق الجلجثة. فيتقدم إليه فى كل وقت مناسب باق فى مذاقة النعمة وحلاوة حب المخلص أن تثبته وهو واقف فى صراعه مع الشيطان.

والتناول من جسد الرب ودمه الأقدسين دواء يتعاطاه التائب لكى فى ذبيحة الرب يكمل نقائص جهاده وضعفاته، كما ينال القوة الخفية التى تشعل فى قلبه شوق الأبدية ولذة الجهاد ضد الخطية. والدواء إستحقاق للمريض الذى يشعر بمرضه ويطلب الشفاء.

لذا جُعلت الكنيسة **هذا السر متمماً لسر الإعتراف**، إذ بعد أن **يقدم التائب إعترافه لله وللكنيسة تلزمه بضرورة التناول للثبات فى المسيح. بل وتحذره أيضاً فى قانون كنسى صريح «الذى يمتنع عن التناول أربعين يوماً يحرم نفسه بنفسه من الكنيسة»!**

ومن خلال صلوات الليتورجيا التى يتقدس أثناءها القربان يشاور التائب الله فى كل محارباته، ويطرح ضعفه أمام لاهوته الكامل على المذبح.. مستعيناً بشفاعات الكنيسة المنتصرة من أرواح القديسين الذين نلاقيهم خلال الليتورجيا روحياً، وطلبات الكنيسة المجاهدة وعلى رأسها الشفيع الخادم لسر القربان.

ياعزيزى التائب لا تهمل دعوة تثبيت جهادك بسر القربان. بل فى لهفة قل له: «**حتى يارب لو كنت مكسوراً فى جهادى فإنى بين يديك.. تستطيع أن تحول من إنكسارى إشباعاً لنفسى ولجموع من التائبين مثلى، تماماً كما إنكسرت بين يديك الخمسة خبزات فحولت إنكسارها**

إلى إشباع خمسة آلاف رجل عدا النساء والأولاد..

يا إلهى حتى ولو أنى مكسور فى جهادى، منهزم فى صراعى مع الشيطان.. لكنى أختار الإنطراح بين يديك وأنت قائم بملء لاهوتك فوق المذبح، لكى تحول إنكسارى إلى إشباع وتعزية لنفسى وإختباراً وبنياناً لكنيسة المجاهدين التائبين»..

ومن خلال عشرة المذبح، وثبات سر القربان يستطيع التائب أن يقول فى أوج الصراع مع الشيطان «ثابت قلبى ياالله» (مز ٥٧: ٥، ١٠٨: ١). ويستطيع الذين من حوله أن يقولوا أن «قلبه ثابت متكلاً على الرب» (مز ١١٢: ٧) الذى يحل فى أحشائه فيمتزج كل كيانه بنصرته.

(٢) سر الصلاة:

لم نرى أبلغ تعليم أعطاه الرب يسوع لنا، وهو يجتاز صراعنا مع الشيطان «مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية» (عب ٤: ١٥)، وهو يرى كأس إثم العالم كله ماثل قدامه ليتجرعه إلا أنه إنفصل عن تلاميذه «نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى» (لو ٢٢: ٤١).

فلم يكن وهو إله يحتاج لصلاة، لكنه رسم أمامنا فى جهاده مع الشيطان أن نصلى، وقال عن الشيطان« هذا الجنس لا يخرج بشىء إلا بالصلاة والصوم» (مت ١٧: ٢١، مر ٩: ٢٩).

ولا يوجد شىء يقاومه الشيطان فى حياة التائب مثل مقاومته للصلاة والتعلل من إرتباطاتها بشتى الأعذار والحجج المنطقية.

لكن **التائب يقف يصلى** لأنه يعلم أن الصلاة هى الوقوف قبال الله وشكوى النفس والخطية أمامه.. وهى سند سماوى ضد جنود الشر الروحيين.. لقد ظهر ليسوع وهو يصلى «ملاك من السماء يقويه» (لو ٢٢: ٤٣)، ولم يكن وهو الله القوى فى حاجة إلى قوة ملاك.. لأن الملاك يستمد قوته من الله.. بل ليظهر للتائبين أن الصلاة يعقبها مؤزارة من السماء وقوة تسند فى الجهاد.

لهذا يسرع التائب نحو الصلاة، وبيت الله بيت الصلاة.. كالأيل العطشى الذى إذ يرى الماء يجرى.. ويحترم كل ميعاد للصلاة يرتبه لنفسه، أو ترتبه الكنيسة للمؤمنين، إحترام أجل وأقدس من إحترامه لمواعيده مع العظام من الناس.

والتائب لا يبحث عما يصليه لأنه يصلى «بكل صلاة وطلبة» محفوظة أو مقروءة أو ملحنة أو مرتجلة.. إن كل صلاة عنده يستطيع أن ينفذ منها ليحدث الله عن ضعفاته.

فهو لا يعرف نوعاً من الصلاة.. بل يتعلم فى مخدعه صلوات المزامير، وصلوات التسبحة اليومية، وصلوات إرتجالية.. إنه يعرفها جميعاً ويستخدمها كلها لأن فى كل منها فرصة لقاء مع قائد جيش الخلاص فى الصراع مع الشيطان.

والتائب فى إستعماله كل صلاة وطلبة لا يشعر بملل أو تعب لأنها تحوى عنصر التجديد الذى يشبع حاجة الإنسان دائما للجديد.. وهو لذلك

يصلى «كل وقت فى الروح».. قلبه وذهنه منشغلان بالصلاة كتعبير عن حبه لله الذى يقاتل عنه..

ولا يجد فى المناسبات الكنسية فرصة التهريج أو كما يقال الفرفشة لأنه فى كل مناسبة يصلى بالروح، ويقتل ذكريات المناسبات فى فهم روحى، ورفع قلبى لذاته أمام الله..

والتائب وهو يرى فى الليل خير صديق، يحوله إلى نهار بالسهر واليقظة... فيجد فيه مشابهة للرب يسوع الذى كان يقضى «الليل كله فى الصلاة» (لو ٦: ١٢). فيرتب لنفسه ليال للصلاة إما فردياً أو بمصاحبة تائبون آخرون، يجدون فى هدوء الليل وسكونه وضوح صوت الله المعلن للمجاهدين.

«أصلى بالروح وبالذهن أيضاً أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً» (١ كو ١٤: ١٥).

لقد كان يسوع يقول لتلاميذه دائماً «لماذا أنتم نيام، قوموا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة» (لو ٢٢: ٤٦).

والكنيسة إذ تسمع هذا النداء دوماً، ترتب لأولادها تداريب سهر جماعية تعودهم فيها على سهر الليل للصلاة.. مثل أوقات شهر كيهك وليلة أبو غلمسيس.. وكأنها تنادى بالإنجيل فى صمت التدريب «واظبوا على الصلاة ساهرين فيها» (كو ٤: ٢).

والتائب، الذى عرف قوة هذا السلاح، يواظب على الصلاة مواظبة دورية، مهما كانت حالته... فى المرض والصحة، فى الضعف والقوة، فى

الفرح والحزن، فى التعزية والفتور، فى التركيز والتشتيت.. فى **كل حال يصلى**، لا لطلب تعزيات الصلاة فقط بل لحبه للوقوف بين يدى من أحبه، وكالطفل الذى يقف بين يدى أبوه يتراءى قدام الله سنده ومعينه فى التوبة سواء حصل على تعزية أم لم يحصل. إن التعزية ليست هدفه إنما هدفه هو قول إيليا النبى: «حى هو رب الجنود الذى أنا واقف قدامه».

والتائب الذى يسلم ذاته للنعمة فى إستخدام سلاح الصلاة يعطيه الرب فيضاً من التعزيات والمواهب، لا تعتمد على إستحقاقه الخاص بقدر ما تعبر عن محبة المسيح للخطاة التائبين..

ومن أمثلة ذلك **هبة الدموع** التى صارت كينبوع من عينى المرأة الخاطئة وهى تمارس التوبة عند قدمى يسوع حتى إستدعى الأمر منها أن تنشف قدمى يسوع بشعر رأسها.

وهى الهبة التى صنعت أخاديد واضحة على وجه أبا أرسانيوس معلم أولاد الملوك، وهى التى طلبها أرميا النبى بوفرة «ياليت رأسى ماء وعينى ينبوع دموع».

وحينما لا يعطى التائب هبة الدموع يقول لله: إن حرمتنى من دموع عينى فأهلنى يارب أن أشترى دموع المساكين..

إذ يبحث التائب عن المكروبين والمذلين والمرضى والمسجونين يشحذ منهم دمعة تجد نصيبها فى صلاة التائب.. فيقف ولجميع القديسين والمتعبين مكاناً فى صلاته، يذكرهم كمن يذكر شركاء له فى التوبة والجهاد والمجد معاً... ويرى أن ذلك أبلغ تعبير لحب المسيح تجاههم..

ويكفى أن حب التائب للمتعبين والطلبة من أجلهم تثبته فى جهاده وتحفظه فى توبته «من يحب أخاه يثبت فى النور» (١ يو ٢ :١٠).

والتائب حينما يصلى يستعمل السجود الروحى علامة شكر لله الذى يعينه ويسنده، وعلامة تذلل عما إقترفه من إثم واجب الندم والمسكنة.. وكلما إزداد تذوقه لحلاوة التوبة كلما إزداد نموه فى ممارسة السجود نوعاً وكماً بدون إفتعال أو تكلف.

(٣) سيف الروح:

الذى هو «كلمة الله» (أف ٦ :١٧)، وهو ذات السلاح الذى إستخدمه سيدنا يسوع فى صراعه مع الشيطان فوق الجبل. فلم تكن إجابات الرب يسوع عليه سوى فقرات من الناموس الذى أعطاه لموسى (تث ٨ :٣، مت ٤ :٤)، (تث ٦، ١٦، مت ٤ :٧، تث ٦ :١٣، مت ٤ :١٠).

وقد وضع الرب يسوع حفظ كلامه علامة لحبه، ووسيلة للثبات فى معرفته «إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى» (يو ١٥ :١٠).

إن التائب يلازم الكتاب المقدس، والكتاب المقدس يلازمه فى كل مكان وكل زمان. لأنه يعرف أن كله «موحى به من الله» (٢ تى ٣ :١٦) (٢ بط ١ :٢١)، **وانه حينما يلازم الكتاب يسير مع الله..** والذى يسير مع الله يختبر ما إختبره أخنوخ البار الذى قيل عنه «ولم يوجد لأن الله نقله» (تك ٥ :٢٤).

يفهم كلامه كما يفهمه تلميذى عمواس حينما كان يمشى معهم يسوع مفسراً إذ «إبتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب» (لو ٢٤ :٢٧).

والتائب يلازم الكتاب المقدس **يومياً كغذاء تقوى به نفسه** يدرس فيه، ويتأمل الله المحب فى كل كلمة من كلماته حتى أسماء المدن وأسماء الأشخاص وأسماء الجبال يجد فيها لقاء صادق مع الرب يسوع..

وهو لذلك يحرص على ميعاد ثابت يومى، يكون فيه يقظ الذهن وصحيح البدن، ليسمع فيه تعزيات الله الكثيرة..

والتائب مع شدة القتال وضرورة الصراع مع الشيطان ربما يجرح، **فيجد فى كتاب الله المقدس ما يعصب جرحه ويضمد كسره. «عند كثرة همومى فى داخلى تعزياتك تلذذ نفسى»** (مز ٩٤ :١٩) فيقول حتى فى سقوطه «وجدت كلامك فأكلته، فكان كلامك لى للفرح ولبهجة قلبى» (أر ١٥، ١٦).

والتائب يجد فى الكتاب المقدس المبادىء المستقيمة للحياة، والسبل الشريفة فى الجهاد.. يأخذ منه روحاً تميز الغث من الثمين، ونوراً يستضىء به فكره وضميره «سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى (مز ١١٩ :١٠٥). «لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته» (عب ٤ :١٢).

لذلك يستعمل هذا السيف ليقطع عنه كل المبادىء الغريبة والتعاليم الردية التى يبذرها الشيطان لضلال التائب. ويحس أن إستعماله فى ظروف

الحياة كلها سر للنجاح وطاقة للنصرة.

لهذا نجد **التائب يجهد نفسه فى فهم آيات الكتاب المقدس، ويباشر بنفسه بحوثاً ودراسات تهدف إلى تمكين روحه من إنطلاقها نحو الأبدية. وقد يقضى الليل والنهار فى ذلك، فيقضيهما بمسرة وشغف.** إنه يصنع مثل من طوبه داود النبى فقال «طوبى للرجل الذى فى ناموس الرب مسرته، وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً.. كل ما يصنعه ينجح» (مز ١: ١، ٣).

وحتى إن سقط وعثر يرجع للكتاب فيجد فيه إصلاحاً لطريقه وعودة للنصرة «لا يبرح سفر الشريعة من فمك.. حينئذ تصلح طريقك وحينئذ تفلح» ٠(يش ١: ٨).

التائب يحفظ كثرة من كلام الكتاب المقدس حفظاً غيبياً، وفى كل أحاديثه يجتر ما قد حفظه من كلام الله..

ليس الحفظ لكلمات الكتاب فقط، بل ولروح الكتاب أيضا. فالتائب يأخذ من الكتاب يومياً آية أو أكثر تتلامس مع حاجته للتوبة ويمارسها ممارسة عملية طوال اليوم. يضعها نصب عينه طول النهار لكى تنطبق فيه كلمة الرب «الكلام الذى أنا أكلمكم به هو روح وحياة» (يو ٦: ٦٣).

ولذا لا نعجب من أبا صرابمون حينما لاقاه شحاذ وطلب صدقة فلم يجد غير إنجيله بيده فأعطاه له يبيعه ويأخذ ثمنه صدقة، ولما مر به طالب آخر لم يجد غير ثوبه فخلعه وسار عرياناً. وإذ لاقاه تلميذه إندهش وقال له ما الذى عراك ياأبى؟ أجاب أباصرابمون: الإنجيل ياولدى.. فقال تلميذه وأين هو؟ أجابه صرابمون: كان يقول لى إذهب بع كل ما لك وتعال إتبعنى؟!!

لذا سيقضى التائب عمره يجتر كلام الله ولا يشبع لأن فى كل يوم يوجد ميداناً جديداً لكلمة الله فى حياته، حتى اليوم الذى تصبح كلمة الله ناطقة فى كيانه وكلامه بل وفى صمته أيضاً. فيصبح التائب ذاته سيفاً يرهبه الشيطان، تنكسر به كل قتالاته الردية.

وكما أن التائب فى سماعه أو قراءاته أو دراسته لكلمة الله يكون جزعاً ورعاً ومرتعداً «من كلامك جزع قلبى» (مز ١١٩: ١٦١) نجده هو يتحول كحامل كلمة الله رعب للشيطان وذعر لمجمعه الردىء. لهذا يكتب مار يوحنا رسالته ويقول: «كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير» (١ يو ٢: ١٤).

إن أنبا أنطونيوس الذى سمع عبارة واحدة من الكتاب المقدس أثناء القداس الإلهى «إذهب بع كل مالك وتعال إتبعنى» إذ حولها إلى حفظ حقيقى بمعيشته الرهبانية وإنفراده الصادق المتوحد صارت الشياطين تفزع منه وترهبه، حتى أن مجرد ذكر إسمه كان يخرج الشياطين من المرضى بالأرواح النجسة!.

(٤) منطقـــة الحق

إن سيف الروح الذى يحمله التائب فى قتاله مع الشيطان لا يمكن حمله بسهولة ويسر إن لم يتمنطق التائب بمنطقة الحق.. لذلك قال ربنا يسوع لتلاميذه «لتكن أحقاؤكم ممنطقة..» (لو ١٢: ٣٥).

والمنطقة التى يحملها التائب تشد حقويه بالحق، «حق الإنجيل» (غل ٢: ٥، ١٤) الذى رآه مار يوحنا الحبيب فى شخص الرب يسوع فقال عنه أنه «متمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب» (رؤ ١: ١٣).

فالتائب الذى تقابل مع الرب يسوع مقراً بأفعاله أمام الكنيسة يخرج من حجال الله ليقول: «حللت مسحى ومنطقتنى سروراً» (مز ٣٠: ١١). **لأن التوبة فى حياته جعلت يسوع المنطق بمنطقة ذهب علامة الملك، يملك على قلبه وأفكاره وسلوكه** فيعلن حق الإنجيل كما هو..

إن التوبة فى حياة التائب تعطيه إستنارة قلبية وفكرية لا حد لها وتعلن أن ابن الله قد جاء **وأعطانا بصيرة لنعرف الحق»** (١ يو ٥: ٢٠)، تجعله يعلن الحق فى حياته أولا **فيعيش** كما يحق لإنجيل المسيح (فى ١: ٢٧).

فيكون التائب بحياته شاهداً للحق، لا يخشى أن يقول الحق مهما كان ثمن كلمة الحق.. فالمسيح الحق الذى فيه لا يمكن أن يكون مخبئاً تحت ستار مبررات واهية تستر الباطل فى خداعه وضلاله.

لكنه حينما يقول الحق، يقوله كطبيب.. **لا ليجرح ويشهر لكنه ليداوى ويصلح ويكسب أصدقاء جدد للحق. فالحق فى التائب يعلن بالهدوء واللطف..**

وحينما يقول التائب الحق، أو يكتبه، أو يجريه بالقضاء بين الناس **يستعد لإحتمال المتاعب والآلام التى يفرضها سلطان الباطل وكل أتباعه على التائبين المتمسكين بالحق..**

إن لبس المنطقة فى حياة التائب **لا يكفى أن تكون موضوعة على حقوية بل أن تكون «مشدودة»**، فهو لا يلين فى مبادىء الحق مهما كلفه الأمر من مشقة. يظل متمسكاً بها حتى ولو دفع حياته ثمناً لأجلها. «ومن أضاع حياته من أجلى يجدها».

إنه يحفظ الحق، ويعلنه فى قوة لا تعرف الإستضعاف، إنها القوة التى تجعل المقاتل يقظا على الدوام مستعداً للقتال. إن التائب فى صراعه مع الشيطان يصرخ صرخة الفدائيين فى ميدان القتال الروحى يشهد بالحق «الإله الذى يمنطقنى بالقوة ويصير طريقى كاملاً.. تمنطقنى بقوة للقتال، تصرع تحتى القائمين علىّ» (مز ١٨: ٣٢، ٣٩).

وإن كانت المنطقة الذهب التى تعبر عن تملك الرب يسوع لحياة التائب.. **فإن المنطقة يمكن أن تكون من الجلد،** مثلما كان يلبسها يوحنا المعمدان (مت ٣: ٤، مر ١: ٦)، وهنا تعبر عن **تمسك التائب بحق النسك فى حياته..**

إن التائب يقبل على الأصوام العامة فى الكنيسة، والخاصة المرتبة قانونياً لجهاده، ويتمسك بها فى قوة لأنها تحمل له فرص صفاء النفس والذهن الكافية لإحقاق الحق فى حياته ووسط العالم. «لذلك منطقوا أحقاء أذهانكم صاحين» (١ بط: ١٣).

إنه فى قوة المقاتل يأبى القنية، ويتحلل حتى من النحاس الواجب توفره فى المنطقة.. لئلا يعطله فى السعى ويشغله عن خلاص نفسه.. لعل لهذا قال ربنا للتلاميذ «لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم» (مت ١٠: ٩، مر ٦: ٨). **وإن كانت له قنية ما يستعملها لمجرد**

الإستعمال وليس لحب الإقتناء والإكتناز.. «فأقول هذا أيها الأخوة: الوقت منذ الآن مقصر لكى يكون **الذين لهم نساء كأن ليس لهم. والذين يبكون كأنهم لا يبكون، والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون، والذين يشترون كأنهم لا يملكون، والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه. لأن هيئة هذا العالم تزول. فأريد أن تكونوا بلاهم»** (١ كو ٧:٢٩-٣١).

هناك نوع آخر من النسك يحتاجه التائب، هو نسك العفة التى بدأ فى منطقة الكتان النقى - رمز العفة - والتى رتب الله بنفسه أن يلبسها هرون الكاهن حينما يكهن ويقف أمامه (لا ١٦:٤).

فالتائب الذى سلم زمام حياته للمسيح ليملك، ينعتق من أسر إبليس ويتحرر حرية كاملة تبدأ من داخله بحرية العفة التى يمثلها الكتان.. «تعرفون الحق، والحق يحرركم» (يو ٨:٣٢).

إنه فى المسيح يتمتع بحرية أولاد الله، الحرية الكاملة التى يقول معها «كل الأشياء تحل لى»، لكنه فى تمنطقه بالكتان يمارس حرية العفة التى تعفف عما يدنس النفس والجسد فيتبع مفهوم الحرية الكاملة فى نطاق البنوية الكاملة لله «كل الأشياء تحل لى، لكن ليست كل الأشياء توافق» (١ كو ٦:١٢).

ولهذا **فإن الحق الذى يمنح الحرية للتائب يمنحه أيضاً قوة لئلا تصبح الحرية سترة لممارسة الشر..** «فاثبتوا إذاً فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية.. فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الأخوة، غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد» (غلا ٥:١، ١٣).

فالتائب يتمتع بحرية كاملة «كأحرار وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر بل كعبيد لله» (١ بط ٢:١٦). ولذلك **فهو يمقت كل وسيلة للنجاسة، ويتنازل عن كل صداقة تجره للدنس، ويعتبر ذلك ليس نوعاً من الكبت يعيشه بل هو حالة إنعتاق من الخطية وحرية كاملة للعفة التى أحبها الله ووشح التائب بها.**

بذلك وحده يثبت التائب فى جهاده، ويتأكد أنه سيقف دائما قبالة الله مسانداً بقوة نابعة من حب الله للعفة والأطهار.. «الطهارة التى بدونها لن يعاين أحد الرب».

«هذه هى إرادة الله قداستكم: أن تمتنعواعن الزنا، **لأن الله لم يدعنا للنجاسة بل فى القداسة»** (تس ٤: ٣، ٧).

«وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا. **إن كنتم قد سمعتموه** وعلمتم فيه كما هو حق فى يسوع أن تخلعوا من جهة التصرف السابق **الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور. وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان** الجديد **المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٠-٢٣)**.

العفة فى حياة التائب شعلة من الحب نحو الله، يستنير بها جهاد التائب، ويتقدس بها كأنها ذبيحة يمارس بها ذبح كل ميل بطال وكل صداقة معثرة، وكل قراءات دنسة.. ولا شك أن كل ذبح **يمارس يرافقه الألم والوجع والتنهد، وألم العتق من النجاسة أى حرية العفة هو البخور المتصاعد من ذبيحة الحب التى يقربها التائب لله على مذبح قلبه وجسده.**

والخلاصة ياعزيزى:

إن التائب الذى إلتقى بيسوع المتمنطق بالذهب، وجعله ملكاً على حياته، يملك زمام نفسه فيتمنطق بمنطقة النسك المقدس ليمارسه بحب الله وانعتاق من العبودية وحرية تعفف كل ما يدنس النفس والجسد.

(٥) حذاء الإستعداد

الإبن الضال عندما عاد إلى بيت أبيه، ورجع إلى التوبة جعل الأب «خاتماً فى يده، وحذاء فى رجليه» (لو ١٥: ٢٢).

هذا الحذاء كان يعنى بالنسبة للإبن التائب حالة من التأهب الدائب والإستعداد المستمر لتلبية كل مهام يكلفه بها الأب.

هذا ما جعل الرب يقول لبنى إسرائيل وهم يستعدون لعبور البحر الأحمر فى طقس خروف الفصح أن «تأكلونه وأحقاؤكم مشدودة وأحذيتكم فى أرجلكم» (خر ١٢: ١١) لكى عقب عشاء الفصح وضربة الملاك المهلك يحذون أرجلهم لعبور عظيم.

ولعل لهذا السبب نفسه يقول ماربولس «حاذين أرجلكم بإستعداد إنجيل السلام» (أف ٦: ١٥).

فالتائب تجده دائماً يذكر الخمس العذارى الحكيمات، إذ يشتاق أن يدخل فى عرس الختن الحقيقى يستعد ـ مثلما إستعدت أولئك الحكيمات ـ

إستعداداً يؤهله أن يدخل مع العريس فى عرس حقيقى.

ولذا **فالإستعداد عند التائب يحميه من عنصر المفاجأة التى تقود إلى هزيمة مرة لغير المستعدين**. فهو يعلم أن أكثر الحروب الروحية يشنها عدو الخير على التائب معتمداً على هذا العنصر إذ يباغته بما لم يستعد له باطنياً فيسقطه بسهولة ويسر.

والتائب ينظر لفعل الشيطان ويضحك كما تضحك المرأة الفاضلة على الزمن الآتى (أم ٣١: ٢٥) لأنها سبق فأعدت حلل الشتاء قبل الثلج، وطعام الصباح أثناء الليل.

إنه يتعلم من النملة التى ليس لها قائد أو عريف أو متسلط لكنها «تعد فى الصيف طعامها وتجمع فى الحصاد أكلها» (أم ٦: ٦ـ ٨).

التائب، قبل كل عمل روحى أو إدارى أو إجتماعى يعد نفسه إعداداً أميناً يحميه من مفاجآت الحروب والتكتلات والشقاقات التى يبذرها عدو الخير وسط النائمين غير المستعدين. وحينئذ يكون مستعداً أن يسمع صرخة كل مقاتل مثله، وأنين كل متعب نظيره، فإستعداده يؤهله أن يسمع لصراخ المساكين، ويكفف دموع العاثرين.

إن التائب مستعد لكل نداء إلهى ينطق فى باطنه فى يقظة مستعدة لأن تسمع وقع الأقدام من بعيد وحفيف الأشجار أثناء الليل. . إنه يقول دائما «تكلم يارب فإن عبدك سامع».

تجده أيضاً مستعداً لمجاوبة كل من يسأله عن سبب الرجاء الذى فيه (١ بط ٣: ١٥)، مجاوبة اليقين والإختبار لا مجادلات العلم والفلسفة وقباحات

المباحثات الردية.. يبحث ويدرس ويقرأ ويختبر، فإن أجاب يجيب عن علم وإختبار معاً.

الإستعداد لأنه يرى فيه تزكية له حينما يقف موقف الإتهام أو يطلب للدينونة.

وهو لذلك يرى الموت أمامه كل يوم، لا يرهبه.. بل ليذكره أنه فى الحد الفاصل بين الغربة المتاح له أن يعمل فيها ويثمر قبل أن ينتقل إلى مكان الإستيطان. حيث هناك يرقد وأعماله تتبعه (رؤ ١٤:١٣).

إنه يرى الموت أمام عينه على الدوام فحتى حينما ينام فى الرب لا ينام نوم الموت، بل نوم الأحياء الذين يسمعون صوت الرب يسوع: «ها أنا آتى سريعاً وأجرتى معى وسأجازى كل واحد كما يكون عمله» (رؤ ٢٢:١٢).

لذا قال الرب لتلاميذه: «كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى إبن الإنسان» (مت ٢٤: ٥٥، لو ١٢:٤٠).

إنه لا يقول قول بطرس بإنفعال العاطفة «يارب إنى مستعد أن أمضى معك حتى إلى السجن وإلى الموت» (لو ٢٢:٣٣)، لكنه يحسب نفقة المضى معه، وحمل الصليب وراءه.. فيأتى فى فهم لمسئوليته وتحديد واضح لإرتباطاته يقف خلف السيد ويقول «لست أهلاً لأن أدعى رسولا» (١ كو ١٥:٩) وقوتك يارب فى ضعفى تكمل.

لذلك لا نستغرب أن بعض التائبين يضعون فى مخادعهم جماجم

أموات، أو صور لجماجم أموات، يزورون قبور الأموات ويجلسون عندها لا للتعجب العاطفى بل للإستعداد الباطنى بالتوبة للحظة الموت.

والتائب الذى يقضى كل زمانه فى حالة إستعداد، هو التائب الذى يستثمر المواهب الفياضة التى لوزنة العقل، والتى بها يدبر الإنسان خلاصه.

فالإستعداد بالنسبة للتائب يوفر عليه مشقة الإرتجال فى الأمور وما يتبع ذلك من مشقة تصحيح أخطاء الإرتجال بكل ثقلها وأتعابها.

إن الإستعداد يجعل التائب يحدد طاقته بتعقل، ويحسب نفقة كل شىء، ويتصرف فى كل الأمور على قدر طاقته.. إن التائب تجده «يرتىء إلى التعقل» (رو ١٢:٣) فى تدبير خلاصه وخلاص الذين من حوله «لكى يهيىء للرب شعباً مستعداً».

ياعزيزى التائب.. إنك أحد الجنود فى جيش التائبين، لعلك واحد من أولئك الثلاثين ألفاً الجبابرة فى البأس الذين أوصاهم يشوع حينما أرسلهم ليلاً لضرب عاى قائلاً «انظروا... وكونوا كلكم مستعدين» (يش ٨:٤).

إنه نداء للتائبين مهما كانت مواقعهم فى الكنيسة. أن يكونوا كلهم مستعدين..

ياإلهى أعطنى أن أكون مستعداً ليوم الزفاف الإلهى، حتى إن نمت بالجسد تكون لى يقظة القلب المبصر..

(٦) ترس الإيمـــان

«الـترس» أداة من أدوات الحرب، إستخدمت كأقدم أداة عرفها الإنسان فى حروبه (راجع تك ١٥ :١، مز ٥ :١٢).

وأحياناً كان يصنع الترس بجملته من الذهب أو النحاس أو كان يغشى بطبقات سميكة منها (١مل ١٤ :٢٦، ٢٧)، وكأنه يحفر عليها صور ونقوش مختلفة.

أما من جهة حمله فكان يحمل على الذراع اليسرى، وكان يعلق أحياناً فى العنق. وكان سطحه محدباً لمنع الأسهم من خرقه، بينما كانت حوافيه ملبسة بصفائح من الحديد تمكيناً له ووقاية له من فعل الرطوبة إذا ألقى على الأرض. وفى زمن الحرب كانت نصف الأتراس فى خط مستقيم لتكون حاجزاً عاماً.. وكانت خسارة الترس فى ساحة الحرب عاراً عظيماً، ولا سيما عند الرومانيين الذين كانوا يعدون خسارته أكبر الجرائم الحربية حتى أن أمهات المقاتلين كن يشجعن أولادهن عند تأهبهم للحرب بإشارتهن إلى الترس وقولهن: «إما به، أو عليه».

هذا الترس الحربى إستعاره مار بولس الرسول ليضع الإيمان عدة لازمة فى جهاد التائبين فقال: «حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة». (أف ٦ :١٦).

إن الإيمان يحمل النصرة للتائب، فيراها حقيقة قائمة حتى وهو فى أشد أوقات القتال ضراوة. فهو الذى يعطى التائب بصيرة روحية فيرى فى

زمان القحط سحابة الإيمان مقبلة حاملة أمطار من التعزيات تجعل غرس الرب فى حياته.

وحينما يقولون للتائب ليس لك خلاص كفاك تعب، يقف قبالة الله ويقول: «أما أنت يارب فترس لى، مجدى ورافع رأسى» (مز ٣ :٣). ويخرج من أمام الله **يعيش فى تصديق مطلق وكامل لوصـايا الله التى تتحول فى حياته كتائب إلى واقع معجزى يفوق ما طلبه أو إفتكر فيه.**

والتصديق يعقبه طاعـة، مثلما أعقب تصديق إبراهيم لله أنـه أمسك السكين ليذبح وحيده.. والطاعة يمارسها التائب فتذلل أمامـه حتى الطبائع المفترسة والشرسة.. «إن الطاعة والإتضاع تخضعان لنا الوحوش».

والتائب فى كل ممارساته الروحية لا يستخف بسذاجة منظرها الخارجى، بقدر ما يدرك القوة الخفية المذخرة فى كل وسائط النعمة وأشباه الأسرار «كرسم الصليب» أو تناول لقمة الأولوجية.. **فيقدم على ممارستها فى وقار وطاعة إيمانية كاملة.**

التائب يمارس بالإيمان تداريب روحية للتقوى «يدرب فيها ضميره لكى يكون بلا عثرة أمام الله والناس» (أع ٢٤ :١٦).

ويواظب على هذه التداريب بتدقيق وحرص شديدين.. **ومع ذلك فهو لا يتكل على أحدها إنها تخلصه أو تؤهله للملكوت. لكنه يؤمن أنها بالإيمان تنقل معونة الله الرأسية إلى حركة أفقية دائبة النشاط** فى حياة التائب، فتصير هذه الممارسات الإيمانية أدوات بناءة لحياته وحياة الذين من حوله أيضا.

فالحرب بدون سلاح لا تصلح. والسلاح وحده بدون حرب، وبدون إنسان مدرب على إستعماله جيداً لا يمكن أن يجلب النصر..

إن الإيمان كعطيــة الله ترس لحفظ الإنسان ، التداريب كجهاد يتمركز حول النعمة يجعل التائب المدرب روحـياً دائـم النصرة فى صراعاته مع الشيطان فيخرج بعد كل مواجهة مع الشيطان ووسط جمهور التائبين يترنم «**طوباك يا إسرائيل. من مثلك ياشعباً منصوراً بالرب ترس عونك**» (**تث ٣٣:٢٩**).

(٧) خوذة رجاء الخلاص

الخوذة كانت إحدى القطع اللازمة للمقاتل فى الحرب يضعها على رأسه، وكانت تصنع من الجلد أو النحاس كالتى وضعها داود على رأسه فى قتال جليات (١ صم ١٧ : ٣٨)، وكانت تزين قمتها غالباً بعرف أو ريش. وإذا تأملت خطر جروح الرأس على المقاتل فى الحروب أدركت يقيناً أن الخوذة كانت أول سلاح دفاعى يحرص المقاتل على حمله.

وأخطر ما يتعرض له التائب أن يصيبه الشيطان بضربة يأس أو تشكك مريض.. تجعله يفقد رجاء خلاصه بالله، فيسقط فى هوة عظيمة من اليأس لا نسمع بعدها قيام.

إن الرجاء الذى يضعه التائب أمام عينيه، هو عين الرجاء الذى نظره الزناة والعشارين وقساة القلوب فخلق منهم قديسين تائبين منتصرين. إنه

يجعل التائب فى ثقة أن الله قادر حتى على الإقامة من بين الأموات، ويستطيع أن يبدأ معه من حيث إستطاع الشيطان أو العالم أو شهوات الجسد أن تسقطه.

فإن كان الشيطان لديه قدرة السقوط، حتى يطرح أرضاً من كان فى علو الفضيلة وسموها فكم بالأكثر تكون قدرة الله أن ترفع إلى الثقة والبنوة بمقدار أعلى وأسمى ممن كان عليه.

إن التائب مهما كانت سقطاته متكررة، وحياته يظن أن ليس فيها ثمر يثق بالرجاء أن الله يغير تغييراً كاملاً.. ففى لجة سقوطه يتعلق بالرجاء كحبل قوى مدلى من السموات يعين الروح فى ضعفها ويرفع التائب فى ثبات فوق التجارب..

ياعزيـزى التائب: **حياتك فى الجهاد ليسـت نصرة دائمة ولا سقوط دائم، بل فى كل سقطــة يجد التائـب بذرة للنصرة ومع كل** نصرة لا يظن نفسه أنه قائـم بل يتوقـع أن تأتيه السهام المسمومة من الكـبريـاء فيقول: «**لا تشـمتى بى ياعدوتى إذا سـقطت أقوم**» (مى ٧ :٨)..

والتائب بالرجــاء يدرك يقيناً أنه لا يدان على سقطاته بقدرما يـدان على عدم توبته ورجائــه بالخلاص.. لقــد قال الرب: «**إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون**» (لو ١٤ :١ـ٥). فمهما حاول الشيطان إسقاطه أو سقط هو لضعفه يثابر ليقوم مسانداً برجاء الخلاص..

الرجاء هو الذى يجعل التائب ينظر إلى حطام نفسه وخطاياه كأنها قشف فخارى بين يدى الله هشمها الشيطان وإرادته، لكنه واقع بين يدى فخارى عظيم قادر أن يعيد صياغتها من جديد، وببهاء جديد، لتكون آنية جديدة أجمل وأقوى وأعظم..

إن التائبين يضيئون بلمعان أبهى وأقوى، من أولئك الذين يظنوا أنهم لم يسقطوا.. والعشار والزانية واللص أقوى أمثلة لامعة فى سماء التوبة..

والتائب مع أنه مدققاً، لكنه يمقت الدمدمة والرعب والخوف الذى يتملك على بعض المرضى من التائبين..

إنه يقطع على الشيطان الذى حاربه بلذات الجسد، الحرب الجديدة التى تحاول أن تفسد صورة الله المحب أمامه «والمحبة تطرح الخوف إلى خارج».

حينما يقاتل التائب بكثرة خطاياه، يذكر كثرة مراحم الله ويلقى عنه القلق الناشىء عن اليأس ليثبت فى سلام الرجاء القادر أن يخلص بالتمام.

بعد هذا العرض عن ضرورة

عمل التائب سلاح الله الكامل

قد نسمع صوتاً يقول:

ليس لى أى سلاح منها

الجندى حينما يستدعى للجيش لا يرتبك فى تجهيز السلاح أو فى البحث عنه بل عليه أن يسلم ذاته لقيادة الجيش، وهناك يعطى السلاح الكامل ويدرب نفسه على إستعماله..

هكذا ياعزيزى التائب إن كنت تقول أنا مبتدىء وليس لى سلاح واحد مما ذكرت سابقاً فكيف أثبت فى توبتى، أقول لك ماقاله بولس الرسول **«من تجند قط بنفقة نفسه»** (١ كو ٩: ٧) فلابد أن تؤمن يا أخى أنك لست الصانع توبتك وحدك، فالله يشترك معك فى تخليصك من خطاياك وفى رجوعك عن ضلالاتك.

الله يتوب، عندما أطلب توبتى:

سقط أفرايم وراء يربعام وعبد العجل بدلاً من الله. وحينما فطن إلى ضلاله بدأ يبكى ويندم حتى قال الرب عنه «سمعاً سمعت أفرام ينتحب» (أر ٣١: ١٨). وعندما وجد أفرايم ذاته وحيداً فى تدينه نادى الرب قائلاً:

«توبنى يارب فأتوب لأنك أنت الرب إلهى، لأن في نهاية سبيى ندمت وبعد تعلمى حزنت على أيام الخزى وأخضعت نفسى لك لأنى قد تسلمت توبيخات وصرت معروفاً لى» (ع ١٩).

وحينما طلب أفرايم توبته بندم وحزن وخضوع لمعرفة الرب سمعنا الرب يقول: «أفرايم ابن عزيز لدىّ، لأنى كلما تكلمت به أذكره بعد ذكراً، **من أجل ذلك حنت أحشائى إليه. رحمة أرحمه يقول الرب**» (أر ٣١: ٢٠).

ياعزيزى التائب.. **الله الحنون أب الخليقة كلها لا ينتظر منك سوى إرادة التوبة، وحينما تريد أنت التوبة ستجده يقف بجوارك كما وقف بجوار مريم ومرثا وسيقف بجوار قبر خطاياك يشير إليك إشارات باطنية أو علنية برفع الغطاء.. وحينما ترفع الغطاء بعجل ستجده يكمل توبتك بأسلوبه الإلهى الخارق للطبيعة ويخلصك مما ظننت أنك غير قادر عليه.**

حينئذ تمسك به شخصياً، فهو الذى يمنحك السلاح ويدربك على إستعماله حتى تنتصر فى كل قتال..

كما تمسك به داود النبى فى حربه مع جليات، تمسك أنت به وآمن أن النصرة من عند الرب. لكن مثلما صنع داود إصنع أنت: تقدم لصفوف التائبين، وانتخب الحجارة، وضع أحدها فى المقلاع، وسدد الحجارة بمهارة..

إصنع كل ما عليك أن تصنعه، وحينماتصل إلى ذلك ستكون كالعبد البطال الذى لا يرجع فضل القوة فى القتال لنفسه أو لممارساته إنما لله الذى يعمل معك ويتوبك..

استفسارات حول الاعتراف

(من المحاضرات الصيفية للخدام والخادمات ـ بكنيسة السيدة العذراء بالعمرانية ـ يونيه ١٩٧٧)

✚ هل يجوز إعتراف الفتاة أثناء الدورة الشهرية ؟

فى الواقع إن الدورة الشهرية للفتاة نوع من الإفراز ينطوى عليه طبيعة جسدها، وفى العهد القديم اعتبرت المرأة فى أثناء الطمث الشهرى نجسة (راجع لا ١٥ :١٩ـ٣١). أما فى العهد الجديد فإنه لا ينجس الإنسان غير الخطية «هذه الشهادة صادقة فلهذا السبب وبخهم بصرامة لكى يكونوا أصحاء فى الإيمان. لا يصغون إلى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق. كل شىء طاهر للطاهرون أما للنجسين وغير المؤمنين فليس شىء طاهراً بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم» (تى ١ :١٣ـ١٥).

وكما أننا نعترف بأن الدورة الشهرية إفراز طبيعى، فلابد أن نقر أيضاً أن جسد الفتاة أثناؤها يكون غير طبيعى.. فكل إفراز شهرى يساوى تماماً ما يحدث لأى إمرأة بعد الولادة.. إن الجسد أثناؤها يكون فى حالة جرح داخلى وإفراز دموى.. ووجع فى المفاصل والعضلات.. علاوة على ما يتبعه ذلك الإفراز من ضرورة إتباع وسائل خاصة للنظافة الجسدية من الدم المفروز ورائحته غير المقبولة.

ولأن الإعتراف سر مقدس من أسرار الكنيسة يلزمه ذبيحة كاملة تليق بجلال الله القدوس..

فلا يجوز الإعتراف خلال الدورة الشهرية للفتاة لأن الجسد فى هذا الوضع لا يكون فى وضع لائق بتقديم ذبيحة خطاياى أمام الرب.. الرب الذى أوصانا على فم ملاخى النبى قائلاً: «ليست لى مسرة بكم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة من يدكم.. لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها إسمى عظيم بين الأمم وفى كل مكان يقرب لإسمى بخور وتقدمة طاهرة لأن إسمى

عظيم بين الأمم قال رب الجنود. أما أنتم فمنجسوه بقولكم إن مائدة الرب نجست وثمرتها محتقر طعامها. وقلتم ما هذه المشقة وتأففتم عليه قال رب الجنود وجئتم بالمغتصب والأعرج والسقيم فأتيتم بالتقدمة. فهل أقبلها من يدكم قال الرب. وملعون الماكر الذى يوجد فى قطيعه ذكر وينذر ويذبح للرب عائباً. لأنى أنا ملك عظيم قال رب الجنود وإسمى مهيب بين الأمم» (ملا ١ :١٠ـ١٤).

ولكن إذا وجدت ضرورة، مثل أن يكون إمرأة فى المهجر ولا يمر عليهم كاهن سوى كل سنة أو شهور، أو فى أثناء المرض، أو أى ضرورة أخرى تقتضيها الظروف غير الطبيعية فيمكن ممارسة الإعتراف أثناءها..

إذن من جهة النجاسة، ليست الدورة الشهرية نجاسة. أما من جهة اللياقة بمن يقدم ذبيحة للرب فينبغى أن تكون الذبيحة كاملة ولائقة بمن هو مرهوب وإسمه عظيم والدورة الشهرية لا تجعل الجسد فى وضع اللياقة بالذبيحة العقلية الكاملة لله..

هذا فيما عدا الضرورة للظروف غير المتوقعة..

وأعتقد أن ما ينطبق على سر الإعتراف ينطبق على باقى الأسرار المقدسة والممارسات داخل مبنى الكنيسة (من قداسات ـ خدمة ـ إجتماعات)

وأننى أنصح نصيحة شخصية لكل فتاة أن تلزم بيتها أثناء الدورة الشهرية، وتمارس خلالها فحص نفسها وقراءة الكتاب المقدس والكتب الروحية، وتمارس الأعمال اليدوية البسيطة حفاظاً على سلامة جسدها وقوته.

إن أمهات الجيل السابق كانت صحتهم الجسدية قوية بسبب إحترامهن لهذا القانون الطبيعى للجسد أثناء الدورة، وهذا ما لا نراه واضحاً فى أمهات الجيل الحالى اللائى إستهترن بهذا القانون تحت دعوى العمل أو خلافه.

+ فى أثناء العظات يذكر الكهنة مشاكل قابلتهم فى الإعتراف فهل هذا إفشاء للسر؟

فى الواقع لا أعتقد أن كاهناً ينسى أن الإعتراف سر، لا يذاع على الإطلاق. يحاسب عنه أمام الله يوم الدينونة، وأمام الكنيسة التى تقطع الكاهن الذى يفشى سر الإعتراف بقوانين صريحة وواضحة.

إنما الكاهن معلم يعلم الشعب.. ويختار فى تعليمه من الأمثال والأحداث والمواقف ما ينفع الشعب. وطالما أن الكاهن لا يذكر إسم، ولا تفاصيل كاشفة للشخصية، فأعتقد أن هذا لا يدخل تحت بند إفشاء السر... هذا من جهة الكاهن..

أما من جهة من يشتكى إفشاء سره، فهو يدل على إنشغاله بأمور لا علاقة لها بتوبته. إنه بالحرى يفرح أن الله الذى سمع شكواه وقبل صراخه ودخلت إليه دموعه، قد إختاره نموذجاً ليعلم به شعبه.. إنه شرف للتائب الصادق أن يجد ضعفاته وجهاده مختارة من الله كنموذج لتعليم الآخرين. بولس الرسول بعد تجديده وتوبته إفتخر بضعفاته وقال عن نفسه أنه كان قبلاً مضطهداً للكنيسة.. وإتخذ من نفسه مثالاً للتعليم فى الرسائل.

+ ماذا أفعل فى سرحان أب الإعتراف و نومه أثناء إعترافى؟

أنت تعترف حسناً تفعل. لا شأن لك بوضع أب الإعتراف. إعترف لله فى وجوده، مهما كان وضعه..

والسر الذى أريد أن تعرفه أيها العزيز أنك شخصت الوضع «بالسرحان والنوم» ..لكنه غير ذلك إننى إختبرت أن أمور أسمعها فى الإعتراف لا يكون ردها جاهز عندى فعندما أستغرق فى صلاة أثناء الإعتراف أطلب الرد من الله، وربما يكون الرد عليها الصمت فقط.. غالباً ما تسميه أنت سرحان ونوم ويكون صلاة يرفعها أب الإعتراف من أجلك فى الحال لاسيما فى الأمور التى لا يجد الكاهن إجابة عليها.

+ هل تغفر الخطية إذا إعترف بها المعترف لغير أب الإعتراف، لسبب خجله منها؟

من الناحية اللاهوتية لابد أن تغفر الخطية طالما أقر بها الإنسان لكاهن إلهى رسولى وندم عليها وتركها.

أما من ناحية نمو المعترف روحياً، فأعتقد أنه لن يتم بدون معاودة الإنسان لأب واحد فى الإعتراف يكشف له ضعفاته وعيوبه فيعاونه بذلك على تجاوزها.

أما الخجل فهو شيطان معروف، لا تجهله خبرة آبائنا القديسين وأخبرونا أن عرى النفس مخجل أكثر من عرى الجسد. ولكنه لازم لمن يطلب خلاصه لزوم الطبيب لجسد المريض الذى يطلب الشفاء.

✠ إذا كان لا يجوز للرهبان أن يأخذوا إعترافات العلمانيين لا سيما النساء، فماذا يفعل شعب كنيسة راعيها كاهن راهب؟

فى الأصل، كاهن الكنيسة متزوج علمانى يحيا حياة العلمانيين فيستطيع أن يحكم فى أمورهم بخبرة لا بتطرف. وعلى ذلك فإن وجود كنيسة يرعاها راهب فهو أمر مؤقت غير مستديم، ريثما يسام لها كاهن متزوج.

فتحت هذا الوضع المؤقت ليستفيد الشعب من الإعتراف بخطاياهم للكاهن الراهب لأخذ الحل والمغفرة عنها، أما المشورة أو طلب الفصل فى قضايا المتزوجين فليأخذ الشعب مشورة أقرب كاهن متزوج لكنيستهم.

✠ كيف أجهز الإعتراف؟

+ كما تسلمنا من آبائنا، ممارسة أى سر لابد أن يسبقه صوم **إنقطاعى (الأربعاء أو الجمعة) أو على الأقل نصوم عن وجبة واحدة فى اليوم** قبل تجهيز الإعتراف.

+ **أثناء الصوم نحيا وقتاً مناسباً للتسبيح:**

بصلاة المزامير:

ثم بجزء من تسبحة اليوم (لا سيما الإبصالية: ياربى يسوع المسيح مخلصى الصالح ومجمع القديسين لطلب معونتهم فى فحص الذات).

+ **ثم نقضى وقتاً فى كلمة الله** التى هى نور تضىء لنا وتلهمنا إلى

مواطن ضعفنا لنختار فصولاً مناسبة لذلك من الكتاب المقدس. وكمثال يمكن قراءة: تث ٣٢: ١-٤٢، نحميا ١: ٣-١١، مزمور ٤٢، ٨٠، أش ٥٥، ٥٩، ٦٥، مت ٥، ٦، ٧، ٢٢: ٢-١٤، ٢٣، رؤ ٢٢: ٨ - ١٧.

قراءة للفهم الروحى، وليس للدراسة.. ثم نختم هذه القراءة بصلاة قصيرة.

وللمعاونة فى هذا الفهم الروحى لكلمة الله، وطلب مشورة آباء الكنيسة، **يحسن قراءة أحد الفصول من بعض الكتب الروحية النافعة للتوبة مثل:**

فصلى تحرير النفس وتنقية القلب بكتاب حياة الصلاة - للأب متى المسكين

فصل التوبة بكتاب بستان الروح - للأنبا يوأنس جزء أول

فصل سمات للإنسان التائب بكتاب توبنى يارب فأتوب

كتاب إختبرنى يالله للمهندس يسى حنا

وتختم ذلك بصلاة قصيرة أو ترنيمة روحية.

يستعد التائب بالهدوء مع نفسه قبل طقس التوبة.. ففى البعد عن ضجيج المشاغل اليومية وزحمة الإنفعالات بالخطية صفاء لنفس التائب، تماماً كصفاء كوب ماء تعكر بالتراب وترك ليهدأ.

كذلك فإن الهدوء بيئة صالحة لسماع إلهامات الروح، ومناجاة الرب.

والتائب مع أنه يقضى فترة هدوء يومى مع نفسه، لكنه قبل طقس الإعتراف يدبر فترة هدوء أكبر لمراجعة نفسه.

+ وهنا تبدأ **لحظة حساب الخسائر والأرباح**، إذ فى الهدوء يحاسب ذاته على ما اقترفه من إثم، أو عدم تقدم فى الصلاح. كما أنه يحاسب ذاته(*) على مراحم الله وفيضه الوافر رغم إثمه.

ويتعهد أمام ضميره ألا يعاود صنع فعله السابق.

إنه بذلك الحساب يبكت ذاته ويندم من عمقه ويعرف موقفه بالضبط كمقاتل، لكنه يفرح بمراحم الرب الواسعة الكثيرة التى أدركته.

بهذا الحساب يبكت إستهتاره، وينمى رجاءه..

+ وحينما تنجلى الصورة أمامه، يخشع أمام الله فى صلاة يشكره إذ كشف عينيه لمواطن ضعف فى حياته ومواطن قوة فى معاملات الله معه.

+ ويخرج التائب من هذا الإقرار أمام الله، يبحث **عمن أخطأ إليه يعتذر له أو يطيب خاطره**.. ويصحح بما كشفه الرب أنه حق أمامه.

+ **وقبل ميعاد الطقس، يقضى فترة صلاة** يتوسل فيها إلى الله أن يساعده كما ساعد موسى الأسود بملاك كان يؤازره أثناء الإعتراف.

(*) لمعاونتك ياعزيزى التائب فى محاسبة نفسك أوردنا لك فى نهاية الكتاب ملحق يحوى أسئلة وردت تحت عنوان «مرشد لمحاسبة النفس» بكتاب بستان الروح لنيافة الأنبا يؤنس، والتى أعرف أنها من وضع قداسة البابا شنودة الثالث أيام أن كان راهباً.

+ **وأمام الأب الكاهن يجلس التائب كمتهم يجلس أمام قاضى** مهما كانت رتبته أو كرامته أو سنه.

يذكر لنا التاريخ الكنسى أن أحد الآباء البطاركة كان خلال الإعتراف يجلس على التراب بينما الأب الكاهن معرفه يعتذر ويقول إجلس بجوارى ياأبى.. لكن الأب البطريرك كان يصر أن يخشع حتى فى جلسته على التراب ويقول للأب الكاهن: «أنت الآن ممثل لله فى يدك سلطان مغفرة خطاياى.. دعنى أشعر أنى متهم أمام قاضى فى يده براءتى!!».

+ **ولذلك فالتائب أمام الأب الكاهن يطرق بعينيه إلى أسفل، لا يضحك ولا يبتسم أو يطلب ذلك من الكاهن. فإن لم تسعفه الدموع ساعتها فعلى الأقل يكتفى بالوقار والإحساس بخطيته وينسى كل الدالة والبنوة التى تربطه بالأب الكاهن.**

+ وإذا تكلم التائب مقراً بأفعاله أمام الكاهن، يكون كداود الذى قال «خطيئتى أمامى فى كل حين»، لا يحتاج إلى مذكر أو إلى موجه.. بل يتحدث عن خطاياه حديث العارف بسقطاته الشاعر بضعفه.. **ولمن يغلبه النسيان يحترس التائب أن يدون أخطاءه فى ورقة صغيرة تسعفه إن خانته ذاكرته.**

+ وفى أثناء الإقرار بالخطية: يذكر التائب خطاياه جميعاً، **لا يخبىء منها واحدة مهما كان حرجه من ذكرها**. فالخطية التى يتركها بلا إقرار تشبه الخميرة الفاسدة التى تفسد توبته رغم كل ما سبق فجاهد فيه.

وفى ذكره للخطية يذكرها بتفاصيلها من جهة مشاعره أثناء إرتكابها،

وبنوعها، وبنتائجها الروحية والجسدية عليه أو على من إرتكبت فى حقه، ومدة السقوط فيها.. وفى أثناء سرد التفاصيل يقدر التائب وقت أبيه الكاهن، فيكون ذكره لها **تفصيل مركز** لا يتعرض لتفاهات السرد القصصى.

وحينما يذكر كل ذلك **لا ينسبه للناس، أو للظروف فيلتمس لنفسه الأعذار**، إنه يدرك إنه يعترف عن خطاياه لا خطايا الناس، أو ضغط الظروف، إنه يسرد خطاياه فى مسكنة وذلة شاعراً أنه المخطىء وحده وينسب كل شىء إلى ضعفه.. وحتى لو كان التائب يكرر فى إعترافه خطايا سبق أن إعترف بها ويعرف علاجها، إلا أنه يذكرها بأمانة لأنه يعرف أن كل خطية لا يعترف بها لا تغفر.. وكل خطية يعترف بها تغفر.

+ وحينما ينتهى من إقراره بخطاياه، يأخذ المشورة والتعليم من الأب الكاهن بطاعته للكلمة وللمسيح. ويطيع، وإن لم يستطيع يصارح الكاهن بذلك، وإن أعثر حتى من جهة أبيه يصارحه بذلك ليرشده الله إلى الدواء الناجح لخلاصه.

+ وبينما هو راكعاً حانياً رأسه بين يدى الله والكاهن، يكون قلبه يناجى الرب: «أعطنى قوة من سقطاتى، فأتهض أنسى ماهو وراء وامتد إلى ما هو قدام.. أسعى نحوك لعلى أدرك..».

وحينما ينتهى طقس صلاة التحليل فى الإعتراف، **يقبل التائب الصليب الذى فى يد الأب الكاهن علامة حبه وعهده ليسوع المصلوب، ويد الأب الكاهن علامة تقديسه وإحترامه لكهنوت الله العلى.**

+ يحسن تركيز الإعتراف، حتى يضمن لك عرض كل ما بدا لك من فحص فى سهولة وفى وقت قصير يناسب وقت معظم آباء الإعتراف المثقلين. يحسن أن يكون ذلك فى النقط الآتية:

(١) أخطاء أعترف بها أمام الله وأمام أبى.

(٢) أفكار أو مشاعر أريد أن أميز الصالح منها.

(٣) إستفسارات أريد إجابة عليها.

+ وتأتى آخر مرحلة فى تجهيز الإعتراف وهى حجز ميعاد للإعتراف وبلطف وبنوة يحاول التوصل إلى أقرب ميعاد تسمح به ظروف الأب الكاهن. فإن حدث شىء منع من إتمام الميعاد فليعتبر الإنسان ذلك فرصة أطول للتذلل أمام الله وللجهاد فى تقديم الإعتراف لله.

+ كيف أعترف إن كان فى قلبى شيئاً تجاه إنسان؟ هل يذكر السبب وإسم الإنسان أم يذكر أن هناك ، زعل، من إنسان؟

فى تجهيز الإعتراف وممارسته.. يهتم الإنسان بوضعه هو، وتصرفه هو، ونتائج ذلك على الآخرين فمن المهم أن يلوم الإنسان ويرجع على نفسه دائماً عند الإعتراف والأفضل ألا نذكر أسماء عند الإعتراف، إلا إذا إقتضى الأمر إستفسار أب الإعتراف عن علاقة المعترف بهذا الإنسان ودرجتها فيحسن ذكر درجة العلاقة ونوعها لا الإسم على أن هناك أخطاء لابد أن يذكر فيها الإسم. فيحسن سؤال أب الإعتراف فى ذلك: هل أذكر الإسم أم يكفى ما ذكرته؟

+ هل تفضل تجهيز الإعتراف فى ورقة، وإعطاء الورقة لأب الإعتراف دون كلام، أم يكون الإعتراف من فم المعترف نفسه؟

عموماً أفضل تجهيز الإعتراف فى ورقة، لأن الإنسان سمى إنسان لأنه كثير النسيان. ولأنه أحياناً يتقدم الإنسان للإعتراف فينسى الكثير مما يريد أن يعترف به. لذلك أفضل تجهيز الإعتراف فى ورقة لا سيما للمبتدئين.

أما أثناء ممارسة الإعتراف فيحسن أن يتكلم الإنسان بفمه والورقة فى يده لأن الحديث بالفم يعاون الإنسان على التذلل على أن هناك بعض المعترفين لا يستطيعون نطق بعض الخطايا بأفواههم - لا سيما النساء - فيمكن من باب التجاوز قبول الإعتراف مكتوباً.

وهناك أيضاً بعض الأوقات خاصة المواسم العامة لا يسمح فيها وقت أب الإعتراف بمقابلته والتحدث اليه فماً لفم فيمكن بعد مشورته إعطائه الإعتراف مكتوباً ثم تحديد ميعاد معه للمناقشة وأخذ المشورة.

+ متى أتوب؟

الرب يسوع حينما رأى فى زكا العشار إرادة التوبة التى جعلته لا يعبأ بشهرته أو بقصر قامته حتى صعد إلى جميزة، لما رأى يسوع فى زكا هذه الإرادة المقدسة ناداه من أسفل الجميزة **«يازكا أسرع وأنزل»** (لو ١٩: ٥). وكأن يسوع يقول للتائب الذى يظهر رغبته فى التوبة إن توبتك الآن قريبة منى بإرادتك لكن يلزمها عنصر السرعة فى ملاقاتى..

فالسرعة فى أى أمر من الأمور غير مستحبة، إلا فى فعل التوبة فمن لا يسرع يهاجم بحرب التأجيل فى التوبة.. وهذه ضربة من ضربات الشيطان للتائب: «لا مانع أن تتوب وتعترف، ولكن ليس الآن، دعه قليلاً!!؟

لكن التوبة تفقد صدقها إن لم يصحبها سرعة فى ملاقاة الرب والكنيسة..

فعنصر السرعة فى التوبة لازم لأن أيام الإنسان تمر سريعاً دون أن يدرى. صدق أيوب البار حينما قال «أيامى أسرع من عداء.. تفر ولا ترى خيراً» (أى ٩: ٢٥). فمرور الأيام السريع يستلزم طاعة سريعة لنداء التوبة، فربما تنتهى قبل أن يتمم التائب رغبة توبته فيموت بغير توبة للهلاك.

وعنصر السرعة لازم للتوبة لأن مجىء الرب الثانى للدينونة أيضاً سريع، يأتى كل يوم علينا ويقترب منا إقتراباً دائماً يذكرنا بسرعة التوبة.. لقد قال سيدنا يسوع «ها أنا **آتى سريعاً** وأجرتى معى» (رؤ ٢٢: ٢٠) ولهذا يحذر مار بطرس الرسول قائلاً: «أى أناس يجب أن تكونوا أنتم فى سيرة مقدسة وتقوى منتظرين وطالبين **سرعة مجىء يوم الرب**» (١ بط ٣: ١٢).

فالتائب المشتاق لملاقاة الرب، يسرع فى كل نداء للنعمة أن يتوب ويندم كعلامة حب واشتياق لملاقاة الرب فى مجيئه الثانى.

وعنصر السرعة لازم للتوبة لأن الشيطان يسدد للتائب سهام مسمومة بسرعة عجيبة متلاحقة لا تعرف الهدنة، فى كل لحظة يجربه ليسقطه.. فهو فى قتال دائم، يستلزم سرعة الرد على العدو بالتوبة الصادقة.

ومهما كان الضعف يصور للتائب أنه لا يستطيع الآن، فليسمع صوت يوئيل النبى يصرخ إلى التائبين قائلاً: «قدسوا حرباً، انهضوا الأبطال، ليتقدم ويصعد كل رجال الحرب إطبعوا سكاتكم سيوفاً ومناجلكم رماحاً **ليقل الضعيف بطل أنا.. أسرعوا وهلموا..**» (يوئيل ٣:٩-١١).

ياعزيزى.. **إن أردت التوبة، فإجعل توبتك اليوم لا غداً وهذه اللحظة لا التى تليها. وأن تحركت فيك فكرة صالحة لا ترقد قبل أن تبدأ فى عملها. فأنت لا تضمن فرصة أخرى فى حياتك تقدم فيها توبة..**

فاليوم، بل اللحظة التى أنت فيها الآن هى التى تملكها فقط، تستطيع أن تحولها الى صرخة توبة سريعة لتكون مقبولة أيضاً. فاليوم، يعبر مثل الظل وتنقضى معه حياتك.. فياليتك تطيع نداء الله الذى يلهب قلبك بالتوبة والندم، وإصنع مثلما صنع زكا إذ أطاع ونزل سريعاً.

وثمة نوع آخر من حرب التأجيل تنتظر التائب، حينما يقرر مع الأب الكاهن ميعاداً للإقرار بخطاياه.. **فربما تجد أنه قد سبق إلى الكنيسة كثيرون قبلك ولابد من الإنتظار حتى يجىء دورك.. وهنا يظل الشيطان يحارب التائب بالتأجيل فيقول له «أبونا مشغول الآن، دع الإعتراف لميعاد آخر..»** لكن التائب الذى لا يضمن لحظة بعد اللحظة التى يعيشها، والذى أدرك أهمية السرعة فى التوبة لا يستسلم لطياشة العدو فى التأجيل بل بصبر وإستعداد روحى يظل فى مكانه بالكنيسة صامتاً أو مصلياً بالأجبية أو قارئاً لأحد الكتب الروحية حتى يحين دوره، ولا يغادر المكان إلا بعد تفريغ إثمه وإتمامه لطقس الإعتراف.

+ ماهو الوقت المناسب للإعتراف؟

الكتاب يقول «لكل أمر تحت السموات وقت» (جا ٣:١) ولأن الإعتراف حب وتلمذة لربنا يسوع المسيح فلابد أن يكون هناك وقت خاص للإعتراف وليس أثناء القداسات أو الخدمات الطقسية فى البيعة. لأن الإعتراف أثناء القداس لا يمثل أمانة فى الإعتراف كما لا يتيح للتائب فرصة الشبع بالرب فى القداس الإلهى.

والتائب الذى يحب المسيح، يعطى للأب الكاهن وقت القداس كله لكى يتفرغ للحديث مع المسيح فتصير صلاته بركة إرتواء له من نبع حى وفى نفس الوقت بركة للشعب الذى من أجله ترفع الصلوات والقداسات . خاصة وأن القانون الكنسى يعاقب من يتحدث فى القداس الإلهى، ولا يمكن أن يتم إعتراف بدون حديث أو مناقشة أو إستيضاح.

كذلك فقد يقتضى الإعتراف السجود أو الجلوس. والسجود فى غير الأوقات التى ينادى فيها الشماس الشعب «اسجدوا لله» تعتبر كسراً للطقس الكنسى، كما أن الجلوس فى البيعة أثناء القداسات لا يليق إلا بالمرضى وشيوخ السن أو فى مناسبات القراءات الطويلة فى بعض الصلوات (النبوات، ليله أبو غلمسيس.. إلخ).

+ هل يمكن لزوجة كاهن أن تعترف عند زوجها؟

إن حصول إنسان على سر الكهنوت لا يلغى أنه حاصل على سر الزواج قبله. وفى سر الزواج يصير الرجل والمرأة واحداً، حتى بعد أن يحصل الزوج على سر الكهنوت يظل الإرتباط الإلهى الموحد بينه وبين

زوجته قائماً وحتى بلوغ الملكوت.

وإعتراف زوجة كاهن لزوجها يمثل تماماً إعتراف إنسان لنفسه. وهل يوجد فى تسليمنا العقيدى والآبائى لسر الإعتراف أن يعترف إنساناً لنفسه؟!!

فضلاً عن أن أى حياة زيجية لا تخلو من أن يصعب على الزوجة من زوجها فى بعض الأمور كما هو الحال للزوج. فوجود أب للزوجة غير زوجها يجعلها طليقة فى تفريغ أتعابها الزيجية وحصولها على الراحة الحقيقية فى الإعتراف.

+ قرأنا لنيافة الأنبا يؤنس فى كتاب بستان الروح أنه يمكن للإنسان أن يغير أب إعترافه بدون إذنه وبدون الرجوع إليه فما رأيك؟

فعلاً قرأت هذا الرأى فى الطبعة الثانية سنة ١٩٦٠ صفحة ٧٤ وأعتقد أن نيافة الأنبا يؤنس يحاول بهذا معالجة الأسلوب التسلطى الذى يتبعه بعض الكهنة الذين لا يصلحون أساساً للإعتراف. لأن الكاهن الأمين الذى يقدر مسئولية سر الإعتراف والحساب الذى سيعطيه أمام الله على كل نفس مسئول عن خلاصها لا يمانع أحداً من أولاده فى تغيير الإعتراف عنده.

وإننا نرى أن أخذ الحل من أب الإعتراف قبل تغييره ضرورة تفرضها عناصر ثلاثة:

+ الحب الأبوى البنوى الذى جمع أب الإعتراف وإبنه فترة من الزمان وهذا لاينبغى إحتقاره بل تكريمه لكى يتربى أولادنا على الوفاء ورد الجميل.

+ واللياقة التى نراها بين أصحاب المهنة الواحدة فى الحرف العالمية. والتى ينبغى أن يكون على أرقى درجاتها فى عمل الكهنوت الجليل. كذلك اللياقة التى ينبغى أن نربى شبابنا عليها، لكى يشبوا كاملى الأدب.

+ النضج الذى ينبغى أن نشجع أولادنا عليه، لكى يواجهوا الأمور والأشخاص ولا يهربوا بضعف فى التفكير والشخصية. إن الأب الناضج والإبن الناضج كليهما أمانة ينبغى أن نحرص عليها. فالأب الناضج عندما يرى ضرورة صادقة يطلق إبنه ببركة ودعاء، والإبن الناضج لا يمكن لأحشائه أن تستريح قبل أن ينال بركة أبوه ومشورته فى التغيير والأب الجديد. وأعتقد أن رأى نيافة الأنبا يؤنس موجه إلى الآباء والأبناء غير الناضجين.

+ ماهو السن الملائم لبدء الإعتراف؟

أعتقد أن التبكير فى الممارسات الروحية نافع جداً. قال الحكماء التعليم فى الصغر نقش على الحجر. وإننى أشجع الإعتراف إبتداء من سن ثمان سنوات. وشهوة فى قلبى أن أجد فى الكنسية أباً لإعتراف الصغار متخصصاً فى فهمهم وتلمذتهم. حتى يتعود الصغير ويعمق. فإنها تلمذة حقة وناجحة وثمرها ألف فى المائة.

✠ ما رأيك فى إعتراف الكاهن عند زميله الكاهن فى نفس الكنيسة ؟

الزميل هو الشخص الذى يفرض على الإنسان ، لا يختاره ولا يزكيه. أما الذى يختار ويزكى فهو صديق وحبيب وإبن . وهذا ما يحدث فى كنائس كثيرة أن يختار أب كاهن أحداً من أولاده فى الإعتراف ويزكيه ليحمل معه مسئولية الرعاية. وهويشبه بمن يضع قدمى إبنه على عتبة الملكوت فى تكريس الكهنوت المبارك.

لذا ينبغى ألا نحرم هذاالأب أبوته الصادقة وجهاداته المضنية التى أوصلت إبنه إلى التكريس السمائى. ينبغى أن نكافىء من يستحق المكافأة ونكرم من يستحق التكريم فى أوان قطف الثمار. إن من يصنع غير ذلك يصنع قساوة، تولد فى قلب الأب أنين لا ينقطع أمام الله، ويحفظ للإنسان قول الرب «كما فعلت يفعل بك» أى كما حرم أبوه من كرامة الأبوة سيحرمه أولاده منها أيضاً عندما يحين ذلك الوقت

هنيئاً للكاهن الذى يجد أبوه معه فى نفس مكان الرعاية يلاحظه ويشدده ويتلمذه للمسيح.

إن الكاهن أخ وصديق من جهة الكهنوت ودرجته أما من جهة التلمذة فليس أن توضع على الرأس عمامة تنسيه أنه إبن وتلميذ لذلك الكاهن الذى صار أخاً له بالكهنوت.

ولكى أوضح أكثر هناك أمران: العمل الرعوى، والتلمذة. والعمل الرعوى يضع الكاهن وأخاه أمام أب أسقف راعى يرعاهما ويدبر الكنيسة

إدارياً وروحياً لكليهما، أما التلمذة الروحية فمبارك أن تستديم مع الأب الكاهن الذى سيم الكاهن الجديد معه..

إلا أنه فى بعض الأحيان يدخل الشك فى قلب الكاهن الجديد تجاه أخاه الذى هو فى الأصل أباه، أو يحاربه الشيطان من جهة أى منفذ فى العمل الرعوى، فى مثل هذه الحالة مفيد أن يتتلمذ الكاهن الجديد على كاهن آخر حتى يسترد ثقته ويهدأ قلبه تجاه معلمه الأول فيعود إليه فى الوقت الذى تسمح به نعمة الرب. وكرأى فى المسيح إننى أفضل أن يكون الكاهن الآخر هو أب إعتراف معلمه الأول حتى من خلال أبوته المشتركة يتصحح ما أراد الشيطان إفساده ويعود الكاهن إلى معلمه فيفرح قلبيهما وقلب المسيح بهما أكثر.

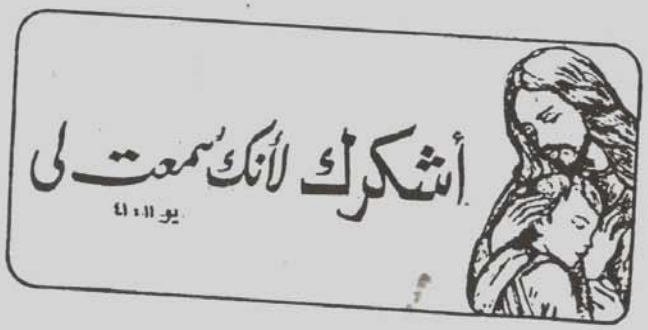

أنت ياسيدى
حولت لى العقوبة خلاصًا
كراع صالح سعيت
فى طلب الضال
وكأب حقيقى تعبت
معى أنا الذى سقط

(القداس الاغريغورى)

ماجاء بالإنجيل بحسب ماكتبه مار لوقا حول

أمثال السيد المسيح

عن التوبة

+ الخروف الضال
+ الدرهم المفقود
+ الإبن الضال

فى الأصحاح الخامس عشر من الإنجيل لمعلمنا مار لوقا الطبيب ذكر الرب ثلاثة أمثال عن التوبة ومحبته للخطاة الذين كانوا إليه يجلسون ومعه يأكلون.

وهذه الأمثال الثلاثة تختص

بفقد المادة ـ فى مثل الدرهم

وفقد الحيوان ـ فى مثل الخروف

وفقد الإنسان ـ فى مثل الإبن

وذلك لكى يوضح الرب مركز الإنسان التائب عنده وفى السماء **فكل من فقد المادة والحيوان (وكلاهما لا يعقل ولا إرادة له) دبر لهما من يوجدهما من تيههما وضلالهما.** فدبر المرأة بمكنستها للدرهم، والراعى بسعيه للخروف..

أما الإبن الذى أعطاه الحرية والإرادة، وأعطاه الكل... فعندما يفقد لا يبحث عنه الأب وإن كان قلبه يئن مشتاقاً لرجوعه، بل يتركه حتى بالحرية والإرادة يقدم التوبة... فالتوبة بلا حرية وإرادة لا ترضى الرب ولا تفرح قلبه..

كذلك فإن مسئولية فقد المادة أو الحيوان لا تقع عليهما، لأنه حيث يغيب العقل تنتفى المسئولية. والمسئول عن ضياعهما هو الإنسان الذى سلطه الرب على الكل، لذلك قال الرب إن الإنسان هو الذى «أضاع واحداً» من الخراف، والمرأة هى التى أضاعت درهماً واحداً.

وهذا يوضح لنا مدى إهتمام الرب بالكل، حتى المادة والحيوان عزيزان عنده.. ينبغى ألا يفقدا. أليس هو الذى أمر بجمع فضلات الطعام، وهو الذى قال عن العصفور الذى يمنح فوق البيعة أنه غير منسى قدامه..

هناك بعض الروحيين ـ فى تطرف ـ يهملون المادة والحيوان... أما الروحيين الصادقين الذين عرفوا الرب، يهتمون بالمادة والحيوان لكى لا يفقد شيئاً منها بل يستخدمونها كلها أدوات صالحة لمجد الله... إنهم ينصتون إلى قول الرب عن المرأة أنها فتشت عن الدرهم «باجتهاد»، وإلى قول ماربولس «أما المدبر فباجتهاد» (رو ١٢ : ٨) فيدبرون كل ما يقع بين أيديهم من المادة أو الحيوان بجهاد.. وإن ضاع شىء منهما، لا يستريحون حتى يعوضوا الفاقد ويستردوا المفقود معتبرين أنفسهم وكلاء على مال الله المعطى لهم وبين أيديهم...

إن التائب مع أنه يطلب الملكوت أولاً لكنه يندم ويتوب عن كل فقد فى الحيوان أو المادة.. «فالصديق يراعى نفس بهيمته» (أم ١٢ : ١٠).

ومن الملاحظ أن رجوع الدرهم والخروف كانا مصحوبان بفرح لا لمن وجداهما فقط بل ولكل «الأصدقاء والجيران، والصديقات والجارات».. وهذا يعطيناصورة صحيحة عن التائب الأمين فى ماله أو حيوانه فإنه يحول ما يحصل عليه بجهاده وتعبه وتفتيشه لا إلى ثروة ترهق عقله وأعصابه بل إلى فرح يشرك فيها المحتاجون وخدام الله والكنيسة كلها. بصفة عامة.

لقد كان إبراهيم أب الآباء نموذجاً رائعاً للإنسان التائب الذى كان له أموال وحيوانات، ولكنه فضل السلام مع إبن أخيه لوط وفرحه عن الخصام وقنية ما يريد... كما كان أيوب البار غنياً فى المال والحيوانات وعندما فقدها

كلها بسبب خطاياه كان نموذجاً رائعاً للإنسان التائب الذى يبارك الرب ويشكر ويتوب قائلاً: «أندم فى التراب والرماد» حتى عوضه الرب وزاد ما كان له ضعفاً وبارك آخرته أكثر من أولاه (راجع أى ٤٢ :٦، ١٠، ١٢).

+ + +

ليس هذا كل ما نجده فى هذه الأمثال، إنما **الأرقام الواردة فيها فلها دلالاتها الروحية العميقة أيضاً.**

لقد إستخدم رقم ١٠ ـ فى الدرهم

ورقمى ١٠٠، ٩٩ ـ فى الخروف

ورقم ٣ ـ فى الإبن

أما رقم ١٠٠ فى مثل الخروف فهو إشارة إلى إمتداد ملكوت الله وإتساعه. عدد القطيع مئة، وهو كمال وملء عدد الكائنات العاقلة الطائعة له. وهو مثال لعدد الخراف الذى تاه إحداها وبالتحديد : جنس البشر...

لذا فرقم ٩٩ الذى إستخدمه الرب فى مثل الخروف مثال لكمال عدد الأبرار هو حاصل ضرب عددى ٩، ١١، وعدد ٩ هو حاصل جمع عدد ٣ ثلاث مرات... وعدد ٣ يشير إلى إشتراك الثالوث القدوس فى البحث عن الجنس البشرى الضال: فها هو الإبن ربنا يسوع تجسد وسار مشواراً طويلاً جداً (من السماء للأرض) فى البحث عن الخروف الضال حتى صلب ومات لأجله وقام وعندما وجده وضعه على منكبيه فرحاً.. وها هو الروح القدس النور الذى يكشف عن الأماكن المظلمة التى يختبىء فيها الضال.. أما الآب فيجرى ويركض ويقع على العنق.

وهو عمل دائم للثالوث الأقدس: الإبن يبحث عنا، والروح القدس بتوبيخه وإرشاده يفتش عنا، والآب ينتظر عودتنا ليعطينا قبلة ويقدم العجل المسمن!

هذا عن رقم ٩، أما رقم ١١ فهو شهادة على الخيانة.. لأن رقم التلاميذ الأمناء للمسيح هو ١٢ الذى يرمز دائماً إلى شعب الله بكماله، مثل إثنى عشر أسباط إسرائيل، والمرأة التى هى كناية عن الكنيسة فى سفر الرؤيا لها إكليل من إثنى عشر كوكباً (رؤ١٢ :١) وأورشليم الجديدة لها إثنى عشر باباً وإثنى عشر ملاكاً وإثنى عشر أساساً وكان قياسها إثنى عشر ألف غلوة من كل جهة وطول سورها إثنى عشرة ذراعاً مضروبة بإثنى عشر وفى وسطها شجرة حياة تصنع إثنى عشر ثمرة وتعطى ثمرها كل شهر من شهور السنة الإثنى عشر (رؤ ٢١ :١٢، ١٤، ١٦، ١٧، ٢٢ :٢). إن رقم ١٢ هو إشارة إلى كمال شعب الله الأمين.

ولكن يهوذا خان الرب وعدم إسمه ورقمه بين الإثنى عشر فأصبح رقم ١١ رمزاً لكمال الخيانة والسقوط.

إذن رقم ٩٩ هو تأكيد أن بر البار ليس بره وخلاص الإنسان ليس ثمر تعبه بل هو عمل الثالوث القدوس الكامل مهما كان كمال سقوطه وخياناته لله!!!

هؤلاء التسعة والتسعين كانوا قبلاً ضالين كمال الضلال حتى أتى الله المثلث أقانيمه وردهم إلى حظيرته وبره.. ما أروع هذا الحب الإلهى للخطاة التائبين الذى ذخره الرب ليس فى قلبه وفدائه وتعاليمه بل حتى فى الأرقام التى يستخدمها فى أمثاله عنهم!!

مبارك أنت ياحبيبى، حبيب العشارين والخطاة التائبين.. لقـد طبعت فىّ صورتك الملوكية ونقشت على سلطانك الإلهى لكنى وسط التراب والخطية فقدت وضاع عنى بريقك البهى وجمالك اللانهائى.. لكنى أشكرك أيها النور الحقيقى، ياكوكب الصبح المنير، ياشمس البر.. أتيت إلى، وفى نورك ياربى يسوع المسيح أوجدتنى من جديد ومنحتنى وعدك أن تصير صورتك الأولى وسلطانك الأول وبهاؤك الأول أعظم فىّ مما فقدته..

من أجل ذلك أشكرك أشكرك أشكرك

ومهما سقطت وخفت فإنى إليك أهرب، وفى حضنك أختبىء حتى تخلصنى إلى ملكوتك السماوى الذى جئت كارزاً إليه بالتوبة.. ياحبيب الخطاة التائبين.

الإبن الضال

(لو ١٥: ١١_٣٢)

فى هذا المثل الروائى يعرض سيدنا له المجد وقائع حادثة دعى فيها الإبن ضال لأنه ضل حقيقة، ودعى الشاطر لأنه عرف كيف يرجع عن ضلاله، ودعى الأصغر لأنه كان بطبع المثل أصغر أولاد أبيه.

رذائل الإبن الضال:

كان مرائياً، أى أظهر بعكس ما كان يبطن. **فإستخدم أقدس** الكلمات وأعظمها فى غير موضعها الصحيح، بل وضد إستعمالها الصحيح. **قال «ياأبى»** (ع ١٢) **وهو يفكر فى ثروة أبيه لا فى حبه!** كان كإبن أقرب إنسان إلى قلب أبوه، لكنه كان أكثر بعداً من العبيد لأبيه.

إن أقرب الناس إلى الله، قد يكونوا أكثرهم بعداً عنه.. لهذا تصرخ الكنيسة فى بداية ونهاية الليتورجيا قائلة: «طهرنا من كل رياء».

وكان مطعوناً بسهام الكبرياء. إذ تعامل مع أبوه على أساس أنه شريك نداً بند، يطلب ماله، وأبوه لا يزال حياً!

كانت هذه الطعنة هى بداية ضلالته، وهى بداية قصة الضلال فى كل الرجال الروحيين.

ثم أنه وقع فى خطية التبديد. فربما كان الآن على مستوى المسئولية حينما طلب القسم الذى يخصه، لكن الذى حدث فعلاً أنه عندما صار المال ملكاً له لم يستثمره لينميه بل بدده تبديداً دل على فراغ شخصيته كفراغ قرن الحيوان الصلب. كثيرون يقرعون بشدة على الأبواب يطالبون بحقوقهم - مشروعة كانت أو غير مشروعة - بدافع الطلب أو بدافع إستغلال فرصة الطلب لإستعراض النفوذ السياسى والمقدرة على التسلط. ولكن حينما يعطون ما يطالبون به يبددوه غير مبالين بمسئولية. وغالباً الذين يقدرون المسئولية يهربون.

وحتى فى تبديده للمال **وقع أيضاً فى خطية الإسراف.** «بدد ماله بعيش مسرف» (ع ١٣). **ما أخطر هذه الخطية، إن هذه وحدها عقوبتها الموت فى التشريع الإلهى:** «إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه، ويؤدبانه فلا يسمع لهما. يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه. ويقولان لشيوخ مدينته: ابننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكير فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت. فتنزع الشر من بينكم ويسمع كل إسرائيل ويخافون» (تث ٢١ : ١٨-٢١).

لاحظ أيضاً أن ذلك الإبن قد سقط فى هذه الخطية لا فى ماله الخاص بل فى المال الذى من عرق أبيه وجهده. ربما ساعده على ذلك **سفره إلى مكان بعيد،** ليكون بعيداً عن أبيه ورعايته. وبالتالى توبيخه وتربيته.

وكل الذين يهربون من التأديب ويختارون لأنفسهم البعد عن رعاية الأب

يحرمون أنفسهم بأنفسهم من بركة هذه الرعاية ثم يقعون فريسة لمن ليس له قلب الأب وحبه الصادق.

وفى ذلك المكان البعيد لم يعمل، لأنه لو عمل لكان إيراد عمله ستر إسرافه بعض الشىء، وحفظه أن يصل إلى حد إنفاق كل شىء.

لقد إتكل على المال الذى لم يتعب فيه، وتراخى وكسل. «ويد الكسلان تفتقر». لقد قال الكتاب المقدس: «من لا يشتغل لا يأكل» (٢ تس ٣ : ١٠). ولذا كان طبيعياً أن يفتقر إلى خبز يومه، ويشتهى الخرنوب فلا يجده.

كما أنه فى ذلك المكان البعيد رافق مجموعة من الأصدقاء الزناة، بدليل قول الإبن الأكبر لأبيه «... ذلك الذى بدد معيشتك مع الزوانى» (ع ٣٠). هؤلاء الأصدقاء سلبوا إرادته نحو الزنا. «ورفيق الزوانى يبدد مالاً» (أم ٢٩ : ٣).

وربما صارت حالته أفضل لو أنه فى المكان البعيد إختار أصدقاء صالحين.

ماذا صنعت فيه خطاياه؟:

لقد أصبح ميتاً.

وهذا التعبير «الموت» هو التعبير الصحيح عن حالة الإنسان الخاطىء المنفصل بإرادته عن الله مصدر كل حياة.

فالموت فى المفهوم الأبوى ليس هو مفارقة روح الإبن لجسده، فمثل هذا نسميه «إنتقال»، لكن الموت الحقيقى هو إتصال الإنسان بالخطية وإنفصاله عن الله. لهذا قال الآب فى المثل «إبنى هذا كان ميتاً...» (ع ٢٤).

ولكن ما هى مظاهر هذا الموت الروحى الذى بلغه الإبن الضال؟ **لقد أسقطته خطاياه من رتبة الإبن إلى رتبة الأجير والعبد.** فكل ما للأب هو للإبن، يجمع معه، ويحفظ ماله من الضياع لأن كل خسارة يتعرض لها الأب هى خسارة للإبن وعلى نفس المدى. لكنه سقط من هذه الرتبة الرفيعة، إلى رتبة أجير لأنه لا يبالى، لقد أخذ وبدد (راجع يو ١٠:١٢). ولذلك عندما قال الإبن لأبيه «اجعلنى كأحد أجراءك» لم يكن متضعاً بل كان صادقاً فى التعبير عن وضعه الساقط.

كما جعلته خطاياه أسير للشكوى. فى بلد لا يعرف فيها أحداً من الناس ولا يوجد له فيها أب يسمع لشكواه.

وحتى حينما إشتكى، تحت أنين الجوع والحاجة، لم يجد من يسمعه من أصدقائه الزناة الذين بددوا أمواله فى الإثم.

لم يجد من يسمع شكواه سوى رجل يرجو منفعة لذاته، يرجو رعاية لخنازير لا لخراف.

فلم يعد مؤتمناً على رعاية خراف، فالخراف لا تسمع إلا للراعى، أما الخنازير فلها الأجير.

جيد ما قيل: «الشكوى لغير الله مذلة»، فنحن نشكو لله لأننا نناديه «ياأبانا».

كذلك جعلته خطاياه يشتهى ولا يملك. حتى فى إشتهائه لم يشتهى شيئاً يليق حتى بإنسانيته، بل بدأ يشتهى طعام الخنازير «فلم يعطيه أحد» (ع ١٦) وكانت هذه قمة المأساة فى ضلال الإبن!

فالإبن الذى كان كل طلب يطلبه من أبوه مجاب يطلب فى ضلاله لا شيئاً كمالياً بل يطلب ملء بطنه، لا بطعام إنسان بل بطعام خنازير، ومع كل ذلك الإمتهان لا يعطيه أحد!!

هذه هى نهاية قصة الخطية فى حياة كل إنسان، تبدأ معه بريق لامع، ويخضع الإنسان لزيف هذا البريق، فيميل نحو الخطية، وترتب له الخطية لذة مبكرة فى ضلالة تزيد بها إنحرافه نحوها، وعندما يتذوق الإنسان لذة الموت هذه مرة وراء أخرى تتحول فيه إلى عادة يصبح بها الإنسان عبد عادة أو أجير شهوة.. وعندئذ يطلب الإنسان الخطية أما هى فتذله ولا تعطيه ما منحته أولاً!!

بينما تخلت عنه خطاياه ولم تعطه حتى ما إتضع فى إشتهائه، نجد ناقوس التوبة يدق!

دقت التوبة ناقوسها فى مسامع ساقط يشتهى ولا يملك. دقت التوبة فى ذات اللحظة التى تعلن الخطية فى الإنسان الساقط اليأس والفشل. فمثل هذا الإبن، وفى واقع صراعه الداخلى العنيف وشهواته غير المشبعة، فريسة سهلة فى فرصة مواتية تتمم خلالها الخطية هلاكه للموت الأبدى!

لكن التوبة، فى دوامة هذا المنظر الصعب، تعلن صوت الرب يسوع الذى جاء «يخلص شعبه من خطاياهم» (مت ١:٢١) والذى ينادى: «جئت لأطلب وأخلص ما قد هلك» (لو ١٩:١٠).

إن يسوع يتوب ما قد هلك فعلاً، فهوالذى يقدر أن يغير واقع الهلاك إلى فعل الخلاص، وهو الإله القادر وحده أن يحول واقع الموت إلى تطلعات الأبدية.

أتى يسوع يطلب خلاص ما قد عجزت البشرية عن صنعه، إذ وهو خالق الإنسان يستطيع أن يعبره وادى الهلاك إلى قمم الحياة الجديدة باطنياً وسلوكياً.

يعجبنى منظر الفخارى، الذى من قشف متكسرة لا منظر فيها ولا جمال يبدع بيديه أوان جديدة تصنع لمسات الجمال فى بيت الإنسان .

إنه مثال سيدنا يسوع الذى جاء يطلب النفس التى صارت حطاماً، والإنسان الذى مزقته صراعات الخطية: «صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا» (١ تى ١:١٥).

جاء يطلبك ياعزيزى الإنسان حتى ولو كانت بصمات الخطية قد أفقدتك ملامحك الروحية الإنسانية. ومهما تكن سقطاتك، ومهما تكن صراعاتك مع الخطية فيسوع واقف بالتوبة يعلن الرجاء والخلاص من الخطية..

فاتح لى أحضانك تعلن لى حنانك
لما أعترف وأتوب تغفر لى كل الذنوب
بارك وأعلن شخصك عزينا بروح قدسك

ربنا يسوع المسيح الذى يقدم التوبة للإنسان رجاء للخلاص من خطاياه

لا يفعل ذلك بالقوة، بل فى هدوء السائل وبطرقات المحب يقرع فقط: «هاأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل وأتعشى معه وهو معى» (رؤ ٣:٢٠) إنه يقرع، وعلى التائب أن يسمع قرعاته ويميل أذنه لسماع ذلك الصوت. وللإنسان مطلق الحرية فى قبول السمع أو رفضه.

لعل لذلك يصلى الأب الكاهن قبل قراءة الإنجيل كنسياً قائلاً: «فلنستحق أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة».

وهذا هو عمل الكنيسة فى إعلان التوبة: إنها تقرع فقط، فى عظات روحية بانية، أو فى كتابات روحية وتعاليم آبائية، أو فى إرساليات مبشرة.. تقرع، وكأن أجراسها التى تدق مع كل خدماتها تعلن نداء حب المسيح للتائبين وشغف الكنيسة على لقائهم.

ما أجمل كلام أليهو بن برخئيل البوزى وهو يتحدث عن الله إذ قال: «هوذا الله عزيز... يفتح آذانهم للإنذار ويأمر بأن يرجعوا عن إثمهم. إن سمعوا وأطاعوا قضوا أيامهم بالخير وسنيهم بالنعم. وإن لم يسمعوا فبحرية الموت يزولون ويموتون...» (أى ٣٦: ٥ـ١٢).

إنه يقرع، ومن له آذان للسمع فليسمع ويفتح الباب بنفسه. إن الله يخلص من يريد أن يخلص.

وهو لا يخلص إنساناً من خطاياه رغم أنفه. إنه لا يستخدم أسلوب الإرغام فى قبول الخلاص، لا لقصوره فى ذلك فهو الله القادر على كل شىء، لكنه يكرم الإرادة الحرة فى الإنسان ويكمل خلاصه برفع هذه الإرادة إلى مستوى إرادته الإلهية فى خلاص كل أحد. وحينما تلتقى إرادة

الإنسان بإرادة الله تتدفق ينابيع الخلاص لتشمل كيان الإنسان كله.

لقد قال سيدنا: «من أراد أن يكون لى تلميذاً فليحمل صليبه كل يوم..» (لو ٩:٢٣)، وقال للمريض الذى أعياه القعود ثمان وثلاثين عاماً «أتريد أن تبرأ» (يو ٥:٦) هذه الإرادة الحرة فى قبول عمل الله الخلاصى قدمها موسى النبى حينما كانت العليقة متقدة بالنار وهى لا تحترق. إذ قال بملء إرادته «أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم» (خر ٣:٣). وحينما مالت إرادته لله ناداه الله للتو: «إخلع نعليك» وأرسله لعمل مقدس سبق فأعده لخلاص شعبه.

\+ + +

الإبن ـ بطبيعته البنوية ـ يدرك إدراكاً كاملاً حنان أبوه وصدق رعايته، وهو الذى كان يدرك عن فهم عميق خبرات أبيه. وإتساع ثروته. ومع كل معرفته الدقيقة بأبيه، ضل بإرادته. مثل هذا الإبن لم يسأل عنه أبوه ولم يرسل فى أثره باحثاً أو هادياً. إلى أن قدم الإبن إرادة التوبة والخلاص إذ رجع إلى نفسه وفطن إلى ضلاله بنفسه. ثم بدأ سعياً جاداً يصدق به على إرادته إذ قال «أقوم الآن وأذهب إلى أبى». وحتى حينما وصل الإبن إلى هذا الحد من الإرادة المصممة على الخلاص لم يسأل عنه الأب ولا إفتقده، إلى أن بدأت أقدام الإبن تسلك سلوكاً جديداً نحو بيت أبيه وإرادة أبيه.

ياعزيزى: يامن عرفت الرب يسوع، وسمعت نداءه.. وقبلته مخلصاً وفادياً.

يامن عرفت محبته الأبوية الحانية، وأدركت فيض مراحمه المتدفقة المترفقة.

حينما تضل وراء خطية أو شهوة ردية بإرادتك فالله مخلصنا لن يسأل عنك ولن يرسل من يسأل عنك. مالم ترجع إلى نفسك وتحس بعظم إثمك. ثم تضبط الإرادة فيك لتقوم نفسك عن أخطائها وتملأ وديان سقطاتك بينابيع دموع نادمة تائبة. وتخفض آكام كبريائك وإعتزازك بأخطائك فى تسليم وخضوع ليد الله العالية فوقك.

حينما تصنع ذلك، وأرجو أن تصنع كذلك، ستجد يسوع المخلص يخلصك من مرارة سقطاتك ويرد إليك بهجة خلاصك الأول.

هذا مانجده واضحاً فى تصرف الأب مع إبنه الذى أراد التوبة، ثم بدأ يحياها.. إذ فى هذا السلوك التقوى الخاشع رآه من على بعد. فنزل ليتلاقى مع إرادته الجديدة وإستقبله بفرح عظيم!

نزل ليستقبل إبن شاطر...

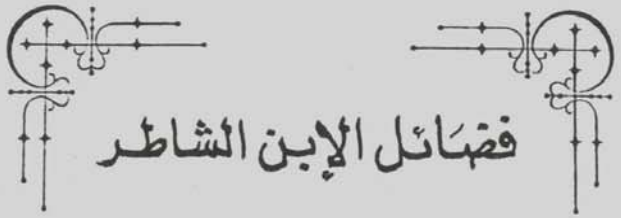

فضائل الإبن الشاطر

١ ـ رجع إلى نفسه:

المراجعة أسلوب من أساليب النجاح فى الحياة العامة، تلجأ إليه كل المؤسسات الناجحة على فترات زمنية محددة لحساب أرباحها وخسائرها.

وهى نقطة الإنطلاق نحو حالة أفضل يرجوها الإنسان لنفسه.

إن النفس البشرية لها سلطان عجيب على الإنسان، يقبل منها توبيخها لأخطائه دون خجل وبصورة أفضل كثيراً من قبوله تأنيب الناس أو تهذيبهم.

ولقد عرف أبطال الجهاد قدر أهمية هذه البداية فى جهاد التوبة.

قال أرميا «لنفحص طرقنا ونمتحنها ونرجع إلى الرب» (مراثى ٣:٤٠).

وبواسطة هذا المبدأ كشف الرب حقيقة رعايته لمار بطرس الرسول: «وقال بطرس وهو قد رجع إلى نفسه الآن علمت يقيناً أن الرب أرسل ملاكه وأنقذنى..» (أع ١٢:١١).

ولأن الإنسان أحياناً كثيرة يختار لنفسه المبادىء على هواه الخاص، تكون إذن مراجعته لنفسه فى ضوء مبادئه الخاصة مخاطرة قد لا تقود الإنسان إلى فعل التوبة الصادق.

لذا يراجع الإنسان نفسه على الحق الإنجيلى الذى يمحص المبادىء وينقيها. هناك من يراجع نفسه على شريعة العهد الجديد فى الموعظة على الجبل (مت ٥، ٦، ٧) يومياً، وأحياناً أكثر من مرة فى اليوم الواحد بعد كل سقطة، وأحياناً فى نهاية الأسبوع أثناء الإستعداد للإعتراف أو التناول، أو فى نهاية كل عام، أو قبل البدء فى مشاريع تاريخية فى حياة الإنسان مثل الزواج أو التكريس، أو فى أيام ذكريات الميلاد.

إن القديسون يعتبرون ذلك عنصر حياة فى الإنسان، حتى قال أحدهم «اليوم الذى لا تجلس فيه إلى نفسك وتعرف فيما أخطأت وفيما أصبت لا تعدده ضمن أيام حياتك». ومن الضرورى أن ندرك أن المراجعة لا تشمل الخطايا ونواحى الضعف فقط، بل وأيضاً الصلاح الذى كان على الإنسان أن يصنعه ولم يتمه «فمن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له» (يع ٤:١٧).

إن إختيار الميعاد المناسب للمراجعة، والوقار فى أثنائها، وسكب ما يتوصل الإنسان إليه مع نفسه فى صلاة نادمة خاشعة تؤكد صدق الإنسان فى طلب التوبة والخلاص.

ليس ذلك كل ما يفعله الإنسان وهو يراجع نفسه.. **هناك أمر ثان.**

٢ ـ إجتّر ذكريات فى بيت أبيه:

جيد أن يراجع الإنسان نفسه، ويرجع إلى موضع راحته. ولكن الذى ألهب قلب الإبن أنه تذكر بيت أبيه الذى يمتلىء بيته بالخيرات، ثم تذكر الأجراء الذين يخدمون فى بيت أبيه وهم يأكلون طعام العظماء ثم يفضل عنهم أيضاً ماترعاه الطيور والحيوانات..

تذكر ذلك وقال «كم من أجير عند أبى يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعاً» (ع ١٧).

إن الذكريات المقدسة وسيلة نافعة لشحذ همم التائبين والكنسية تكثر من هذه الذكريات سنوياً، لتظل مراحم الله وحنانه الدافق نبع دائم ينهل منه التائبين خلاصاً لأنفسهم.

بعد القيامة، قال الملاك للمريمات «.. لكن إذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس أنه يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه» (مر ١٦: ٧)، وقال هو بذاته لتلاميذه «ولكن بعد قيامى أسبقكم إلى الجليل» (مر ١٤: ٢٨) لقد كان الجليل بذكرياته الروحية الدسمة ضرورة فى حياة الرسل بعد ما إنتابهم من ضعف وخيانة وإنكار وخوف وهروب من الرب يسوع.. لقد كان كافياً أن يكونوا فى المكان الذى سبق فأعلن لهم فيه حقائق الخلاص والأبدية..

ياعزيزى، فى لحظات رجوعك إلى نفسك أذكر إحسانات الرب معك، وأذكر يمينه القوية التى سندت ضعفك فى محنات كثيرة..

أذكر ذلك وغيره، بكل التفاصيل.. فهذه التذكارات كالريح تهب على قلب تحول من جذوة حب مشتعلة إلى فتيلة مدخنة تحتاج إلى يقظة جديدة.

٣ ـ قرر بنفسه قرار التوبة:

حالما تذكر وضع أبيه، وانكشفت حقائق نفسه أمامه، قرر بنفسه «أقوم وأذهب إلى أبى وأقول له: أخطأت يا أبتاه فى السماء وقدامك ولست مستحقاً أن أدعى لك إبناً إجعلنى كأحد أجرائك» (ع ١٩).

لم يحتاج إلى مبشر، أو مرشد فى ذلك إلا نداء حاجته، لا للطعام

فحسب بل وللحب الأبوى الصافى أيضاً.

إن الإنسان الذى يقدم توبة، لا يحتاج فى ذلك لمعاونة إلا من داخله ومن صميم إحتياجه «لايعرف الإنسان إلا روح الإنسان الساكن فيه».

والأبطال من التائبين هم الذين صنعوا بأنفسهم قرار التوبة، ولم تكن الظروف المحيطة بهم سوى عامل ثانوى فقط.

٤ ـ ثم وضع القرار موضع التنفيذ الجاد السريع:

لم يكن الإبن الشاطر متهاون مع نفسه فى تنفيذ قرار التوبة، ولم يكن كاذباً فى صدق رغبته التائبة، ولم يلجأ إلى أسلوب الرياء القديم.

قال «أقوم» ثم «قام» فعلاً. قال: «أذهب إلى أبى» ثم «مضى إلى أبيه» فعلاً.. قال «أقول له: أخطأت» ثم قال له «أخطأت» فعلاً..

لقد إستعاد الإبن إرادته المسلوبة، ثم قدسها بتوبة جادة سريعة.

إن أخطر ما يتعرض له الإنسان التائب أن يقرر فى لحظة ما قرار توبة، ثم يهمل فى تنفيذه، أو يؤجله لحين آخر.. إن صوت الله الذى دوى فى كيانه لا يمكن أن يواجه بالإهمال أو التأجيل وإلا أصبحت خطية جديدة تحتاج إلى التوبة من أولى مدارجها. لهذا يقول الكتاب للذين يقررون التوبة: «اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم» (مز ٩٥: ٧، ٨).

لقد ظهرت التوبة الصادقة فى حياة ذلك الإبن الشاطر:

+ **فى السلوك الجديد نحو أبيه**، رغم حالته النفسية الممزقة، ورغم مظهره غير اللائق الذى يقابل به أبوه بعد أن بدد معيشته. إرتفع فوق هذا

كله، وسار نحو أبيه مسيرة تحمل روح الصدق والجدية فى توبته.

+ **فى إعترافه العلنى الصريح بخطأه**، ليس أمام أبيه فقط بل وأمام السماء أيضاً «أخطأت إلى السماء وقدامك».

وكان إقراره الصريح بخطأه دلالة على إسترداد إرادته الضالة وسمة من سمات صدق توبته.

تأمل منظره وهو داخل بيت أبيه يعلن خطأه، وقدام عبيد أبيه. إنه مشهد القمة فى توبة الشاطر.

+ فى سرعة تنفيذ ما قد أقره بنفسه، فى عدم مماطلة بل فى تلهف نحو الحنان الأبوى والرعاية الصادقة فى بيت أبيه.

إن السرعة ضارة فى كل الأمور، إلا فى فعل التوبة فهى أكثر العناصر إلهاباً لقلب الإنسان بالنقاوة الكاملة.

\+ + +

ختام:

هكذا كانت نهاية سارة لبداية مرة، وهكذا تفرح قلوب المؤمنين المنتصرين والمجاهدين بعمل الله المتوب المبدل حال الإنسان للخلاص.

حقا قال مار اسحق: «إيه أيتها التوبة.. يامن تجعلين الزناة بتوليين، وتجلين النورانى الذى علاه الصدأ»!..

كانت هذه قصة ابن ضل وتاب. فماذا عن أخاه الأكبر رفيق صباه فى بيت أبيه؟!

فضائل الإبن الأكبر

كان هذا الإبن بطبعه أكبر من أخيه سناً، والأكبر دائماً ـ خاصة وقت قول المثل ـ له شأنه وكرامته.

١ ـ لقد كان هذا الإبن شريكاً لأخيه الأصغر فى ميراث أبيهما. وحينما قسم الأب معيشته بينهما خصه قسم من المال حصل عليه بدون طلب منه أو سعى لذلك. لكنه حصل عليها بملء إرادة أبيه ورضاه الكامل.

لقد كان لوضعه هذا معزة خاصة عند أبوه، جعلت أبوه يحس أنه لا يملك هذا القسم الصغير مما خصه مثل أخيه، بل كل مقتناه الباقى بعد القسم حسبه الأب ملكاً للكبير. لقد قال له: «كل ما لى فهو لك».

وهذا التصريح الأبوى يدل على مدى الإعزاز الذى يتمتع به الإبن فى قلب أبوه.

لقد كان الإبن كبيراً حقاً فى هذا التصرف أمام عينى أبوه.

إن الذى سعى ليأخذ نصيبه، أخذه بعدل وليس برضا. وكان سبباً فى بدء ضلال عظيم.

أما الذى لم يسعى لذلك، فقد خصه نصيبه مثل أخيه برضا ثم زاد على ذلك كل ما للأب.

هذا هو أسلوب الله فى منح المواهب، إن الذى يسعى وراءها بقصدها قد يعطى، لكنه بها يخسر نفسه وحياته. وكم من مواهب صارت سبباً فى هلاك أصحابها!

أما الذى يسعى نحو الله، حباً فيه لا فى مواهبه، ينال ما لا يفكر فيه من مواهب ثم تكون مكافأته الحقيقية «حيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمى» (يو ١٢: ٢٦).

لقد قال الكتاب «ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل الله الذى يرحم» (رو ٩: ١٦).

٢ ـ وكان مع كل ما خصه من هذا الميراث والحب الأبوى غير متكلاً عليه. **بل كان عاملاً فى الحقل**، ليزيد هذا الرصيد من عرقه وجهده الخاص.

لقد كان إنسان حقاً، لأن الإنسان الأول الذى خلقه الله كان عاملاً. فآدم إذا لم يكن قبله «إنسان ليعمل فى الأرض» (تك ٢: ٥) وعندما جعل من تراب أخذه الله «ووضعه فى جنة عدن ليعملها» (ع ١٥).

إن العمل الحسن لسد الإحتياج الضرورى للإنسان واجب يأمر به الرسل (تى ٣: ١٤)، فكم يكون مدح الإبن الأكبر الذى كان يعمل لا للإحتياج الضرورى فحسب بل وليزيد من كده وعرقه ما أعطى من أبيه؟!

وفضلاً عن كون العمل صابون للجسم، يصحه ويجليه، فهو شرف مستمد من الله الذى «عمل الإنسان» (تك ١: ٢٦) بغض النظر عن كون العمل حقيراً أو عظيماً، صغيراً أم كبيراً..

رذائل الإبن الأكبر:

١ ـ لقد سمع الإبن الأكبر صوت الطرب والغناء من على بعد، فكان عليه أن يستعلم: ماذا الخبر؟!

وإلى هذا الحد، فقد كان إنساناً طبيعياً. فوجىء، وهو ابن أكبر لأبيه، بما لم يخبره به فى الصباح قبل ذهابه إلى العمل. وكانت هذه المفاجأة مدعاة لتساؤله إنسانياً.

لكنه حينما أراد أن يستعلم عن سبب الفرح لم يدخل البيت ليستعلم بنفسه، ومن أبيه الذى قال له: «أنت معى فى كل حين». لم يفعل ذلك بل ترك وضعه كإبن وسأل أحد الغلمان الذين يخدمون فى بيت أبيه.

وكان عليه أن يكون على إتصال مباشر بأبيه، لا عن طريق غلام، ليعرف سبب العرس المفاجىء.

وكان ذلك خطأ، جعله لا يعرف السبب الحقيقى وراء العرس، بقدر ما عرف الأحداث التى قادت للعرس. وشتان بين الأحداث وأسبابها.

حدث الرجوع وذبح العجل المسمن شىء، وسبب العرس الحقيقى فى قلب الأب الفرحان شىء آخر.

إن معظم المشاكل التى تعصف بحياتنا تنجم من فقداننا الإتصال البنوى بالله أبونا، فى مخدع الصلاةوفوق جبل الليتورجيا المقدسة. ونذهب لسؤال الناس الذين مهما تكن قداستهم فهم «أصدقاء للعريس».

صدق الرب حين قال «شعبى عمل شرين: تركونى أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آباراً مشققة لا تضبط ماء»(أر ٢ :١٣).

إن إلتجائنا للناس ليس خطأً فى حد ذاته، ولكن لا يوجد من يستطيع أن يجيب تساؤلات الإيمان وتحدياته فى هذاالعصر مثلما يجيب عليها أبونا السماوى.

والذين تعودوا الصلة المباشرة اليومية بالآب السماوى يدركون جيداً كيف يجيب الله ما يعجز البشر عن فهمه وتفسيره!

ياعزيزى الكبير.. إن كبرك فرصة لزيادة خبراتك فى علاقتك المباشرة بالله أبونا، وليس فرصة لظهور خبراتك وحكمتك المأخوذة من الناس..

الكبير حقاً هو الذى كل يوم تزداد فرص إتصاله بالله كماً وكيفاً.

والعجيب أن كثيرين من الذين يقفون خارج بيت الله (الكنيسة) يتصرفون تصرف الإبن الكبير تماماً... يزداد صياحهم، ويزداد إنتقادهم، بل وقد يصلون إلى حد مناصبة الكنيسة بيت أبيهم العداء والمذمة.

إن كان ممكناً لإنسان أن يخلص خارج الكنيسة (معنى ومبنى) لكان ممكناً لذلك الإبن الأكبر أن يخلص من قساوته خارج بيت أبيه.

يقضون سنو حياتهم المبكرة فى داخل بيت الله، وحينما يكبرون

سناً أو مركزاً يصغرون فى معرفتهم بالله ويقفون خارج الكنيسة متفرجين أو ناقدين أو هادمين!

آه.. لو دخلوا الكنيسة فى كبرهم أيضا، لتحولوا إلى عاملين مضحيين بانيين لنفوس كثيرة..

ولكن ماذا صنع تصرفه السىء هذا فى سؤال أحد الخدام، هل قاده إلى إستفسار حكيم أم إلى خطية عظيمة؟!

٢ ـ لم يكن جواب الغلام الذى سأله الإبن الأكبر بذات العمق والفهم مثل جواب الأب. **ولذلك أساء فهمه، فأسقطه فى خطية الغضب.**

وفى لحظة غضبه أخذ قراراً يعبر عن إنفعالات خاطئة تملكت عليه لحظتها إذ «أبى» أن يدخل بيت أبوه. إنفعل بالغضب الردىء ورفض أن يدخل إلى أبيه. وهكذا سقط فى خطية أخيه الأصغر، **الأصغر فر من بيت أبيه وراء ضلاله، والأكبر رفض دخول بيت أبيه وراء قساوته.**

لقد غضب غضباً غيرمقدساً، لا نفع من ورائه.. غضب فى أوان الفرح الذى كان لابد أن يملك قلبه ككبير إذ يرى الضال يوجد والميت يعيش! حسناً قال مار اسحق: «كما أن جريان الماء يتجه إلى أسفل هكذا قوة الغضب إذا ما ألفت موضعاً فى فكرنا».

هكذا إتجه الإبن الأكبر إلى أسفل حينما نفذ إرادة الغضب برفضه دخول بيت الأب، وحرم نفسه لفترة طويلة ـ هى فترة مكوثه خارج البيت غضوباً ـ من هدوء نفسه فى لقاء مباشر مع أبيه.

٣ ـ ثم أثمر الغضب سقطة أخرى هى معايرة أبيه **بخدمته ولطلبه أجرة نظير ذلك**. ولو جدياً واحداً يأكله مع أصحابه.

لقد كان يعمل بإجتهاد، هذا مبارك ومشرف ولكنه حينما قال «أنا أخدمك.. ولم تعطنى جدياً»، سقط من رتبته كإبن لأنه طلب أجرة خدمته، إن طلب عبد أجرته أعتبر ذلك حقاً شرعياً له، لكن إن طلب الإبن أجرة بنوته صار أجيراً!

٤ ـ وأكمل الغضب ثمرته فيه إذ **سقط فى إدانته لأخيه** «إبنك هذا بعدما أكل معيشتك مع الزوانى..».

وما أخطر هذه الخطية فى حياة الإنسان ، لأنها تنم عن كبرياء واضح يأخذ فيها الإنسان موضع الله الديان، ليدين أخاه..

إن الإدانة نشأت فى هذا الموقف بسبب مقارنة حاله بحال أخيه فى زمان ضعفه. لكن لو كان الإبن الأكبر قارن حاله بحال أبيه المجاهد المحب لإتضعت نفسه وصغرت جداً ورأى سقطة أخوه حبة رمل أمام أخطاءه الكثيرة.

إن المرآه التى وقف أمامها الإبن الأكبر مرآة غاشة لم تعطه صورة دقيقة عن نفسه، فخرج من نطاقها إلى نطاق أخيه فى سقوطه..

كان يمكن أن ينجو الإبن الأكبر من هذه الإدانة لو نسى لأخيه ضعفه، وقارن حاله بحالة أخيه التائب الذى رجع إلى حضن أبيه. لو فعل ذلك لكان بكى على نفسه هو، على غضبه وتذمره على أبيه وسلك التوبة مثلما سلكها أخيه الأصغر قبله.

إن الصغير بدأ رديأ وإنتهى حسناً.

أما الكبير مع أنه كان فى بداءة حسنة مثمرة لكنه سقط فى نهاية المثل.. ولم نسمع عنه توبة!

أيها الكبار إحذروا..

أن سقطاتكم تكون عبرة للصغير، وفرصة لتوبته.. أما أنتم فلأنكم تعتقدون أنكم كبار حينما يسقط الصغار تقفون أمامهم موقف الحكام والمعلمين.. مع أنكم تحتاجون أن تقفوا موقف التلاميذ فتتعلموا..

الصغار يتوبون، وتوبتهم تكون مشحونة بدوافع مقدسة غاية فى النقاوة والسعى وراء المسيح..

فاحذروا أيها الكبار، لأنكم فى توبتكم تتخذون مسالك السياسيين لمداراة أخطاءكم أمام الناس مع أنها تخذلكم أمام الله..

ياليتكم تقتدون بالصغار فى نقاوة توبتهم، وجدية توبتهم، وتغيير مسالكهم..

لقد أوقف الرب يسوع وسط التلاميذ الكبار الإثنى عشر صبياً صغيراً وقال لهم: **«الحق الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات»** (مت ١٨ :٣).

الصغير والكبير سقطا كليهما..

ولكن فى سقوطهما إلتقيا بأب كليهما..ذلك الأب الذى يشير فى المثل إلى الآب السماوى..ولا يمكننا أن ننسى الآن دور هذا الأب، فماذا فعلت أبوته مع الكبير والصغير.

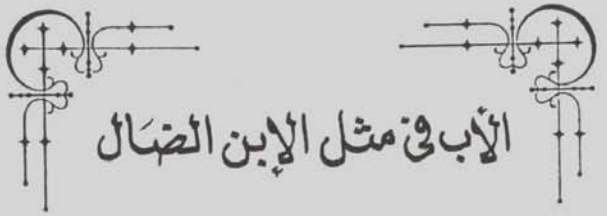

الأب فى مثل الإبن الضال

١ ـ أب حكيم:

فلا إستقامة للأبوة بدون الحكمة فى التوجيه والتربية. والأب فى مثل الإبن الضال تجلت فيه حكمة عميقة وممارسة ديمقراطية لسلطانه الأبوى.

لقد جاء الإبن الأصغر يطلب نصيبه فى ميراثه، وكان يمكن للأب أن يعارضه فى ذلك معارضة قانونية سليمة. وكان يمكن أن يمارس معه أسلوب الإرغام فى تنفيذ قانونية معارضته لطلب تقسيم ميراثه وهو حى بعد.

لكننا لم نسمع فى المثل جدالاً من الأب، أو مناقشة فيه. فلا شك أن الجدال والنقاش مع إبن مستهتر إلى هذا الحد للمواجهة مع أبيه خسارة، وأعظم كسب هو أن يتجنب الأب جداله ومناقشته.

لقد فطن الأب بحكمته أن ما يطالب به إبنه فى ميراثه، وإن كان غير لائق أدبياً، لكنه حق سيصير له بعد وفاته آجلا أم عاجلاً.. فإن أعطاه له وهو بعد حى يكون قد أراح ضميره لأبعد الحدود، إذ إطمئن على عدالة التقسيم فى الميراث وهو حى.

فطن الأب إلى ذلك بحكمته، ووافق على قسم المعيشة لإبنيه دون أن نسمع تبرماً أو ضيقاً بتصرف الصغير..

وهنا تبرز فضيلة أخرى فى ذلك الأب الحكيم: **لقد كانت حكمته نازلة من فوق لذلك كانت «مسالمة»** (يع ٣: ١٧).

كان أب فى حكمته مسالماً لأولاده، لم يغضبهم بينما هم أغضبوه **فى قلبه. صرف غضبه هو فى إتساع أبوته، ولم ينفث فيهم غضباً أو خصاماً.**

وكانت حكمته المسالمة فى تقسيم الميراث، فرصة ليتعلم هذا الصغير لا بالعظات أو التوبيخ أو التهديد بل بالممارسة. إن الممارسة وحدها وسط الحياة كافية أن تلقنه حب أبوه وإخلاصه.

هذه الحكمة التى نراها فى أب المثل، تتجسد واقعياً فى معاملات الآب السماوى لنا.

قد نلح فى طلب أمور غير نافعة لنا، وقد نتبرم فى تمهله علينا فى الإستجابة. وحينما يجدنا نتابع الإصرار يعطينا ما نطلب فنتعلم بعد ذلك أنه كان خير لنا لو لم نطلب أو لم نعطى..

إن حكمة أبونا السماوى أعطت الشعب شاول، مع أنه عارف بعدم صلاحيته كملك، حتى أقر الشعب بعد ذلك علناً عندما أعطوا فى هتافهم الربوات لداود والألوف لشاول!

ياليتنا نفطن إلى حكمة إلهنا المحب فى كل أحوالنا فنقول عن ثقة ورضى «لتكن مشيئتك».

ومع أننا لا نسمع أدنى مناقشة بين الأب والصغير، نقف أمام مناقشة تفصيلية مع الكبير...

فالحكمة التى إستوجبت الصمت والعطاء مع الصغير، إستوجبت المناقشة والأخذ مع الكبير.

فلقد كانت المناقشة هنا ليست حول قضية حتمية، ولكنها حول موقف فوجىء به هو عرس داخل بيت أبوه دون علمه. ولهذا كان لابد أن يناقش إبنه الكبير ليوضح له سبب العرس.

فالحكمة تعرف أن تستعمل المناقشة والصمت كل فى موضعهما ومع أشخاصها.

٢ ـ أب مربـــى:

والأبوة مرتبطة بالتربية، وإستخدام أساليب التربية حق مشروع للأب.

ولقد تميز ذلك الأب بميزتين فريدتين فى شخصيته جعلته مربى من طراز رفيع:

+ **لقد ترك إبنه الصغير فى ضلاله يتربى من أعماله.**

فمع أن الإبن كان يدرك إدراكاً كاملاً حنان أبوه وصدق رعايته وخيرات أبيه وإتساع ثروته، لكنه ضل بإرادته وسعى لهلاك نفسه.

ولم يسأل عنه الأب، ولم يرسل فى أثره باحثاً أو هاوياً. مع أننا لا نستطيع أن نجـرده من عاطفته الأبويـة التى بلا شـك أنت كـثيراً وتألمت ساعة خروج الإبن من البيت. وإستمر الأب فى إهماله

الشكلى لإبنه، إلى أن قـدم الإبن إرادة التوبة والخلاص.

وحينما رجع الإبن بسلوك جديد رآه أبوه من على بعد، وإذ أكمل المربى تربيته لإبنه نزل ليستقبله بفرح عـظيم. فللتربية وقت وللإستقبال وقت!

إن فقد الأب قدرته على التربية صارت أبوته مشوهـة. وفى التربيـة يرتفع الأب حتى فوق عاطفته الرقيقة ليمارس تداريب تبدو فى ظاهرها شديدة وحازمة لكنها تحمل فى طياتها مشاعر حب وأمل للوصول إلى وضع أفضل.

لقد قال الروح القـدس فى سـفر الـعبرانيين «إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالـبنين، فأى ابن لا يؤدبـه أبـوه، ولكن إن كـنتم بلا تأديب قد صار الجميع شركاء فيه فأنتم نغول لابنون» (عب ١٢: ٧، ٨).

+ نعم إنه أب **يعرف أسلوب المكافأة فى التربية**، فليست التربية عنده ممارسة فى السقطات. لكنها ممارسة فى الأثرة أيضاً.

فعندما رجع الإبن عن تيهه وسقطاته، رجوعاً صادقاً فى النية والسلوك معاً، كان لابد أن يجد فى قلب الأب الصادق فى تربيته نسياناً لماضيه النتن الرائحة، ومكافأة تشجعه على المسير فى طرق الإرادة التائبة الجديدة.

لقد كافىء الصغير بالحلة الجديدة، والخاتم فى أصبعه، والنعلين فى قدميه، والعجل المسمن أمامه ومن حوله كل أهل البيت ولقد كافىء

الكبير أيضاً أنه «خرج إليه» حيث كان خارج البيت، وهذا تنازل أبوى يعتبر فى حد ذاته مكافأة عظيمة من الأب لإبنه.

٣ ـ أب حنون كريم:

مع أن مسئولية التربية قد تجعل منظر الأب يعرف بالشدة أو بالقسوة. لكن مثل الأب فى حنوه وكرمه مع بنيه لا يوجد شبيه أو مقارنة!

لقد رأى الأب الشغوف على توبة إبنه منظر فتى آت من بعيد فيه بعض ملامح من إبنه الضال.

وكان حنوه هو الذى جعله يصعد إلى سطح منزله يترقب عن كثب عودة إبنه التائه.

هذا الحنو هو الذى أنساه وصفه وهيبته وكرامته عندما إلتقى بإبنه التائب، حتى أنه نزل بحنو مفرط مسرعاً للقائه.. أخذ يعدو فى الطريق، ولما لقاه ألقى بنفسه على عنقه «وقبله طويلاً[1]» لشوق عاطفته الأبوية نحو إبنه.

ومع أنها كانت فرصة لمعاقبته أو إعطاءه درساً، لكن الأب كان كريماً مع إبنه التائب.. فقد إكتفى بدرس عملى عاشه الإبن فى ضلاله، وظهرت نتيجة تعلمه وتوبته.. إكتفى الأب بهذا وصبغ من كرمه على إبنه فى الحال إذ رده إلى رتبة بنوته الأولى.

(١) حسب طبعة الآباء اليسوعيين

هذا المنظر يتجسد بصورة عملية فى لقاء الرب مع ماربطرس الرسول عندما بكى بكاء مراً، وندم على إنكاره للرب.. إذ قال له «أتحبنى»، ثم رده إلى رتبته الأولى فى كرم فياض حان «إرعى خرافى»..

ما أكرمك يا إلهى الحنون معى أنا الساقط عندما ترى فىّ توبة صادقة فى النية والسلوك نحوك.. فأخلق فىّ الإرادة الجادة، ومارس فىّ ومعى فعل التوبة لأظل أناديك «توبنى يارب فأتوب».

اقتنا لك يا الله مخلصنا
لأننا لا نعرف آخر سواك
إسمك القدوس هو الذى نقوله
ردنا يا الله إلى خوفك وشوقك
(التحليل الثانى)

التوبة فى الطقس الكنسى

+ الأب الكاهن فى طقس التوبة.
+ طقس سر الإعتراف
+ أوشـــية الجـاحـد
+ طقس أوشية الجاحد

مقدمة

قلنا أن التوبة تستلزم إقرار التائب بخطيته أمام الله، والكنيسة، وأمام من أخطأ فى حقه.

الإقرار أمام الله مكانه المخدع، والإقرار أمام المخطئون فى حقوقهم مواجهة معهم. أما الإقرار أمام الكنيسة، فمرتب ترتيباً دقيقاً يهدف إلى قداسة التوبة كسر إلهى.

والكنيسة تميز نوعين من التائبين:

١ ـ **التائبين الذين يسقطون فى خطايا الجهاد اليومى**، والذين بفعل التوبة ومحبتهم للرب يسوع يندمون عنها ويسرعون فى طلب الإعتراف للإقرار بإثمهم. هؤلاء تمارس الكنيسة لهم «سر الإعتراف» كطب روحى لازم لمرضى الخطية.

٢ ـ **أما التائبين الذين يسقطون فى خطايا إنكار المسيح وجحد نعمته**، أو ينجسون أجسادهم بالزنا مع أشخاص لم تتقدس أجسادهم بفداء المسيح ومعموديته.. هؤلاء لا تكتفى معهم بممارسة سر الإعتراف فقط، بل وتباشر لهم «أوشية الجاحد» طلباً لغفران الرب فعلهم الردى، وشفاعة للروح القدس الذى حزن فيهم.. هؤلاء أطفأوا عمله فيهم، فيستلزم من الكنيسة شفاعة خاصة فوق بركة سلطان الحل والغفران.

والذى ينتدب لممارسة هذين الطقسين للتائبين، وفق إيمان الكنيسة الأرثوذكسية، هو الأب الكاهن المشرطن قانونياً بوضع يد أسقف رسولى.

الأب الكاهن فى طقس التوبة

الأب الكاهن أب، وقاض، ومعلم.

فهو الأب فى مثل الإبن الضال، يتعطش إلى توبة كل ابن من أبنائه. بل وفى كل أنشطته الروحية للرعاية يهدف إلى تذكيرهم بالتوبة. لأن الكاهن يعرف جيداً أن خطية أولاده خطيئته هو يحملها من خلال أبوته لهم فوق رأسه، وسيعطى حساباً أمام الله عن مقدار سعيه لتحررهم منها. ويعرف أن توبة بنيه خلاصاً لنفسه من دينونة محققة أمام الله فضلاً عن فرحة السماء برجوعهم. ومن خلال أبوته، يقبل الأب الكاهن كل إبن يأتى تائباً، بل ويقبله بفرح وحب وتشجيع.

والأب الكاهن فى التوبة قاض، يقضى فى خطايا أولاده من قبل الله. وهذا مظهر من مظاهر حب الله للإنسان الخاطىء. فمن منا يستطيع أن يدخل فى المحاكمة مع الله، لأن أمامه «كل فم يستد». على رأى مار بولس إذ يقول «ونحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يكلم به الذين فى الناموس لكى يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله» (رو ٣: ١٩).

وإختيار الله، وإرساليته للكاهن كقاض يفصل فى خطايا الناس يعنى تحويل الحكم من لدنه إلى أشخاص لهم طبيعة البشر يحكمون على البشر من واقع بشريته. ولذلك جعل الله قضاء الكاهن فى التوبة سلطان نافذ المفعول

فى الأرض وفى السماء معاً. «كل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السموات، وكل ماتربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات».

وقضاء الكاهن وحكمه يكون على الخطايا التى يظهرها التائب، فالوضوح فى عرض الإثم يتبعه شمول الحكم ونفاذه. لهذا قال ماربولس للأسقف تيموثيئوس «خطايا بعض الناس واضحة تتقدم إلى القضاء. وأما البعض فتتبعهم» (١ تى ٥:٢٤).

لذا فالكاهن فى التوبة يحمل السلطان الكهنوتى لغفران الخطية ويؤتمن ألا يهبه إلا للتائبين فقط.

فهل يمكن لأمين خزينة فى أحد المصارف، أن يصرف شيكاً ولو بمليماً واحداً من البنك بدون مستند رسمى صحيح غير مزور؟! إن كان ذلك يعتبر إختلاساً يعاقب عليه الصراف قانوناً، فكم وكم تكون دينونة الكاهن الذى يعطى الحل لمن لا يستحقه؟!!

وهذا يوبخ الإستعمال الخاطىء للحل الكهنوتى أثناء صلاة القداس الإلهى، وربما قبل التناول بلحظات!!

إن الكنيسة تعلم بأن حلول الرب يسوع المسيح على المذبح بعد صلاة إستدعاء الروح القدس فى القداس الإلهى ـ يمنع من إستعمال الكاهن الحل فى وجود رئيس الكهنة الأعظم. أفيليق أن يكون صاحب الحل قائم، ووكيله يعطى الحل؟!! ربما يليق بالتائبين، ولكن غالباً أن الذين يأتون قبل التناول مباشرة يطلبون الحل لا يحلمون من التوبة شيئاً بل يحتاجون إلى توبة أخرى عن هذا التجاسر الشديد!!

ونتيجة للتهاون فى إستعمال الحل الكهنوتى فى التوبة إستهتر الناس بالحل، ونجد الآن من يطلب حلاً بالتليفون، أو فى كل وقت مناسب وغير مناسب نسمع عبارة «حاللنى».. إن الحل فى التوبة نطق يخرج من فم الله، كالبراءة التى تخرج من فم القاضى. فهل ينطق القاضى بحكم ـ أى كان نوعه ـ إلا فى إنعقاد رسمى لهيئة المحكمة، وفى مواجهة وقورة مع المتهم؟!!

لذلك فالأب الكاهن مع أبوته الكاملة وحبه الشديد لتوبة أولاده، يدقق فى معرفة صدق توبتهم. ويمارس طقس التوبة داخل بيعة الله وأمام مذبح الله العلى فى وقار وهيبة لحلول هبة الغفران على كل تائب.

وربما لا يجد الأب الكاهن فى المعترف صدق فى توبته، خاصة مع المبتدئين. فلا يزجر التائب أو يركله ركلة تجعله يخرج فاقد الثقة فى إمكانيات خلاصه. لكنه يحتمل من كان غير صادقاً فى توبته كطبيب مداوى يختار من أدوية النجاة وسائل متعددة تساعده على بلوغ صدق التوبة.

وإحتمال المعترف غير الصادق فى توبته لا يكفى، بل تلزمه مداواته بالتلمذة. ولذا **فالأب الكاهن فى طقس التوبة معلم،** يرشد بالإنجيل، ويتلمذ للمسيح . وهنا لا يصير للكاهن تلاميذ شخصيين له أو أتباع حزبيين وراءه، بل يصيروا بفعل عمله وعلومه تلاميذ للراعى الواحد ربنا يسوع.

فالكاهن المتتلمذ للمسيح على يدى أب إعتراف، والذى من خلال عشرة المذبح الطاهر يأخذ التعليم الإنجيلى الدسم المشبع والمتزن غير المتطرف، الذى يأخذه ويختبره هو الذى يتلمذ أولاده تلمذة ناجحة للمسيح.

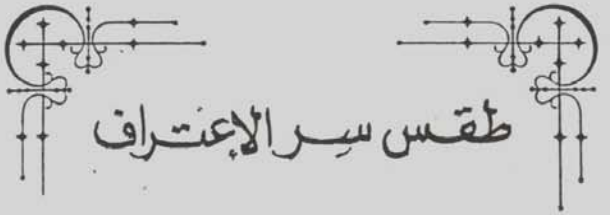

طقس سر الإعتراف

أولاً: يقر التائب بخطاياه إقراراً كاملاً، نابعاً عن رغبة صادقة للتوبة وحرص شديد على النمو والجهاد. وذلك فى وقار الكلام، وبوقار فى الجلوس، وبوقار فى الإستيضاح والمناقشة فيما يشير به الأب الكاهن.

ثانياً: يضع الكاهن الصليب على رأس المعترف ويمسك بإبهام يده اليمنى وأصابع يده اليسرى فوق رأس المعترف.

ووضع الكاهن يديه فوق رأس المعترف ومسكه بهما رأسه إشارة إلى أبوة الله الحنانة القابلة إليه التائبين كما إنه إشارة إلى يد الله الماسك الكل والضابط الكل بيمينه. إنها يد الله ضابط الكل: ضابط حركات الإنسان وأفكاره، وضابط لحركات إبليس وهياجه.. ضابط الكل يمسك برأس (أفكار) التائب.

[أما وضع الصليب فوق رأس المعترف، فذلك لأن موهبة الغفران وقوته يستمدها الكاهن من دم ربنا المسفوك على الصليب بين الكاهن والمعترف ضرورة يحتمها الطقس والفهم اللاهوتى الصحيح فالرأس المثقلة بالخطية تكون منحنية إلى أسفل بينما يصلى الكاهن بالصليب حيث يتم بفعله السرى تقديس المعترف أولاً لحلول الروح القدس، ثم يمنح بواسطة ـز الصليب الظاهر قوة الدم الإلهى المطهرة لخطايا التائب سرياً وحينئذ تتم

بالصليب الحل والمصالحة بين الله والتائب].[1]

أما وضع إبهام يد الكاهن اليمنى فوق رأس المعترف فلأنه خلال صلوات السر يرشمه ثلاث رشوم بالصليب المقدس باسم الأب والإبن والروح القدس إستدعاء لسر اللاهوت للتقديس أى سر الثالوث وسر التجسد وسر الفداء.

ولأنه بواسطة هذا الإبهام يتم الرشم السرى لروح المعترف كما يتم لجسده فيحمل بواسطتها إستحقاقات الغفران الإلهى.

ثالثا: مقدمة صلوات السر:

وهذه الصلوات **يرفعها التائب والمعرف معا** بقصد الإستعداد الروحى والذهنى لملاقاة صفح الرب وحله. وتشمل هذه المقدمة ما يلى:

١ ـ الصلاة الربانية «أبانا الذى...»

٢ ـ مجموعة من صلوات المزامير وهى تشير إلى صوت التائب الذاكر خطيئته العارف بمراحم الرب.

وهى مزامير ٥٠، ٣١، ٣٧

٣ ـ صلاة منسى الملك: وهى الصلاة التى رفعها منسى الملك وهو مقيد بسلاسل النحاس وفى أنفه خزامة حديد عندما ساقه ملك أشور مسبياً إلى بابل. فرفعها فى ضيقه «وتواضع جداً أمام إله آبائه» (٢ أى ٣٣: ١١، ١٣).. وهذه الصلاة محفوظة فى كتب الكنيسة

(١) الصليب ـ الأب متى المسكين.

تقال ضمن صلوات الملوك والأنبياء فى ليلة سبت الفرح (أبو غلمسيس).

وهذا نصها:

[يارب، ياضابط الكل الذى فى السماء.

إله آبائنا إبراهيم واسحق ويعقوب وزرعهم الصديق، الذى خلق السماء والأرض وكل زينتهما.

الذى ربط البحر بكلمة أمر وختم فمه بإسمه المخوف والمملوء مجداً.

الذى يفزع ويرتعد كل شىء من قدام وجه قوته.

لأنها لا تحد عظمة مجدك ولا يدرك غضب رجزك على الخطاة،

وغير محصاة ولا مدركة رحمة إرادتك.

أنت الرب العلى الرحوم طويل الروح وكثير الرحمة

وبار ومتأسف على شر البشر.

أنت أيضا **يارب على قدر صلاحك رسمت توبة لمن أخطأ إليك**، وبكثرة رحمتك بشرت بتوبة للخطاة لخلاصهم.

أنت يارب لم تجعل التوبة للصديقين إبراهيم وإسحق ويعقوب هؤلاء الذين لم يخطئوا إليك (*) **بل جعلت التوبة لمثلى أنا الخاطىء.**

لأنى أخطأت أكثر من عدد رمل البحر.

(*) لاحظ هنا إتضاع منسى، فرغم أخطاء البطاركة الأول المدونة فى التوراة يذكرهم كأنهم لم يخطئوا.

كثرت آثامى ولست مستحقاً أن أرفع عينى إلى السماء من قبل كثرة ظلمى، ولست مستحقاً أن أنحنى من أجل كثرة رباطات الحديد ولا أرفع رأسى من خطاياى.

والآن بالحقيقة قد أغضبتك، ولا راحة لى لأنى أسخطت رجزك، والشر صنعت بين يديك، وأقمت رجاساتى، وأكثرت نجاساتى.

والآن أحنى ركبتى وقلبى، وأطلب من صلاحك: **أخطأت يارب أخطأت**، وآثامى أنا عارفها.

ولكن أسأل وأطلب إليك يارب اغفر لى ولا تهلكنى بآثامى، ولا تحقد على إلى الدهر، ولا تحفظ شرورى، ولا تلقنى فى الدينونة فى قرار أسفل الأرض.

لأنك **أنت هو إله التائبين**، وفىّ أظهر صلاحك لأنى غير مستحق وخلصنى بكثرة رحمتك، فأسبحك كل حين كل أيام حياتى. لأنك أنت هو الذى تسبحك كل قوات السموات ولك المجد إلى الأبد. آمين.] (*)

رابعاً: تدريب مبسط للتوبة، يجاهر فيه المعترف بوقار ومسكنة **مئة مرة** هذه العبارة:

أخطـأت إليك ياربـى يسوع المسيح

فارحمنى من أجل إسمك القدوس».

(*) دلال أسبوع الآلام ـ ٢٠٨، ٢٠٩. ياليت هذه الصلاة تكون تدريب حفظ ليستطيع أن يرددها مع الأب الكاهن أثناء طقس السر.

والمقصود بتكرار هذه العبارة فى التدريب، هو رفع إحساس التائب ووجدانه إلى حالة يقظة روحية يعترف فيها للمسيح بخطأه ويطلب رحمته. ما أجمل الدموع إن وهبت للتائب ساعتها!

خامساً: صلاة للكاهن. يرفعها والمعترف بين يديه، لا من أجل المعترف.. بل فيها إيضاح للعدو المشترك وحيله وإقراره الجماعى بذلك أمام الله.

وهى أشبه بتأمل روحى رفع إلى مرتبة الصلاة لمناجاة الله عن إبليس وجنوده الأشرار.

يصلى الكاهن: (*)

[نعم نسألك أيها الآب القدوس الصالح محب الصلاح، لا تدخلنا فى التجارب، ولا يتسلط علينا كل إثم.

لكن نجنا من الأعمال غير النافعة، ومن الإفتكار فيها وتطبيقها ورؤيتها وملامستها.

والمجرب أبطله وأطرده عنا، وإنتهر أيضاً حركاته المسلطة علينا، واقطع عنا الأسباب التى تسوقنا إلى الخطية المهلكة لنفوسنا وأبعد عنا مشورة الناس الأشرار، وحصنا فى كل حين بيمينك القوى المحى. فأنت معيننا وناصرنا وبك تبتهج قلوبنا.

بنعمة ورأفة إبنك الوحيد ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح. هذا الذى من قبلـه يليق بك معه مع الروح القدس المحى المجد والإكرام والعز والسلطان والسجود الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين].

(*) راجع الخولاجى المقدس ـ صلاة الآب السرية بعد صلاة القسمة.

سادساً: صلوات التحليل الثلاثـــة:

(١) التحليل الأول: يقول الأب الكاهن:

[نعم يارب،

يارب الذى أعطانا السلطان أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو.

إسحق رؤوسه تحت أقدامنا سريعاً،

وبدد عنا كل معقولاته الشريرة المقاومة لنا.

لأنك أنت هو ملكنا أيها المسيح إلهنا.

وأنت الذى نرسل لك إلى فوق المجد والإكرام والعزة والسجود أيها الآب والإبن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور كلها. آمـين].

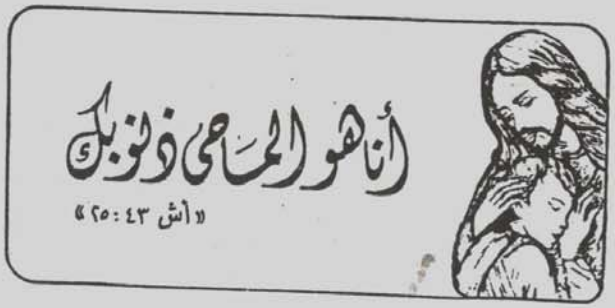

تأمـــلْ

بذهن متيقظ واع، منصت لنداء الروح القدس يشعر الأب الكاهن أن الله يناديه «أين أخوك؟ أين إبنك؟..»

وحينما يقبل الأب الكاهن إعتراف التائب ويقف معه أمام الله يطلب لنفسه وله غفراناً، وكأنه قد إستجاب لنداء الله السابق بالبحث عن الضال وإيجاد المفقود فيجاوب نداء الله «نعم يارب». نعم لقد بحثت عنه، وأطعت، وها أنا ههنا قائم أمامك ومعى أخى وإبنك، حاملاً إثمى وجهالات أخى..

أراك واقف أمام عرشك.. لمجلس دينونتك أخشع، ولنور شعاع لاهوتك أجزع، أذكر الرهبة والرعب من أجل خطاياى وجهالة إبنك. نعم يارب، إن خطاياى وجهالة إبنك عظيمة جداً، عالية فوق رأسينا.. ولئلا يصيبنى الشيطان وإبنك باليأس من هول الشرور التى فينا، أذكر وعدك الحقيقى غير الكاذب الذى قلت فيه لتلاميذك: «دفع إلىّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض» (مت ٢٨: ١٨)، «ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شىء» (لو ١٠: ١٩). وعدك الإلهى بسلطان أعظم من سلطان الخطية علينا، يعزينى وابنك، ويسندنى وإياه فى رجاء ثابت غير متزعزع أنك قادر أن تنقل عنى وعنه كل آثامنا.

من هذا الوعد الحقيقى أسألك «اسحق رؤوسه (رؤوس الشيطان) تحت أقدامنا سريعاً»، فالعدو القائم أمام كلينا ليس كالحية لها رأس واحدة فيمكن الإجهاز عليها وقتلها. لكنه صاحب رؤوس كثيرة، فألاعيبه وخباثاته كثيرة كلما نظن أننا سحقنا رأس يظهر أمامنا برأس جديد.

فإن حاربنا بالشهوات نظن أننا نسحقه بالصلاة، وعندما نصلى يحاربنا بالشرود، وإن جمعنا فكرنا فيك حاربنا بالملل وتعب الجسد! آه يارب رؤوسه كثيرة، لكن وعدك بالسلطان يجعلنى أردد قول مار بولس «إله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً». ونحن نشق فى سرعة سحقه بقدر ما تعرف أنت عنه سرعته فى تغيير رؤوسه التى يطل بها علينا آن بعد آخر.

ولكن العدو حينما يشعر بقوتك تسحق رؤوسه سريعاً أمامنا ويحس بزعزعة مكانه بالخطية فينا.. يفعل مثلما تفعل النباتات الصحراوية حينما تحس بالظمأ فتسرع بالإزهار والإثمار وتكوين بذور تلقيها ميكانيكياً فى التربة لتضمن لها خلوداً متى توفر الماء الكافى.. تماماً مثلما تفعل تلك، يفعل الشيطان بنا إذ يبذر فى أفكارنا وفى أفكار من حولنا كل الحجج المنطقية التى يقبلها العقل ويخدع بها ليجعل من ثمارها الشريرة فى تفكيرنا جحوداً للتوبة ونكراناً لحبك..

لذلك يامن نؤمن بسلطانك المعطى لنا كوعدك كما سحقت رؤوسه «بدد عنا كل معقولاته الشريرة المقاومة لنا». مهما صنع الشرير، فلن يجدى فينا بحصانة سلطانك مكاناً لعمله. أنت الذى سبق أن إشتريتنا بدمك السكيب وحررتنا من سلطان الموت والخطية، وملكت على قلوبنا.. «أنت هو ملكنا أيها المسيح إلهنا». وملكيتك لنا من دور إلى دور، نقدمها بكل مجد

وكرامة، لك ياربنا العزيز المحوط بالعزة والذى نقدم لك علامة خضوعنا لملكك سجودنا.

أنا وإبنك ههنا منتظرين مواهب سلطانك للغفران، نعم يارب.

(٢) ثم يصلى الأب الكاهن التحليل الثانى:

[أنت يارب الذى طأطأت السموت، ونزلت وتأنست من أجل خلاص جنس البشر.

أنت هو الجالس على الشاروبيم والسيرافيم، والناظر إلى المتواضعين.

أنت أيضا ياسيدنا الذى نرفع عيون قلوبنا إليك.

أيها الرب الغافر آثامنا، ومخلص نفوسنا من الفساد. نسجد لتعطفك الذى لا ينطق به.

ونسألك أن تعطينا سلامك، لأنك أعطيتنا كل شىء.

إقتننا لك يا الله مخلصنا، لأننا لا نعرف آخر سواك.

إسمك القدوس هو الذى نقوله.

ردنا يا الله إلى خوفك، وشوقك.

مر أن نكون فى تمتع بخيراتك.

وإبنك الذى أحنى رأسه تحت يدى: إرفعه فى السيرة، زينه بالفضائل.

بمسرة أبيك الصالح، هذا الذى أنت مبارك مع مع الروح القدس المحيى المساوى لك الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين].

تأمُـــلْ

هذا التحليل قطعة روحية رائعة مملوءة تأمل وهذيذ فى الله الرحوم الذى نعبده.

ففيه ندرك عظمة أقنوم الإبن، ربنا يسوع المسيح، إذ أنه تعالى شأنه «طأطأ السموات»، وكلمة طأطأ تعنى أحنى.

وكأن السموات بعظمتها وقعت فى حيرة ودهشة عندما ظهرت فكرة التجسد الإلهى، لكن هذه الدهشة والحيرة لم تجد من الرب يسوع سوى أن يطأطأها كمدبر وخالق.

لعل لهذا المعنى يطأطأ الأب الكاهن رأسه أثناء صلاة هذا التحليل بينما يكون المعترف راكعاً خاشعاً برأسه أيضاً.

وعظمة أقنوم الإبن لا تعرف فى طأطأته السموات فقط بل وفى جلوسه على الشاروبيم والسيرافيم أيضاً (راجع ١ صم ٤:٤، ٢ صم ٦:٢، مز ٨٠:١، ٩٩:١). فالشاروبيم هم ذوات «ملء المعرفة» والسيرافيم هم «المتوهجون» المسبحون للرب على الدوام.

هؤلاء وأولئك جلس الرب فوقهم. لماذا؟ داود النبى يجيب قائلاً «ركب على الكاروبيم وطار» (مز ١٨:١٠). طار إلى أين، إلى الأرض. لعل هذا رمز

إنتقال المعرفة الإلهية والتسبيح بغير فتور إلى الأرضيين.

ولكن ليست هذه المناظر المحفوفة بالبهاء هى كل الحقيقة فى كل عظمة أقنوم الإبن، فبقية الحقيقة أنه مع كونه عال فوق كل علو لكنه ليس كبنى البشر الذين فى جهلهم يتعظمون..

لكنه «نزل وتأنس» نزل، فهذا هبوط. وتأنس، إذ أعقب النزول أخذ صورة الإنسان الكاملة فى اللحم والدم.. مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية!. وكان هدفه الخالص من كل ذلك لا مجرد الصنيع لنوال المدح، بل «من أجل خلاص جنس البشر» «ينظر إلى المتواضعين» ليجعل فى نزوله وتأنسه خلاصاً لهم من خطاياهم.

بهذا المقدار فى الرفعة ربنا معظم واتضع!

هذه الرفعة لله، تستلزم بالتبعية رفعة لقلب الإنسان الطالب وجهه الساجد منتظر غفرانه. **وهبة رفع القلب فى الإنسان تتم بالإيمان لتكمل نقصه وضعفه.** لذا يقول الكاهن «ياسيدنا، الذى نرفع عيون قلوبنا إليك».

فالإيمان وحده هو الذى يفسر للتائب تلك العظمة اللاهوتية الممتزجة بالإتضاع الصادق.

- وبداية الإيمان الحى لحظة إتمام طقس الإعتراف هو **الإيمان بغفران الله آثامنا.** وتعبير الصلاة هنا غاية فى الدقة الروحية، فلم تقل «أيها الرب الذى غفر آثامنا، أو الذى سيغفر خطايانا».. بل «أيها الرب غافر آثامنا» منذ بدء الخليقة وحتى نهايتها باب التوبة يفتحه لكل قارع، وكل من يؤمن به ويجاهد بإسمه للخلاص.

- وبالإيمان أيضاً ننادى الرب إلهنا « مخلص نفوسنا من الفساد»، إن إسمه يسوع «أى يخلص شعبه من خطاياهم» (مت ١: ٢١)، بالإيمان والجهاد يخلص وينقذ التائب فيناجيه مع داود «لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية. لن تدع تقيك يرى فساداً» (مز ١٦: ١٠).

ولهذا فإن ما ينكشف بالإيمان أمام عيون قلب التائب تجعل حقيقة عظمة أقنوم الإبن كامل الوضوح أمامه، **فيقدم علامة الإيمان الحقيقى «نسجد لتعطفك الذى لا ينطق به»**، فالسجود هنا خشوع وحب للإله المتعطف الذى يغفر، والذى يخلص.. فعبادة التائب بالإيمان ليست عبودية بل حرية وحب «لا أعود أسميكم عبيداً» (يو ١٥: ١٥).

والأب الكاهن التائب شفيع التائب عقب هذا السجود التأملى ينهض فيطلب «نسألك أن تعطينا سلامك». لأن فعل الإثم لا يجعل للسلام مكاناً فى حياة الإنسان «لا سلام قال الرب للأشرار» (أش ٤٨: ٢٢، ٥٧: ٢١). **وعطية السلام ثمرة من هبات الغفران الذى يناله التائب، يعود بها الإنسان مرة أخرى إلى قنية الله.** لذا يعاود الأب الكاهن الطلبة «اقتنا لك يا الله مخلصنا، لأننا لا نعرف آخر سواك» والحصن الذى يحتمى فيه التائب المقتنى لله من هجمات إبليس هو إسم الله القدوس لأنه «برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع» (أم ١٨: ١٠) ولهذ نجد **ترديد إسم الله مخلصنا «يسوع» محبب فى فم التائب، يأخذه كقانون أو تدريب يومى مستمر طيلة حياته وفى كل مواقف جهاده مع الخطية.**

ومع أن إسم الله مخلصنا قوة، لكن هذه القوة لا تعمل فى التائب إلا إذا أراد خوف الله وحفظ وصاياه، ونمى فى قلبه أشواق عرسه الإلهى فى

الأبدية.. هذين اللذين كانا قد هربا من حياته بسبب الخطية. لذلك يختم الأب الكاهن شفيع التائب طلباته «ردنا ياالله إلى خوفك، وشوقك».. هذا الرب، وذلك الشوق يحتاجهما التائب حتى ولو كان داخل قدس أقداس العلى.

كل هذه الطلبات تطلب بصيغة الجمع مع أن الكاهن هو الذى يرفعها، فالكاهن ذاته فى كل مباشرة جديدة لطقس الإعتراف يحتاج إلى توبة دائمة وحفظ لذاته وشوق للخلاص.

ماعدا طلبة واحدة فى هذه الصلاة التأملية ينحدر فيها الكاهن التائب من هذا العلو الشاهق رويداً رويداً ليطلب من أجل المعترف **طلبة واحدة هى رفع السيرة، وزينة الفضائل التى تجعل التائب عروس مستعدة للقاء مخلصها فى أبهى حلة.**

والرائع حقاً أن الكاهن يطلب ذلك من أجل **«إبنك المنحنى برأسه تحت يدك». فمع أن اليد هنا يد الكاهن المنظورة لكنها حقيقة تحت يد الله ذاته. وهذا يعنى ضمنياً أن رفع السيرة وزينة الفضيلة يمكن أن تكون حقيقة فى حياة التائب إن خضع بطاعة لتدبير ومشورة هذه اليد العالية فوقه.**

وبعد هذه الطلبة الوحيدة التى تذكرها الصلاة بصيغة المفرد يعاود الأب الكاهن التائب شفاعته بصيغة الجمع طالباً لنفسه والتائب إستحقاق ملكوت الله السماوى. «لنستحق **كلنا** ملكوتك الذى فى السموات».

مع أن الكاهن هو الذى ينطق بهذه العبارة كشفيع، لكن التائب اليقظ يستطيع أن يرددها سراً مع أبيه«اجعلنى يارب مستحق ملكوتك».

وبنهاية هذه الطلبة يكون الأب الكاهن قد نزل تماماً من فوق جبل التأمل فى هذه الصلاة فيقدم عبادته لله الواحد إلهنا.

(٣) وبعد نهاية التحليل الثانى، يضع الأب الكاهن الصليب بيده اليمنى على رأس المعترف بينما يمسك بإصبعى السبابة والإبهام ليده اليسرى بجبهته ليصلى **التحليل الثالث**.

فى هذا التحليل يصلى الأب الكاهن:

[أيها السيد الرب يسوع المسيح، الإبن الوحيد، وكلمة الله الآب: الذى قطع كل رباطات خطايانا من قبل آلامه المخلصة المحيية. الذى نفخ فى وجه تلاميذه القديسين ورسله الأطهار قائلاً: اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم غفرت لهم ومن أمسكتموها عليهم أمسكت.

أنت الآن أيضاً ياسيدنا: من قبل رسلك الأطهار أنعمت للذين يعملون فى الكهنوت فى كل زمان فى كنيستك المقدسة أن يغفروا الخطايا على الأرض ويربطوا ويحلوا كل رباطات الظلم.

الآن أيضاً نسأل ونطلب من صلاحك يامحب البشر عن عبدك (فلان) وضعفى، نحن المنحنين برؤوسنا أمام مجدك المقدس: أرزقنا رحمتك، اقطع كل رباطات خطايانا. وإن كنا قد أخطأنا إليك فى شىء بعلم أو بغير علم أو بجزع القلب أو بالفعل أو بالقول أو بصغر القلب.

أنت أيها السيد العارف بضعف البشر، كصالح ومحب للبشر. اللهم أنعم لنا بغفران خطايانا.

باركنى، وباركـــه.

طهرنى، وطهره.

حاللنى، وحالله.

املأنا من خوفك، وقومنا إلى إرادتك المقدسة الصالحة لأنك أنت هو إلهنا.

والمجد والكرامة والعز والسجود تليق بك مع أبيك الصالح والروح القدس المحى المساوى لك الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين].

تأمـــل

فى هذا التحليل نعـرف إلهنا الـرب يسوع المسيح معرفة لاهوتية متكاملة:

+ **فمن حيث طبيعته اللاهوتية**: فهو الرب **يسوع المسيح**. يسوع هو الإسم المعبر عن ناسوت المخلص، مسيح هو الإسم الوظيفى الذى يدل على عمل المخلص الكفارى. وهذين الإسمين للمخلص **تجدهما متلازمين** دائما فى كل صلوات **الكنيسة تأكيداً لإيمانها بإتحاد اللاهوت والناسوت إتحاداً كاملاً** فى طبيعة واحدة لأقنوم الإبن (راجع ١ تى ٢ :٥)، بلا تغيير ولا إختلاط ولا إمتزاج للطبيعتين الإلهية والبشرية.

ثـم **هو الإبن الوحيد** (راجع يو ١ : ١٨، ٣ : ١٦، ١٨، مت ٣ :١٧، ٨ : ٢٩، لو ١ : ٣٥، عب ٤ : ١٤، ١ يو ٥ :٢٠، يو ١ :١٤، ١ تى ٦ : ١٥) وهو وحيد لأبيه ووحيد لأمه العذراء. وهو أيضاً **«كلمة الله الآب»** التى أظهرها لنا حب الله الفائق الإدراك المتدفق للبشرية الساقطة (رؤ ١٩ : ١٣، عب ١ :٢، يو ١٥ : ١٥، يو ١ : ١، ١ يو ٥ : ٧).

+ **ومن حيث عمله**: **«قطع كل رباطات خطايانا من قبل آلامه المخلصة المحيية»**. وعندما قال الرب على الصليب «قد أكمل» كان آخر رباط يربط المؤمنين بسلطان الموت عليهم قد تمزق، وقد أعلن ذلك بوضوح تمزق حجاب الهيكل وإنشقاقه من فوق إلى أسفل.

+ **ومن حيث سلطانـه**: يقول الأب الكاهن: «نفخ فى وجـه تـلاميذه القديسـين وقال لهـم: إقبلوا الـروح القدس من غفـرتم خطاياهم غفرت لهم، ومن أمسكتموها عليهم أمسكت» (يو ٢٠ : ٢٢، ٢٣، مت ١٨ : ١٨).

وهذا النوع من سلطان خدمة الأسرار الكهنوتية خاص بغفران الخطية الذى وهبه الرب بنفسه لتلاميذه الرسل الإثنى عشر. هذا السلطان **ممتد عبر الأجيال** «أنت أيضا ياسيدنا من قبل رسلك الأطهار أنعمت للذين يعملون فى الكهنوت فى كل زمان فى كنيستك المقدسة أن يغفروا الخطايا على الأرض وأن يربطوا ويحلوا كل رباطات الظلم» إننا نؤمن أن الكنيسة المسيحية منظمة إلهية رسولية أسسها الإله بيمينه وبسكب دمه الطاهر، وسلمها لإثنى عشر رسولاً عاشوا معه فى حياته كلها على الأرض ثلاث سنين تقريباً حتى إمتصوا من إلهنا كل ما تحتويه الكنيسة الآن من نظم وترتيبات تسلمها من الرسل «أناس قديسين أكفاء» أساقفة وكهنة سلموها لأناس أمناء حفظوا الوديعة إلى جيلنا الحالى على أتم ما يكون حفظ الإيمان نقياً.

ومجرد النطق «من قبل رسلك الأطهار» تجعل التائب يشعر بالرهبة لأن حلول الآباء الرسل فى هذه اللحظة حلولاً روحياً حقيقياً ويأخذ منهم الكاهن التائب والمعترف التائب الحل..

وهذا السلطان الممتد عبر الأجيال نعمة إلهية تعطى كهبة ليس لمن يطلب ولا لمن يشاء بل من الله الذى يرحم.

وهذه النعمة لا تجعل حاملها فوق مستوى البشر أو تُغير من طبيعته البشرية فى شىء بدليل أنه الكاهن بالرغم من السلطان المعطى له يطلب أيضاً لأجل «ضعفه».

وتختص هذه النعمة بأمرين: أولهما: غفران الخطايا على الأرض وإن كان الغفران عمل الله وحده إلا أنه يفوض ذلك لوكلاء أسراره تفويضاً كاملاً يعطون عنه حساباً صارماً يوم الدينونة. وثانيهما ربط وحل كل رباطات الظلم ـ أى تفويض الكاهن ممثل الكنيسة الشرعى فى تشريع ما يجده صالحاً لحياة التائب وفق مقتضيات العصر الذى يعيشه.. لإيقاف تيار الشر وعمل عدو الخير وسط عروس المسيح المستضيئة بحبه.

أما فاعلية هذه النعمة فهى تمتد فى كل زمان فى الكنيسة المقدسة. إنها سمة كهنوتية لا تمحى بفناء جسد صاحبها، إذ تظل روحه حاملة لها تخدم بها الله فى ظل السماويات على الأرض. وفى السموّات عينها فى الأبدية.

جراحة روحية للتفريغ:

والأب الكاهن إذ يعلن هذا الإيمان بالرب يسوع المسيح يقف على رأس المعترف كجراح، يقف أمام مريض يباشر له عملية جراحية بالغة الوقار والهيبة لتفريغ الإثم من التائب.

يمسك خلال هذه الجراحة بمشرط الرحمة الإلهية يقول: «أرزقنا

رحمتك»، فالرحمة هى التى تحدر حنان الله وغفرانها على التائب. «إن كنت راصداً للآثام يارب فمن يستطيع الثبوت أمامك».

وبهذا المشرط (طلبة الرحمة) يتقدم الكاهن الجراح بقطع رباطات الخطية «إقطع كل رباطات خطايانا» كإمتداد طبيعى لذبيحة الصليب المقدسة والتى بها تقطع آخر قيد يربطنا بالموت الحقيقى أى السقوط فى الخطية والإنفصال عن الله.

ثم ينظف الكاهن الجراح مكان هذه الرباطات المتسخة بغفران كامل للخطايا «اللهم إغفر لنا خطايانا» ويحدد الأب الكاهن فى شمول رائع:

من حيث نوع الخطية يطلب الكاهن عن:

* الخطايا التى نصنعها بعلمنا، وإدراكنا العاقل.
* الخطايا التى نسقط فيها لا شعورياً بغير علم من حواسنا البشرية الواقعة تحت الإرادة.
* الخطايا التى تنشأ عن إنفعال الخوف بأشكاله المتنوعة مثل الإهتمامات الباطلة، والقلق النفسى وتوابعه هذا ما أطلقت عليه الكنيسة عبارة «خطايا جزع القلب».

أما من حيث أسلوب تنفيذ الخطية فيطلب الكاهن عن:

* خطايا السقوط الفعلى مثل الزنا، سرقة..
* خطايا السقوط الفكرى التى تولد فى الفكر ولا تخرج إلى حيز التنفيذ العملى.

* خطايا صغر القلب، أى الضجر والملل والكسل وما ينتج عنها.

أدويـــة النجاة:

وبعد هذه الجراحة الروحية السريعة للمعترف، يعرض الكاهن وضع التائب أمام الله ويطلب أدوية تداوى جراحات التائب. وهى ثلاث:

* البركة «باركه».
* الطهارة «طهره».
* الصفح والسماح «حالله».

وهذه الأدوية يطلبها الكاهن لنفسه أيضاً كمحتاج لها إحتياجاً أشد، فالطبيب قد يصاب بالعدوى ما لم يكن قد تحصن بالدواء جيداً. ولكنه يطلبها فى تعبير ينم عن إختلاف وضعه عن وضع التائب من حيث إحتياجه الأشد والألزم فيقول «باركنى، وباركه».

إمـــتلاء جـديـد:

وفى نهاية تعاطى هذه الأدوية يعاود الكاهن الطلبة لنفسه وللتائب لإمتلاء جديد من الخوف المقدس **«إملأنا من خوفك»**. ليس الخوف من الله لأننا نحبه ، ولكن أن نخاف لئلا نقع فريسة مـرة ثانية للعدو فنسـقط. «لا تستكبر بل خف» (رو ١١ :٢٠).

وهـذا الخوف يكمل **«بتقويم الإرادة»** نحـو القداسة وطـلـب الصلاح. إن حفظ الوصية للتائب يلزمها دائماً حفظ إرادته مـن ميل النفس وهواها للعصيان والسقوط.. بهذا يظل التائب يمـارس التوبـة بصدقها

حتى النفس الأخير.

وعندما ينتهى الكاهن الجراح من هذه الطلبة يقدم لله الطبيب الحقيقى لنفوسنا وأجسادنا العبادة والخضوع عرفاناً بالحب الذى ملأ قلب التائب تجاه أبوة الله الحانية المعلنة خلال سلطان الغفران الكهنوتى.

ســـابعاً : وهنا يختم طقس الإعتراف إذ ينفخ الكاهن فى وجه المعترف ثلاثة نفخات على إسم الآب والإبن والروح القدس بينما يقول: [ربنا يسوع المسيح **الذى ترك** لكنيسته سلطاناً ليحلوا جميع التائبين المؤمنين به حقاً ليغفر لك **خطاياك** برحمته العظيمة، وأنا بسلطانه الذى فوض لى أحلك من جميع **خطاياك** بإسم الآب والإبن والروح القدس. آمين.

قم ياأخى التائب من سجودك شاعراً بعظم عطية الغفران التى صارت لك بإتمام هذا الطقس فى إقرارك بالخطية، **وإنحنى فى وقار وهدوء مقبلاً الصليب المقدس ويد الأب الكاهن وأخرج من هذا اللقاء الإلهى وسط تهليل السمائيين وفرح القديسين بخاطىء واحد يتوب!..**

أوشية الجاحد

هذه الصلاة الطقسية تباشرها الكنيسة للتائبين الذين سقطوا فى أنواع خاصة من الخطايا مثل: خطية جحد الإيمان ونكران المسيح أى الإرتداد، أو خطية تدنيس الجسد للزوج أو الزوجة بالزنا مع شخص آخر غير مؤمن وقبل أحدهما الإستمرار فى الحياة الزوجية وغفر للآخر خطأه.

مثل هؤلاء التائبين لا تعيد لهم الكنيسة موهبة سر المعمودية، لكنها تصلى من أجلهم لكى لا يكون خطأهم حرمهم من بعض نعمها الفياضة فى أحشائهم.

ولذلك خلال مباشرة الصلاة لا نسمع إلا عن خلع ثياب التائب ثم نضح الماء عليها ورسم جسده بالزيت، ثم إعادة ثيابه إلى وضعها الطبيعى. وتكتفى الكنيسة بهذا النظام أن تشير إلى أن الخطية المرة التى سقط فيها جعلته عرياناً عن النعمة مثل آدم وحواء اللذان أخطئا فتعرا.. وإذ يتعرى الجسد يحتاج إلى تقديس بالزيت المصلى عليه، ثم التوبة تعيد للإنسان سر الله الذى فقده بسقوطه.

ومما يلاحظ أيضا فى مباشرة الصلاة أن الأب الكاهن الشفيع عن التائب يطلب من الله غفراناً بإعتبار أن هذا التائب «تجرب» أى وقع تحت ضغط تجربة من عدو الخير.

فالكنيسة تعتبر أمثال هؤلاء المؤمنين «أخوة مجربون» لم يحتملوا التجربة فسقطوا بالضعف أو الجهل. ولذلك هى تشفع فيهم كضعفاء أقروا بضعفهم وطلبوا التوبة والغفران. وتطلب حلول الروح القدس عليهم كمرشد ومتوب وملهب للقلب بالغيرة نحو الخلاص والقداسة.

والرائع فى هذه الصلاة أن الكاهن يطلب أثناءها كل هذه الطلبات لابصيغة المفرد للتائب فقط، بل يطلبها بصيغة الجمع: للتائب ولنفسه ولبقية الشعب.. إنها شركة فى الضعف وشركة فى الشفاعة وشركة فى النصرة معاً.

وإن كانت مباشرة هذه الأوشية قد إندثرت لعوامل عديدة منذ مدة، لكننا آثرنا أن نضعها هنا كتراث خالد للكنيسة المحبة لأولادها التائبين المقرين بخطئهم .. لكى كما إستخدمها روح الله القدس فى بركة تائبين كثيرين، يستخدمها الآن أيضا: فكما كان هكذا يكون..

لا تشمت بى يا عدوتى. إذا سقطت أقوم
(ميخا ٧: ٨)

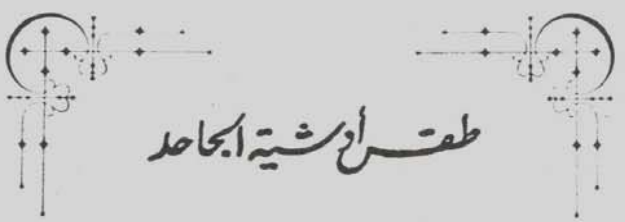

طقس أوشية الجاحد

تجهز آنية جديدة من الفخار (قدر)، وتملأ ماء حلواً. يصب فيها الكاهن زيتاً ساذجاً ثلاث مرات ويرسم علامة الصليب.

١ ـ يقول الكاهن: **صلاة الشكر**:

٢ ـ وفى نهايتها يقول الشعب: **أرباع الناقوس**.

٣ ـ وخلالها يرفع الأب الكاهن البخور ويتلو **سر البولس**: [يا الله العظيم الأبدى الذى بلا بداية ولا نهاية، العظيم فى مشورته، والقوى فى أفعاله، الذى هو فى كل مكان، وكائن مع كل أحد. كن معنا أيضا ياسيدنا فى هذه الساعة وقف فى وسطنا كلنا. طهر قلوبنا، وقدس أنفسنا، ونقنا من كل الخطايا التى صنعناها بإرادتنا، وإمنحنا أن نقدم أمامك ذبائح ناطقة وصعائد للبركة. وبخوراً روحياً يدخل إلى الحجاب فى موضع أقداسك].

ثم يبخر ثلاثة أيادى فى الأربعة جهات.

٤ ـ وبعد ما ينتهى الشعب من أرباع الناقوس يكملون: **ذو كصابترى** كى أيوكى آجيو إينفماتى، كانين كى آى أى كى إستوس إى أونا استون أونون. آمين ألليلويا.

٥ ـ ثم يقول الشعب: **أبانا الذى فى السموات**.

٦ ـ ومن بعدها يتلون **المزمور الخمسين**: «إرحمنى يا الله كعظيم رحمتك».

٧ ـ ثم يختمون بالسجود لله الآب والإبن والروح القدس: «تين أوشت أيموكو بى إخرستوس نيم بيك يوت إن آغاثوس نيم بى أبنفما أثؤواب جيه آك إى آك سوتى أمون ناى نان».

٨ ـ ثم يقرأ الشماس **البولس**: ١ تى ١ : ٣ ـ ١٧.

[كما طلبت إليك أن تمكث فى أفسس إذ كنت أنا ذاهباً إلى مكدونية لكى توصى قوماً أن لا يعلموا تعليماً آخر. ولا يصغوا إلى خرافات وأنساب لا حد لها تسبب مباحثات دون بنيان الله الذى فى الإيمان. وأما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء. الأمور التى إذ زاغ قوم عنها إنحرفوا إلى كلام باطل. يريدون أن يكونوا معلمى الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقررونه. ولكننا نعلم أن الناموس صالح إن كان أحد يستعمله ناموسياً. عالماً هذا أن الناموس لم يوضع للبار بل للأثمة والمتمردين، للفجار والخطاة الدنسين والمستبيحين، لقاتلى الآباء وقاتلى الأمهات وقاتلى الناس. للزناة. لمضاجعى الذكور. لسارقى الناس. للكذابين الحانثين.

وإن كان شىء آخر يقاوم التعليم الصحيح حسب إنجيل مجد الله المبارك الذى أؤتمنت أنا عليه. وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذى قوانى أنه حسبنى أميناً إذ جعلنى للخدمة. أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً ولكننى رحمت لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان. وتفاضلت نعمة ربنا جداً فى الإيمان والمحبة التى فى المسيح يسوع.

صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا. لكننى لهذا رحمت ليظهر يسوع المسيح فى أنا أولاً كل أناة مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية. وملك الدهور الذى لايفنى ولا يرى الإله الحكيم وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور. آمـــين]

نعمة الله الآب تحل على جميعنا آمين.

٩ ـ ثم يقول الشعب الثلاثة تقديسات «**آجيوس**».

١٠ـ ثم يقول الكاهن «**أوشية الإنجيل**».

١١ـ ثم يقرأ الأب الكاهن **الإنجيل**:

مز ٢٤ :٦، ٧، ١٠ : «خطايا صباى وجهالاتى لاتذكرها يارب. أذكرنى من أجل صلاحك. يارب من أجل إسمك يارب تغفر لى خطيئتى. هلليلويا».

لو ١٥ :٣ـ١٠ : «فقال لهم هذا المثل مخاطباً. أى رجل منكم له مئة خروف ويضيع واحد منها أليس يترك التسعة والتسعين فى البرية ويمضى فيطلب الضال حتى يجده، فإذا وجده وضعه على منكبيه فرحاً . وإذا أتى إلى البيت فيدعو أصدقاءه وجيرانه قائلاً لهم إفرحوا معى لأنى وجدت خروفى الضال. أقول لكم إنه يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من التسعة والتسعين صديقاً لا يحتاجون إلى توبة. أو أى إمرأة لها عشرة دراهم إن أضاعت درهماً واحداً ألا توقد سراجاً وتكنس البيت مجتهدة حتى تجده. فإذا وجدته

دعت أحباءها وجـيرانها قائلة إفرحن معى لأنى وجدت درهمى التالف ـ هكذا أقول لكم إنه يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب». والمجد لله دائماً.

١٢ ـ **ثم يقول الشعب مرد الأنجيل**: «أيرنوفى أيرنوفى باشويس إيسوس كونى ايفول جى امون فوك ان آت أيرنوفى أوذى أمون شويس أن آت كو ايفول..».

وترجمتها «أخطأت أخطأت ياربى يسوع إغفر لى ـ لأنه ليس عبد بلا خطية ولا سيد بلا غفران. أعطنى يارب توبة لكى أتوب قبل أن يسد الموت فمى فى أبواب الجحيم.

إشفع فينا يارئيس الملائكة الطاهر ميخائيل رئيس السمائيين ليغفر لنا خطايانا.

أطلبوا ياسادتى الآباء الرسل وبقية التلاميذ ليغفر لنا الرب خطايانا. لأنه مبارك إسمك أيها الآب والإبن والروح القدس لك السجود الآن وكل أوان آمين».

١٣ـ بعد ذلك يقول الأب الكاهن **الأواشى الكبار**: السلامة، والآباء، والإجتماعات.

١٤ـ فى نهاية أوشية الإجتماعات يقول الشخص التائب مع الشعب بصوت جهورى: **قانون الإيمان**.

١٥ـ بعد ذلك يقول الأب الكاهن **هذه الأوشية للجاحد التائب**: [السيد الرب الإله ضابط الكل أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى يريد

أن يحيا جميع الناس، وأن يقبل كلهم إلى معرفة الحق.

أنت ياسيدنا نسألك عن عبدك (فلان) الذى أحنى رأسه وإلتجأ إليك لتحله من رباطات إبليس ومن كل أمانة رديئة للهاجرين هذه التى رفضك بسببها.

نسأل ونطلب منك يامحب البشر أرسل روحك القدوس وقوتك على عبدك (فلان) فى هذه الساعة. إنزع من قلبه كل إعتراف ردىء باطل. طهر قلبه من جميع أفكاره الشريرة.

وإن كان قد نجس جسده مع غير مؤمن فسامحه وإجعله مستحقاً أن يختص بالدخول فى الأمانة المستقيمة التى للتقوى والتى كرز بها الأنبياء والرسل ومعلموا البيعة.

عبدك (فلان) عده مع شعبك وخراف ميراثك. هب له مغفرة جميع خطاياه التى صنعها منذ ولادته إلى هذه الساعة وذلك بحلول روحك القدس عليه فلا ينقص شىء من نعم المعمودية التى قبلها أولاً.

باركه، طهره، قدسه، إملأه من خوفك، قومه نحو إرادتك المقدسة الصالحة.

بشفاعة سيدتنا كلنا والدة الإله القديسة مريم و كل مصاف قديسيك. بالنعمة والرأفة ومحبة البشر التى لإبنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح هذا الذى يليق بك معه مع الروح القدس المحى المساوى لك الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين].

١٦ـ ثم يقول الشعب **أبانا الذى فى السموات.**

١٧ـ **بعدها يتلو الكاهن هذه الطلبة:**

[نعم نسألك أيها الرب إلهنا الذى لا يدع أحد منا يجرب أكثر من طاقته بسبب ضعفنا. أعطنا أن نخرج من هذه التجارب لنستطيع أن نطفىء السهام المتقدة ناراً التى للعدو. ونجنا من الشرير وأعماله بالمسيح يسوع ربنا هذا الذى..].

١٨ـ فيقول الشماس: «طأطئوا رؤوسكم للرب».

١٩ـ يعاود الكاهن فيقول:

[نعم يارب الذى قلت لا أدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ولكنى أرسل مع التجربة المنفذ. أرسل من العلا نعمتك لنستطيع أن نحتمل نجنا أيها الرب إلهنا من كل تجربة متعبة وأخرجنا منها ومن كل أفعال الخبيث بالمسيح يسوع ربنا.. هذا الذى..].

٢٠ـ يقول الشماس: «إنصتوا بخوف من الله».

٢١ـ **هنا يقول الكاهن التحليل** الآتى:

[أيها الشافى نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا أنت الذى قلت لأبينا بطرس من فم إبنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى بيعتى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات وماتربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات وما تحله على الأرض يكون محلولاً فى السموات.

فليكن إذن عبدك هذا (فلان) محالاً من فمى من كل خطية ومن كل لعنة ومن كل جحود ومن كل يمين كاذب ومن كل مصادمات الهراطقة والهاجرين والوثنيين بروحك القدوس أيها الصالح محب البشر.

اللهم ياحامل خطية العالم أسبق بقبول توبة عبدك منه نوراً للمعرفة وغفراناً لخطاياه لأنك إله رؤوف ومتحنن طويل الأناة كثيرالرحمة بار. سامح واغفر له، بما أنك صالح ومحب البشر].

٢٢ـ يصرخ **الشماس** قائلاً: «**حقاً خلصت حقاً مع روحك**».

٢٣ـ **يرسم الكاهن الماء ثلاثة رسوم بالصليب ويقول:**

ايفلوجيتوس كيريوس ايسوس اخرستوس ايوس ثيئو آجيا اسموس ابنفما آجيون آمين». «مبارك الرب يسوع المسيح إبن الله وقدوس الروح القدس آمين».

٢٤ـ **ويرد الشعب**:«آمين اسباتير آجيوس أيس أوس آجيوس إن إبنفما آجيون آمين. حقاً واحد هو الآب القدوس واحد هو الإبن القدوس واحد هو الروح القدس. آمين».

٢٥ـ **ثم يقول الشعب «المزمور ١٥٠» سبحوا لله** فى أثناء ذلك.

٢٦ـ **هنا يخلع التائب ثيابه فينضح الأب الكاهن الماء عليه ثلاث مرات**، بعد أن يعمل ستاراً بينه وبين الشعب، وهو يقول: [أحميك «يافلان» بإسم الآب والإبن والروح القدس إله واحد آمين.].

٢٧ـ وبعد أن ينتهى الكاهن من صب الماء على رأسه وغسله يأخذ الكاهن

الزيت ويرشم جبهته وقلبه ووسط منكبيه، ومنكبيه، ويديه، وهو يقول:

[مبارك الله الآب ضابط الكل. آمين . مبارك إبنه الوحيد يسوع المسيح ربنا آمين. مبارك هو الروح القدس البارقليط. آمين].

٢٨ـ وبعد إتمام الرسم يلبسه ثيابه، ويدعه يحنى رأسه، ثم يصلى الكاهن عليه **هذه الصلاة**:

[أيها السيد الرب الإله الوحيد كلمة الله الآب الذى أتى إلى العالم ليدعو الخطاة إلى التوبة، الذى لا يشاء موت الخاطىء مثلما يرجع ويحيا الذى قال إذا أخطأ إليك أخوك سبع مرات فى اليوم ويرجع إليك سبع مرات قائلاً قد أخطأت إغفر له.

أنت الآن ياملكنا أنظر إلى إنحنائنا أمامك نحن الخطاة عبيدك ـ أطرد كل فكر شرير من قلب عبدك «فلان» أغفر جميع خطاياه وجهالاته. اعتقه من كل ظلمة إبليس لينظر إلى مجد عظم بهاءك.

أنعم لنا يارب بسعى وتوبة وعتق من خطايانا وزلاتنا وآثامنا ولا تدعنا نعود إليها مرة أخرى بل إنهضنا من عثراتنا وسر معنا بقوتك وأنقذنا من مخانق إبليس وردنا إليك برجعة حقيقية، ودبرنا فى سيرة حسنة، ونقنا من كل فكر نجس، واعتقنا من كل نية دنسة، وأمح كتاب خطايانا. وأنقذنا الآن فنستطيع أن نتقوى بمعونتك ضد قوات الشرير وصوره، فيرجعوا مغلوبين فى حربنا الثانية، ونأتى أيضاً إلى سبيل العبادة الإلهية احسبنا مع كل المجاهدين الحقيقيين الذين خلصوا بمسرة الله هذا الذى أنت مبارك معه والروح القدس المحى المساوى معك الآن وكل أوان..].

٢٩ـ بعد هذا **يقول الكاهن تحليل الإبن**: (وهو التحليل الثالث من أواشى التحليل الثلاثة) (*).

٣٠ـ ثم يناول الكاهن التائب من الأسرار المقدسة. ويأمره ألا يعود يخطىء فيما بعد . ويتلو البركة ويختمها بالصلاة الربانية.

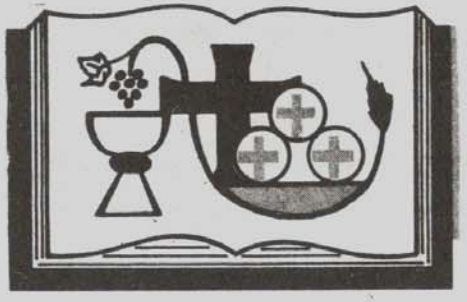

(*) راجع ص ١٥٨ .

ملاحق

+ **مرشد لمحاسبة النفس.**

+ **قديسون تائبون.**

+ **صلوات تناسب التائبين المبتدئين.**

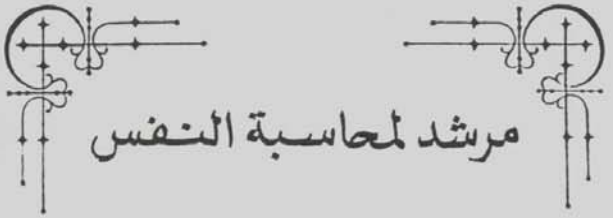

مرشد لمحاسبة النفس

عن كتاب: بستان الروح الجزء الأول للقمص شنودة السريانى (نيافة الأنبا يؤنس حالياً)

أخانا الحبيب:

الإعتراف الكامل الصحيح هو الذى تكشف فيه عن نفسك كشفاً تاماً أمام أب إعترافك وتشعر يقيناً أنه لا يوجد شيء تعرفه عن نفسك وقد أخفيته عنه. ولذلك يلزمك أن تحاسب نفسك محاسبة دقيقة صريحة قبل الإعتراف. وهذه أمامك بضعة أسئلة تساعدك على معرفة نفسك ومحاسبتها وتمهدك للإعتراف. وهى مقسمة على موضوعات: بعضها يختص بالعبادة والبعض بأنواع الخطايا.

(أ) من جهة العبادة

الصلاة:

١ ـ هل أنت مهمل لصلواتك أم مواظب عليها؟ أم تهملها أحياناً؟

ولماذا؟ وهل هذا الإهمال ثابت؟ وهل فكرت فى حل ؟ وماذا كانت النتيجة؟.

٢ ـ متى تصلى؟ هل تصلى عند الإستيقاظ؟ وقبل النوم؟ وقبل وبعد الأكل؟ وقبل الخروج من البيت؟ وقبل كل عمل تعمله؟ وعند كل ضيقة؟ وهل تصلى فى الطريق ؟ وهل تصلى أثناء وجودك مع الناس؟

٣ ـ هل لك صلوات خاصة طويلة تقف فيها مدة فى حديث خاص مع الله؟ وهل أنت مواظب على هذا؟ وهل صلواتك هذه فى نمو أم فى نقص؟

٤ ـ هل تصلى بالمزامير؟ هل تصلى كل صلوات الأجبية أم بعضها ما الذى تصليه منها؟ إن كنت لا تصلى بالمزامير فلماذا؟

٥ ـ هل تحفظ مزامير وقطعاً من الأجبية؟ هل هذا الحفظ فى نمو أم هو فى نقص بالنسيان؟ وهل تستخدم هذه المزامير والقطع التى تحفظها؟

٦ ـ هل صلاتك بحرارة قلب؟ هل فيها دموع أحياناً؟ هل فيها شعور بالوجود فى حضرة الله؟ أم هى صلوات فاترة، أم أحياناً حارة وأحياناً فاترة ولماذا؟

٧ ـ ماهو وضع جسمك أثناء الصلاة؟ هل تقف وتبسط يديك إلى فوق؟ هل تركع؟ هل تسجد؟ أم لك وضع آخر؟ هل تقف بإحترام أمام الله؟ أم ترخى قدميك؟ أم تسند جسمك إلى الحائط؟ أم تحرك يديك؟ أم يزوغ بصرك فى أشياء؟

٨ ـ هل يشرد عقلك أثناء الصلاة؟ فى أى نوع من الصلوات يشرد وفى أى الموضوعات؟ وهل هذا يستمر طويلاً؟ ما الذى تفعله لمعالجة هذا الأمر؟

٩ ـ هل هناك موضوعات معينة تشغلك أثناء الصلاة؟ هل تصلى من أجل خطاياك ومن أجل حياتك الروحية؟ هل تصلى من أجل الآخرين؟ هل تصلى من أجل مضايقيك؟ هل لك طلبات مادية؟

١٠ ـ هل تعطى الله وقتاً صالحاً أم تصلى فى أوقات تعبك الجسمانى والعقلى؟

الصـــوم:

١ ـ هل تصوم كل أصوام الكنيسة أم بعضها، ما الذى تواظب على صومه؟ هل تصوم الأربعاء والجمعة من كل أسبوع؟ هل تقف عقبات فى وجه صومك؟ ما هى؟

٢ ـ هل لك فى صيامك فترة انقطاع ؟ ما هو مقدارها؟

٣ ـ هل تشتهى أطعمة معينة؟ وهل تشبع شهوتك منها؟ وهل تطلب أن يعدوا لك أصنافاً خاصة؟

(ب) من جهة علاقاتك بالناس

١ ـ هل علاقاتك بالناس حسنة، الكبار والصغار، سواء مع أفراد الأسرة أو زملائك أو باقى الناس؟ أم هل بينك وبين أحد شىء؟ إن كان فما هو؟

٢ ـ هل غضبت على أحد؟ على من؟ ولأى سبب؟

٣ ـ فى كل مرة غضبت فيها ماذا كانت حالتك أثناء غضبك؟ هل كان غضباً مكبوتاً فى الداخل أم ظاهر؟ هل كان مجرد حدة فى الصوت أم صياحاً؟ أم كلاماً جارحاً أو شتيمة أم عراكاً؟ أم ماذا؟

٤ ـ هل صرفت غضبك بسرعة أم بقى معك مدة؟ ماهى؟ هل أتعبتك أفكار بسببه؟ هل ترك فى قلبك شيئاً من جهة إنسان؟ هل تحول إلى خصام مدة من الزمن؟ هل بقى فى القلب كغيظ أو حقد أو كراهية أو عداوة؟

٥ ـ إن كنت قد تخاصمت مع أحد فهل تصالحت معه أم لا؟ وهل جاء الصلح منك أم منه أم حدث بتدخل وسطاء؟ وكم كانت مدة الخصام؟ وهل زال كل شىء؟

٦ ـ هل هناك أحد يغضبك أو يسىء إليك؟ ماهو موقفك منه فى الظاهر والباطن؟

٧ ـ ما هو مقدار فضيلة الإحتمال عندك؟ وفضيلة طول الأناة؟ وفضيلة الصفح أو المسامحة؟ وفضيلة محبة الأعداء؟

٨ ـ هل أنت الذى تسىء أحياناً إلى الناس ولو عن طريق المزاح (الهزار) أو الجهل أو النسيان؟ وما الذى فعلته من أجل معالجة الأمر؟ هل أصلحت أسلوبك هل إعتذرت؟

٩ ـ هل تسىء إلى الناس أحياناً بحجة الدفاع عن الحق؟وما نوع الإساءة؟

١٠ـ أية عقبات تقف أمام فضيلة الوداعة أمامك فى تصرفاتك؟

١١ـ هل أنت مقصر أو قصرت فى حق أحد؟ هل تؤدى واجباتك كاملة تجاه جميع الناس: سواء فى الأسرة أو فى المدرسة أو العمل أو الكنيسة أو فى علاقاتك الإجتماعية المختلفة؟

١٢ـ هل لك صحبة شريرة مع أحد؟ مع من؟ وما هى الخطايا التى تقع فيها نتيجة هذه الصحبة؟ هل لك أصدقاء تبعد بسببهم عن الكنيسة وحب الله؟

١٣ـ هل علاقاتك المالية بالناس حسنة؟ هل ظلمت أحداً؟ هل غششت أحداً هل تلاعبت بحق إنسان أو أجلته؟

١٤ـ هل تؤدى واجباتك المالية نحو الله؟ ما هو مركز فضيلة الصدقة فى حياتك؟ ما هو تصرفك من جهة العشور والبكور والمساهمة فى إحتياجات الكنيسة؟

١٥ـ هل أنت متواضع مع الناس أم تعامل أحد بكبرياء؟

١٦ـ هل فى طبعك شيء من القسوة أو العنف أو الشدة؟ أم تتصرف برحمة وهدوء وإعتدال؟ أم فيك ليونة وضعف أو تراخ؟ وما الأخطاء التى تقع فيها نتيجة لذلك؟

١٧ـ هل تحب مديح الناس لك؟ هل تسعى لكرامة نفسك وأخذ مديح الناس؟ وكيف؟ وما هو شعورك إذا ذمك أحد أو تجاهلك أو عارضك أو إستصغرك؟ أو لم يعاملك بما يليق؟

١٨ـ هل تحاول أحياناً أن تظهر أمام الناس بغير حقيقتك؟

١٩ـ هل تعثر أحد بتصرفاتك أياً كانت؟

٢٠ـ هل تخدم الناس وتتعب من أجل راحتهم؟ وما مركز هذه الفضيلة فى حياتك؟

(جـ) بعض أنواع الخطايا

خطايا اللسـان:

١ ـ ما هى خطايا اللسان التى تقع فيـها؟ هل وقعـت فى الكـذب ـ النميمة ـ إدانة الآخرين ـ التجديف ـ القسم ـ الشتيمـة ـ التهكم ـ المزاح الردىء ـ المناقشات الغبية... إلخ أو أى كلام غير لائق؟

٢ ـ مع من أخطأت؟ وإلى من أخطأت؟ وما هو عدد مرات الخطية (إن أمكن) ولأى سبب أخطأت؟ وهل الأمر أصبح عادة؟

٣ ـ هل فكرت فى مقاومة هذه الخطايا؟ كيف؟ وما هى النتيجة؟

٤ ـ هل أنت كثير الكلام؟ هل تتكلم فى كل موضوع حتى ما لا تفهم فيه؟ هل تشعر أنك تضيع فى الكلام ـ بدون فائدة ـ وقتاً كان يمكن إستخدامه فيما هو نافع؟

٥ ـ هل تغنى أحياناً أغانى عالمية؟ أو تستعمل أساليب كلام لا يوافق أبناء الله؟

٦ ـ هل طريقتك فى الكلام فيها خطأ؟ هل صوتك عال أو حاد؟ هل تصحب كلامك بإشارات هل تتكلم بتؤدة أم بإندفاع؟ هل تفكر قبل أن تتكلم أم تتسرع قبل أن تدرك ما يجب أن يقال؟ هل تقاطع من يحادثك أحياناً؟ هل تقع فى أخطاء فى نقاشك؟

٧ ـ هل تتدخل فيما لا يعنيك؟ هل تحشر نفسك فى حديث أشخاص لم يطلبوا رأيك؟ هل تحب بإستمرار أن تعلم وتوبخ وتنصح غيرك، حتى من هو أكبر منك، أو من هو غريب عنك؟ أو من قد يتضايق من نصحك وتعليمك له؟

٨ ـ هل دربت نفسك على الصمت؟ وما هى نتائج هذا التدريب؟

خطايا الفكـــــر:

١ ـ ما هى الخطايا التى تقع فيها بفكرك؟ هل هى زنـا، أو أيـة شهوة أخرى، أو أفكار غضب أو حقد، أو إنتقام، أو إدانـة للآخريـن، أو سوء ظن، أو كـبرياء، أو حسد أو أحـلام يقظة، وتجديف، أو شك؟

٢ ـ هل يستمر معك الفكر طويلاً أم يعبر بسرعة؟ ما مدى إستمراره عندك؟

٣ ـ هل يحاربك الفكر من الخارج وتكون متضايقاً منه وتحاول أن تطرده؟ أم إنك ترحب بالفكر وتتلذذ به، وتكبره وتبنى عليه أفكاراً أخرى كثيرة؟

٤ ـ هل يتحول الفكر أحياناً إلى شهوة ويغريك على الخطية بالفعل؟ وهل فى كل مرة تخطىء فيها بالفكر تخطىء بالفعل؟

٥ ـ هل تشغلك أيضاً أفكار بخصوص إهتمامات العالم الكثيرة ومشاكله وأحزانه؟

خطايا الحـــس:

ماهى الخطايا التى تقع فيها بحواسك وخاصة عن طريق النظر أو السمع أو اللمس؟ هل تقع فى العادة الجنسية؟ هل تشتهى ما لغيرك؟ هل تتجسس على غيرك؟

التناول والإعتراف:

١ ـ هل أنت مواظب على التناول؟ ما هى آخر مرة تناولت فيها؟

٢ ـ هل أنت مواظب على الإعتراف؟ ما هى آخر مرة إعترفت فيها؟

٣ ـ إن كان هناك تقصير فما هو سببه؟

٤ ـ هل تشعر أن فى نفسك شىء تحاول أن تخفيه عن أب إعترافك؟

٥ ـ هل تستعد وتحاسب نفسك جيداً قبل الإعتراف؟

٦ ـ هل هناك أشياء مكررة فى إعترافاتك تشعر أنها خطايا ثابتة؟ وماذا فعلت من أجل تركها؟

القـــــراءة:

١ ـ هل أنت مواظب على قراءة الكتاب المقدس؟ وهل قراءاتك بنظام أم فى أى مكان تفتحه؟

٢ ـ هل لك تأملات فى القراءة سواء مكتوبة أم فكرية؟

٣ ـ هل لك دراسات فى الكتاب المقدس؟ وهل تقرأ كتاباً فى التفسير؟

٤ ـ هل تقرأ كتباً دينية أخرى؟ فى أى نوع تقرأ.. الروحيات ـ سير القديسين ـ العقائد..إلخ وهل أنت مواظب على قراءتـها؟

٥ ـ هل لك قراءات عالمية؟ هل تقرأ ما يعثر أحياناً؟

٦ ـ ما هو متوسط الوقت الذى تعطيه للقراءة الدينية كل يوم أو كل أسبوع؟

٧ ـ هل تستفيد من قراءاتك لإصلاح حياتك أو لتدريبات روحية؟

المطانيـــــات:

هل لك مطانيات؟ ما عددها؟ هل أنت مواظب عليها؟ هل هى مصحوبة بصلوات؟

الذهاب إلى الكنيسة

١ ـ هل أنت مواظب على الذهاب إلى الكنيسة وحضور القداسات؟ إن كان هناك مانع فما هو؟

٢ ـ هل تحضر القداسات وأنت صائم أم وأنت مفطر؟

٣ ـ هل تحضر مبكراً أم متأخراً؟ وهل تحضر الصلاة كلها؟

٤ ـ هل تحضر إجتماعات أخرى غير القداسات: عشية ـ عظات ـ إجتماع شبان.. إلخ وهل أنت مواظب عليها؟

٥ ـ هل لك خدمة فى الكنيسة؟ ماهى؟ هل أنت أمين فيها؟ هل فيها مشاكل خاصة تتعبك؟

التدريبات الروحيـــــة:

١ ـ هل لك تدريبات روحية؟ ما هى؟ هل أنت ناجح فيها؟ إن كنت فاشلاً فيها فما هو السبب؟

٢ ـ هل هناك فضائل تحب أن تدرب نفسك عليها؟

خطايا القلـب:

١ ـ ما الذى يوجد فى قلبك من شهوات ورغبات ومشاعر لا ترضى الله؟ هل فى قلبك حسد ـ غيرة ـ كراهية ـ شهوة غنى ـ شهوة مراكـز ـ حب سيطرة ـ تعظم معيشة ـ محبة للعالم وأمجاده الزائلة ـ شهوة أجساد ـ شهوة إنتقام؟

٢ ـ هل يوجد فى قلبك سخط ـ تذمر ـ غيظ ـ ألم ـ يـأس ـ حزن؟

٣ ـ هل هذه المشاعر والشهوات تظهر فى حياتك العملية؟ وهل تسبب لك أفكاراً وهل تظهر فى أحلامك؟

خطـايـا الفعـــل:

١ ـ ما هى الخطايا التى وقعت فيها بالفعل؟ فى أى شىء خالفت وصايا الله؟ هل وقعت فى زنا ـ سرقة ـ قتل ـ شجار ـ سكر ـ إهمال ـ عصيان ـ عادات رديئة.. إلخ؟

٢ ـ ما هو عدد مرات تكرارك الخطية؟ ومع من أخطأت؟ وإلى من أخطأت؟

٣ ـ ما هى الأضرار التى تسببت عن خطيئتك؟ وهل ماتزال قائمة أم عولجت؟

٤ ـ هل هناك أسباب ثابتة تقـودك إلى الخطيئـة؟ ما هى أم كلها أسباب عارضة أو وقتية؟ أم هو تعود؟ وما الذى فعلته لتلافى هذه الأسباب كلها؟

٥ ـ هل حاولت أن تتوب وتترك هذه الخطايا؟ ما مدى نجاحك أو فشلك فى عمل التوبة؟

ملاحظـــــة:

الأسئلة التى ذكرناها سابقاً هى لمساعدة المبتدئين فى حياتهم الروحية على حساب أنفسهم حساباً دقيقاً حتى يأتى إعترافهم معبراً عن حالتهم الداخلية بقدر الإمكان.

أما الأشخاص المتقدمون فى حياتهم الروحية فعليهم واجب آخر فى هذا الأمر وهو أن يحاسبوا أنفسهم من الناحية الإيجابية ونقصد بذلك الفضائل المسيحية التى قصروا فى التحلى بها مثل:

زيارة المرضى وإفتقادهم ـ مساعدة الفقراء والمحتاجين ـ التدريب على الإحتمال.. إلخ.

فنحن جميعاً مطالبون بحياة الكمال والقداسة، وعلينا أن ننمو فى النعمة والفضيلة كقول بطرس الرسول: إنموا فى النعمة وفى معرفةربنا ومخلصنا يسوع المسيح (٢ بط ٣: ١٨).

إذن فعلى الأشخاص النامين روحياً أن يحاسبوا أنفسهم من الناحيتين السلبية والإيجابية ليكون ذلك حافزاً لهم على إستمرار النمو فى الحياة المقدسة مع الرب..

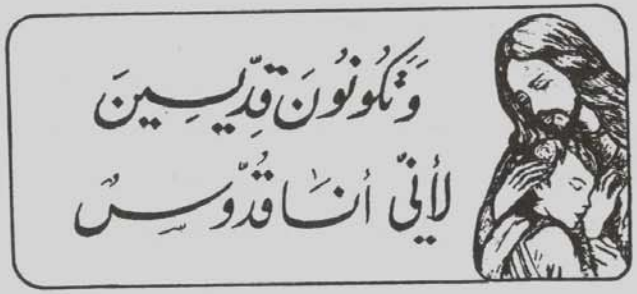

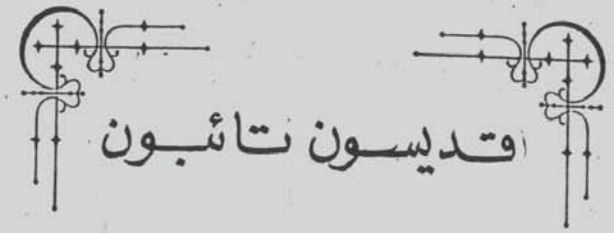

١ ـ طريقان نهايتهما توبة

النوح = الرجاء = توبة

قوتل راهبان بالزنى، فإنطلقا إلى العالم وعاشرا نساء. وبعد ذلك ندما وقال بعضهما لبعض: ماذا ربحنا؟ لقد تركنا عمل الملائكة وجئنا إلى هذه النجاسة، ومصيرنا بعد ذلك أن نمضى إلى جهنم النار، فلنرجع إلى البرية ونتب. فرجعا إلى البرية فأتيا إلى الشيوخ، فأمروهما أن يحبسا نفسيهما سنة واحدة ويتضرعا إلى الله كى يتحنن عليهما وكانوا يعطوهما خبزاً وماء بالتساوى. فلما إنقضى قانون تأديبهما وخرجا من حبسهما أبصر الشيوخ أحدهما متغير الوجه وأبصروا الآخر حسن المنظر باشاً. فعجب الآباء من ذلك لأن حبسهما وطعامهما كان واحداً ولكن منظرهما ليس بواحد. فسألوا المتغير الصورة «ماذا كان تفكيرك أثناء مدة حبسك؟» فقال « كنت أتذكر شرورى، والعذاب المعد لى، ومن شدة فزعى لصق لحمى بعظمى». ثم سألوا

الآخر «وأنت ماذا كنت تفكر وأنت جالس فى حبسك؟» فأجاب: «كنت أشكر الله الذى خلصنى من نجس العالم ومن العذاب الدائم وأنعم علىّ بأن أعمل عمل الملائكة، وعلى ذلك كنت أفرح». فقال الشيوخ: «إن توبة كليهما واحدة عند الله».

٢ ـ التوبة فوق السلطان

أسقف يتوب

أحد الأساقفه كان يخاف الله وكان إبليس يحسده ويريد أن يلقيه فى بعض مصايده. ففى يوم من الأيام كان جالساً فى قلايته وتلميذه غائب عنه، فدخلت عليه صبية حسنة جميلة الصورة جداً وألقت بذاتها بين يديه وصارت تعترف له وتبكى وكشفت وجهها وبدأت تحدثه. فألقى إبليس شبكته وأوقعه معها.

فلما أخطأ رجع إلى نفسه وبدأ يصرخ ويولول، فدخل عليه تلميذه وتعجب من حال أسقفه. أما الأسقف التائب فظل واقفا على قدميه صائماً باكياً أسبوعاً كاملاً، ولم يشرب الماء البته حتى أنه وقع على الأرض من الإعياء فى اليوم السابع.

ولما لم يعلم أحد سره خلع ثياب الأسقفية وكان يوم عيد من الأعياد وترك عكازه وجاء إلى قدام المذبح ورماها. والتفت إلى الشعب وقال: الرب من اليوم معكم يا أخوة صلوا على فإننى من الآن مابقيت أصلح أن أكون عليكم مقدماً.

فبكى كل الشعب من كبيرهم إلى صغيرهم. وأمسكوه وقالوا له يا أبانا

من أجل الله لا تجعلنا أيتاماً منك وأعلمنا خبرك.

فقال لهم: ياأولادى أنا الحزين الشقى لى أربعون سنة أتعب وأحزن وضيعت الجميع فى ساعة واحدة لأننى نجست جسدى الحقير هذا.

فصرخوا جميعهم وقالوا: ياأبانا نحن نحمل هذه الخطية علينا وعلى أولادنا. فلم يقتنع بشىء من هذه، فأمسكوه ومنعوه من الخروج البته.

فلما علم أنه مغلوب منهم قال لهم: أى شىء تريدونى أن أعمل؟ قالوا: إبدأ لنا القداس. قال: لا..

فصرخ الجميع بصوت واحد وقالوا: من أجل الله إعمل طاعة ولا تخالف. فقال:مبارك، ولكن على شرط أن تعملوا المحبة والطاعة ولا تخالفون فيما يصلح شأنى. قالوا: نعم.

فبدأ القداس، وبعد إتمامه قال لهم: ما أنا أسقفكم إن خالفتمونى ومن يخالفنى فهو ممنوع من الله. ثم خرج إلى باب الكنيسة. ودعا جميع من فى الكنيسة من كبير إلى صغير إلى إمرأة وعبد وجارية. وقال: من أجل الله كل من يريد أن يخرج يطأ بقدمه على وجهى ثلاث دفعات ويقول: يامسيح العالم إغفر له. ومن يعمل هذا فهو يعرف أى أجر يناله من المسيح.

وإذ عملوا كما أمرهم وهو ملقى على وجهه والناس يطأون عليه إذ بصوت قوى أرعب الجميع قال: «ليس من أجل الوطء عليك قد غفرت لك، لكن لأجل تواضعك وإعترافك بخطاياك». فلما إستقر الصوت فى آذان الشعب مجدوا الله فى أسقفهم التائب.

٣ ـ التوبة فوق السلطان

كاهن يتوب

كان بالقسطنطينية كاهن يخدعه الشيطان فزنى. وبعد ذلك تفكر فى خطأه وخطر عليه ساعه موته، فبكى على نفسه بكاء مراً وصلى أن يرشده الرب ماذا يفعل.

فألهمه الرب أن يمضى إلى جبل أولينس ويعترف لشيخ قديس بجميع زلاته. فقال له الشيخ: بعد أن وقعت فى الزنا جسرت أن تكهن؟ فقال له: نعم. قال الشيخ: إن الكاهن بعد أن يسقط هكذا ما له دواء سوى أن يتخلى عن الكهنوت ويتوب توبة خالصة، أما إن جسر وكهن فما أظن أن له دواء. فحزن الكاهن وقال: مابقيت لى توبة،ومضى بحزن.

وفيما هو ماضى لاقاه الأب بطرس العجيب، ولما سأله عن سبب حزنه أعلمه خطأه وقول الشيخ له. فلما أراه الرب اليأس الذى وقع فيه الكاهن قال له: أعتقد ما توجد خطيئة تغلب محبة الله للبشر فتعال معى إلى قلايتى نتفاوض والله يدبرنا.

وفى القلاية قال له بطرس: إن الزنا للقسيس أمر صعب وثقيل وغير لائق به والآن لا تكهن حتى تتوب توبة نقية وإنى واثق أن الرب يقبل توبتك مع التائبين.

فلما سمع الكاهن ذلك شكر الرب وطلب من الشيخ أن يبقيه معه.

فلما رأى بطرس دموعه وإنسحاقه وافق أن يبقى معه. ثم وعظه وظل معه تائباً صائماً مستعطفاً الله.

وكان فى قلاية بطرس مكان سفلى فسأله الكاهن أن يقيم فيه فوافق الشيخ. فمضى إليه الكاهن. وأخذ سلسلة وعلقها فى رقبته وسمر طرفها فى الحائط. ولما تخلف الشيخ ثلاث أيام نزل إليه فرآه مربوط بالسلسلة فقال له: لماذا عملت هكذا، وكيف يمكنك أن تخدم ضروريات الجسد وأنت مقيد هكذا؟. فأجاب الكاهن التائب: لقد تمتع جسدى بالطيب كثيراً، وحان الآن الوقت لأصبر على الرائحة الكريهة الخارجة منى، وأسألك أن تفتقدنى كل يومين أو ثلاثة بخبز وماء لضرورة الجسد. فوافقه أبا بطرس وكان يعد له قوته كل يومين أو ثلاثة.

أما الكاهن التائب فكان يبل خبزه بدموعه قبل أن يأكله وثبت على هذه الحياة القاسية ثلاث سنوات. حتى أعلن الرب لأبا بطرس أن توبة الكاهن قبلت وهو عتيد أن يفارق الدنيا. فنزل إليه، وعرفه بقرب رحيله، وأراد أن يفكه من السلسلة. أما الكاهن التائب فطلب أن لا يفكه منها بل يدعه يموت مغلولاً بها. ولما لم يوافقه أبا بطرس وحله منها صلى الكاهن التائب وفى أثناء صلاته أسلم روحه التائبة!

٤ ـ التوبة فوق الزمن

شيخ يتوب

إعتل أنبا صيصوى، وكان الآباء جلوساً حوله. فسمعوه يخاطب قوماً. فقالوا له: «ماذا تعاين أيها الأب؟». فقال: ها أنذا أعاين قوماً قد جاءوا لأخذ نفسى وأنا أتضرع إليهم أن يمهلونى قليلاً حتى أتوب. فقال له أحد الشيوخ: وإن هم أمهلوك، هل تنجح وأنت فى هذا السن؟!

فقال: «وإن كنت لا أقدر أن أعمل عملاً، فأنى أتنهد وأبكى» فقال له

الشيوخ «إن توبتك قد كملت أيها الأب».

أما هو فقال لهم: «صدقونى أنى لست أعرف من ذاتى إذا كنت قد بدأت إلى الآن؟». ولما قال هذا أشرق وجهه كالشمس ففزع الذين كانوا حوله. وسمعوا صوتاً يقول «إئتونى بتائب البرية» وللوقت أسلم الروح وإمتلأ المكان من رائحة ذكية.

٥ ـ التوبة فوق حروب إبليس

شاب يتوب

شاب صنع شروراً كثيرة، وبرحمة من الله أحس بجرمه فحبس نفسه فى قبر لكيما يتوب عما صدر منه وطرح وجهه على الأرض وهو يقول «لا ينبغى لى أن أرفع نظرى إلى السماء لكثرة خطاياى ولا أن أذكر إسم الله بفمى النجس ولا أن أصلى ولا أن أسكن وسط الأحياء إنما مع الموتى».

وإذ يئس الحياة وهو محبوس فى القبر كان قد إنقضى أسبوعاً. وفى أثناء الليل أتاه أجناد الشياطين وهم يصيحون قائلين: «أين ذلك النجس الذى لم يشبع من الدنس هل يريد الآن أن يصير نصرانياً؟ ألا ننطلق بعجلة من هنا لأن الزوانى والخمارين أصحابك يتوقعون حضورك إليهم فإطرح عنك هذا الأمر البطال فما الذى يحملك على أن تقتل نفسك أيها الأرعن؟ انما أنت بجملتك لنا وقد وهبت لناحياتك بعهود فلما تهرب منا؟ ألا تقوم وتذهب معنا؟».

أما هو فمن وجع قلبه لزم السكوت. ولما كثر عليه الكلام ولم يجبهم بدأوا يضربونه وإستمروا يضربونه حتى مزقوا جسده فلم يستطيع الحركة كما

لم يستطيعوا أن يزيغوه عن فكره التائب. فتركوه مثل ميت وإنصرفوا وهو فى تنهد شديد مسلماً نفسه لله.

ولما بدأ أهل بيته يبحثون عنه ووجدوه فى القبر سألوه عما حل به ولما عرفوا أرادوا أن يأخذوه معهم، فلم يوافقهم.

وفى الليلة التالية عاودوه الشياطين وضربوه. وهكذا الليلة الثالثة حتى بقى فيه قليل نفس.

فلما رأى الله إنكسار قلبه، منعهم عنه، فهربوا وهم يقولون «قد غلبتنا» ولم يعودوا إليه. أما هو فسكن القبر كل حياته، وإقتنى رهبنة وصار سبباً لرجوع خطاة كثيرين إلى التوبة.

٦ ـ الإعتراف الصادق

أخوان كانا يجتمعان فى أحد الأديرة كل واحد منهما منفرد فى قلايته فقال أحدهما لرفيقه. أنا أقصد المضى لأنبا زينون القس فأعرف فكرى. فوافقه الآخر وإنطلقا سوياً. وأخذا كل منهما الشيخ على إنفراد وأقرا بأفكارهما . فأحدهما سجد بخشوع ودموع عند قدمى الشيخ، والآخر إعترف للشيخ بفكره إنما بغير تنهد وخشوع.

وبعد مدة من الزمان إتفق أنهما إجتمعا فقال الواحد لصاحبه لما زرنا الشيخ هل أخبرته بفكرك الذى ذكرت أنك تريد أن تقوله له، فقال: نعم. فقال له: هل إنتفعت بعد إقرارك؟ فأجابه نعم بصلوات أبانا زينون شفانى الله أنا الآخر. فقال له: أما أنا وإن كنت قد إعترفت له إلا أننى لم أحس بالشفاء. فلما علم من زميله أنه إعترف بالخشوع والدموع التى بللت قدمى أنبا زينون

وبالصدق كله.. وفى أثناء ذلك سمعا صوتاً: حقاً من أراد أن يعترف بتوبة لأحد الآباء ينبغى أن يطلب إلى الله بكل قلبه وببكاء شديد فينال مراده، أما من يعترف بتوان وفتور وعدم صدق فليس لن ينتفع ولن يشفى فقط بل ويدان ويعاقب أيضاً.

٧ ـ علامة صدق توبتهما

فتاة عاشت فى الزنا، وكان روادها من الرؤساء. وفى أيام أنبا يوحنا صاحب القلالى جاءت إلى الكنيسة وأرادت الدخول فلم يدعها الإبيذياكون حارس أبواب البيعة قائلاً: لست مستحقة أن تدخلين بيت الله لأنك نجسه. وإذ كان لا يزال فى الكلام معها سمع الأسقف الخصومة فخرج فقالت له الزانية «من الآن لن أزنى». فقال لها الأسقف: «إن جئتى بغناك كله إلى هنا علمت أنك ماتزنين». فمضت المرأة التائبة وأحضرت مالها كله فأخذه الأسقف وأحرقه بالنار. ولما دخلت الكنيسة كانت باكية قائلة «إن كان ههنا حل بى هذا، فهناك ماذا يحل بى» وعملت توبة صارت شهادة فى بيعة الله.

٨ ـ إتضاع أب الإعتراف يتوب

قوتل أحد الأخوة بالزنى، فقام بالليل وذهب إلى أب إعترافه وكشف له سره وسأله أن يصلى من أجله، فقبله الشيخ وعزاه وشجعه.

ولما رجع الأخ إلى مخدعه إشتد عليه القتال، فرجع يعترف ثانية. وفعل ذلك مراراً، وفى كل مرة كان أبوه لا يحزنه بل كان يكلمه بما فيه منفعة نفسه قائلاً له: «كلما قاتلك هذا الشيطان تعال وبح به فإنه ليس شىء يبعد شيطان الزنى مثل إظهار أفكاره وأعماله وفضيحته وليس شىء يفرحه غير كتمان ذلك». فظل الأخ يتردد على أبوه فى تلك الليلة إلى إحدى عشرة مرة

وهو يكشف له أفكاره. وأخيراً قال: «قل لى ياأبى كلمة أو عقاب». فقال الأب القديس «ثق ياإبنى لو أن الله يدع فكرى وقتالى وقفاً عليك لما إحتملت، ولكنت أنت تسقط بالأكثر إلى أسفل». فلما سمع الرب كلام هذا الأب المتضع رفع قتال الزنى عن الأخ حتى تاب.

٩ ـ وأيضا إتضاع وجهاد أب الإعتراف يتـوب

كان ايسيذروس أب القلالى قد أعطى نعمة من الله أن ينظر الأرواح النجسة عياناً وكانوا يخافون منه. وبينما كان ذاهباً إلى الكنيسة إذ به ينظر جماعة شياطين خارج قلاية أخ فوجد بعضهم فى شكل نساء يرقصون ويغنون غناء مطرباً ويقولون ما لا يجب سماعه، ووجد البعض منهم فى شكل صغار يرقصون والبعض الآخر مختلفين فى أعمال رديئة. فتنهد الأب «بلا شك أنه يوجد فى داخل هذه القلاية راهب فى أتون نار». ولما أكمل القس صلاته فى الكنيسة ورجع إذ أن الصلاة هى بدء كل عمل صالح ـ قرع باب قلاية الأخ. ولما علم أنه القس خرج بسرعة وبفرح عظيم أدخله. ولما صليا، قبلا بعضهما بعضا وجلسا، ثم بدأ القس المبارك الممتلىء نعمة يقول للأخ «أيها الأخ:أتيت اليوم إليك لعلى أجد عندك راحة، لأن القلاية التى أنا مقيم فيه قد إمتلأت شياطين وقد إغتصبوها منى لأنهم وجدوا راحتهم داخلها، فإنى كل يوم فى طاعتهم أصنع لهم مايريدون. ولما كان النهار ما إستطعت البقاء معهم بسبب سوء عملى. فأنا أسألك أيها الأخ الحبيب من أجل المسيح أن تصلى عنى كل يوم صلاة لعلى أجد راحة فقد أوشك الرجاء أن ينقطع منى».

فلما سمع الأخ كلام القس لطم على وجهه وأثار التراب على رأسه وقال له: «أيها الشيخ أنت مصباح البرية وضياؤها وتقول لى هذا الكلام». آه

لو علمت ما أنا فيه. وبدأ يخبر القس. بسرعة ضرب له القس مطانية راجياً منه ألا يذكر قدامه شيئاً، لأن الكلام الردىء ينكس القلوب المستقيمة وينجس. حينئذ كف الأخ عن الكلام وقبل مطانية القس. ولما خرج من عنده قام الأخ يصلى لأجل القس ويقول لنفسه «أيها الشقى أنت قائم تصلى وتنوح وتضرب المطانيات عن القس فإبدأ بنفسـك أولاً» وإستمر على هذا الحال حـتى السبت التالى.

وفى مضى القس إلى البيعه مر على قلاية الأخ فوجد الشياطين قياماً على بابها غير قادرين على دخولها ويهمون بهدم سورها. فعلم القس أن الأخ قد نجح فى الصلاة. ففرح وقرع باب قلاية الأخ، الذى لما فتح له وسأله عن حاله كان يجاوب «يا أبى هل أعود أحسب من الرهبان.. ما أشقانى» وبمثل هذا كان يجاوب الشيخ وهو لا يدرى ما كان يهدف إليه الشيخ. فخرج الشيخ من عنده وهو يقول «تباركت يارب إله الجنود لأنك تقبل الخاطىء إذا رجع بتوبة نقية وتعده أفضل من الذى قضى عمره كله فى مرضاتك».

أما الأخ فظل فى هذا الجهاد أسبوعاً آخر، وعند وقوف الشيخ على باب قلاية الأخ وثبت عليه الشياطين الذين تحالفوا على مقاتلة الأخ وقطعوا ثياب الشيخ ونتفوا شعر لحيته وهم يقولون «أما يكفيك أن قلايتك لا نستطيع العبور عليها ولا حتى على جيرانك وأخ واحد لنا فى هذه البرية جعلته عدواً عظيماً يتعدى علينا النهار والليل!» فلما تركوه هكذا قرع باب قلاية الأخ فوجده متعباً فلما آراه حالته سأله الأخ «أيها القس من الذى صنع بك هكذا». فأجابه قائلاً: «إنهم أصدقاؤك الآن». وبدأ يشرح له من أول مرة عبر فيها عليه... فلما علم الأخ بحقيقة الحال شكر الرب الذى أعطاه توبة بإتضاع وجهاد هذا القس..

١٠ ـ قراءات القداس تتوب

أتى القديس بولس البسيط تلميذ أنطونيوس الكبير إلى برية الإسقيط لإفتقاد الأخوة كعادته. ولما دخلوا الكنيسة ليكملوا القداس كان يتأمل كل واحد من الداخلين ويعرف الحال التى عليها نفسه، وكان ينظر مناظرهم بهجة وملائكتهم تتبعهم مسرورة. وعاين أسوداً آكلة وشياطين كثيرة محيطة بأحد الأخوة وملاكه يتبعه من بعيد عابساً. فلما رأى ذلك بكى وقرع صدره مرات وخرج من الكنيسة باكياً. فخرج إليه الأخوة قائلين: لماذا تبكى يا أبانا؟ وطلبوا إليه أن يدخل معهم القداس. فإمتنع وجلس على باب الكنيسة منتحباً جداً.

ولما كملت الصلاة وخرجوا كان يتطلع إليهم أيضاً، فرأى ذلك الأخ الذى كان قد دخل على تلك الحال المحارب وقد خرج بهى الوجه أبيض الجسم وملاكه ملاصق له مسرور والشياطين يتبعونه من بعيد وهم مكمدين. فصفق القديس بولس بيديه مسروراً ووثب فرحاناً. ونادى الأخوة بصوت عال: تعالوا انظروا أعمال إلهنا الصالح. ولما حضر الكل أخبرهم بما ظهر له وسأل ذلك الأخ أن يعرفه السبب الذى من أجله وهبه الله نقاوة. فقال الأخ بمحضر من الكل: «إنى منذ زمان طويل أعيش فى النجاسة إلى أبعد حد. فلما رأيت أبونا بولس باكياً إبتدأ قلبى فىّ يأخذ إحساساً فأنصت إلى قراءات القداس سمعت قول أشعياء إغتسلوا صيروا أنقياء أزيلوا شروركم من أمام عينى... فلما سمعت أنا الخاطىء هذا الكلام ضعف قلبى ونادیت الله بتوبة وتعهدت أمامه ألا أرجع إلى نجاستى وأن أخدمه كل أيامى بطهارة وعلى هذا العهد خرجت من الكنيسة». فلماسمع الآباء هذا الكلام مجدوا الرب الذى بحكمة وضع قراءات القداس لتتوب من يطلب توبة.

صلوات تائبين

ـ ١ ـ

ربى وإلهى ومخلصى يسوع المسيح كنز الرحمة ونبع الخلاص: آتى إليك مقراً بذنوبى. أعترف بأنى بوقاحة تجاسرت ودنست هيكلك المقدس بخطاياى والآن ألجأ إلى رحمتك وتحننك لأن مراحمك لا تحصى وأنك لا ترد خاطئاً أقبل إليك. فها أنا يارب معترف بأن آثامى قد طمت فوق رأسى كحمل ثقيل وقد فارقتنى قوتى فلا تحجب يارب وجهك عنى لئلا أرتاع. ولا توبخنى بغضبك ولا تؤدبنى بغيظك. ولا تحاكمنى بحسب إستحقاقى. إرحمنى يارب فإنى ضعيف. أذكر يارب أنى عمل يديك وإرأف بى. لا تدخل فى المحاكمة مع عبدك لأنه لن يتبرر قدامك حى. عد وألبسنى حلة جديدة تليق لمجدك. أغفر لى وسامحنى لأترنم قائلاً: طوبى لمن غفر إثمه. وسترت خطيته. أعترف لك بخطيتى ولا أكتم إثمى قلت أعترف للرب بذنبى وأنك رفعت آثام خطيتى آمين [1].

(١) من صلوات الأجبية طبعة مكتبة المحبة بالقاهرة سنة ١٩٧٢.

ـ ٢ ـ

أيها الآب القدوس. الذى يحب رجوع الخطاة. وقد وعدت أنك مستعد لقبولهم. أنظر يارب الآن إلى نفس خاطئة قد ضلت وتاهت فى أودية العصيان زماناً طويلاً. فيه تمردت وشعرت بشقاوتها، لبعدها عن ينبوع خلاصها. والآن تتقدم إليك تطلب منك تطهيرها من الأدناس والأقذار التى توحلت فيها. إقبلها ولا ترفضها فإنك إن نظرت إليها بحنوك وعاملتها برحمتك تنقت وخلصت، وإن أهملتها بادت وهلكت. إمنحنى يارب نعمة بها أتقوى على الدنو منك بإيمان وطيد ورجاء تائب. لأعترف بذنوبى وأكره العودة إليها. وليبكتنى روحك على آثامى. أنر قلبى لأرى كم أخطأت وأسأت وتركت وأهملت وإمنحنى عزماً على عدم الرجوع إلى الإثم. لأثبت فى حفظ وصاياك وأحيا لمجد إسمك القدوس. آمين[1].

ـ ٣ ـ

أشكر صلاحك أيها الآب محب البشر لأنك لم تشأ هلاكى. بل أيقظتنى من غفلتى وهديتنى إلى طريقك. ورددتنى من وادى الهلاك إلى حمى حصنك الأمين. فإملأنى بالرجاء والإيمان. أقبلت إليك يارب كالمريض إلى الطبيب الشافى. وكالمفتقر الجائع إلى الغذاء المشبع وكالعطشان إلى ينابيع المياه الحية. وكالفقير إلى مصدر الغنى وكالخاطىء إلى المخلص، وكالمائت إلى ينبوع الحياة لأنك خلاصى وطبيبى وحياتى وقوتى وتعزيتى وسعادتى وفيك راحتى. فأعنى واحفظنى وسيج حولى. وعلمنى أن أضع بين يديك كل إرادتى. لأسير حسب ما تشاء.

(١) من صلوات الأجبية طبعة مكتبة المحبة بالقاهرة سنة ١٩٧٢.

أعن ضعفى كى أثبت وأدوم لك إلى النهاية. آمين[1].

ـ ٤ ـ

يارب لا تتأخر على كثيراً لأن وقتى قد دنى وها الحصاد قد وافى والمنجل فى يده مسوئا لقطف حياتى وهى بلا ثمرة فمصيرى إلى الفرز والحريق فلا تتأخر على كثيراً بل تعال أيها الرب يسوع وإسقنى من ماء الحياة لأخرج أثماراً تليق بالتوبة، لقد سمعت عن الفأس التى وضعت على أصل الشجرة الغير مثمرة وكنت أستخف بذلك المقال ولا أرثى لذلك الحال حتى صار هذا القول على، وذاك الحال صار حالى! فيارب تمهل على وأعطنى، فرصة للتوبة لأن مشيئتك أن لا يموت الخاطى بخطيته بل يتوب ويعود إليك.. سمعت بالمداين والمدين وما كنت أظن يوماً أنى سأصير مديوناً حتى بعد الموت.. كان الدين فى حياتى هماً بالليل وذلاً بالنهار فصار بعد مماتى هماً لا يزول وذلاً لا يحول..

كنت أكتم خطاياى خوفاً من الفضيحة يوماً وهرباً من الخجل والعار لحظة ولم أعلم أننى بذلك جعلت فضيحتى أمامى إلى الأبد وخجلى وعارى يلزمنى إلى الدهر. فيارب أعطنى شجاعة لأعترف بذنبى وأقر بخطيتى لأنك أمين وعادل حتى تغفرها لى ولا تذكرها إلى الأبد، ويحى أنا الشقى أطلب المزيد من الحياة وأخاف أن أزيد من جهلى وإتحادى فى خطيتى، ها قد تحيرت ولم يعد فى قوة ولكن أدركنى أنت يارب برحمتك لأنه ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل للذى يعطى.

خلصنى أنت يارب برحمتك ليس من أجل أعمالى لأن أعمالى

(١) من صلوات الأجبية طبعة مكتبة المحبة بالقاهرة سنة ١٩٧٢.

خبيثة ولا من أجل أفكارى لأنها دنسة، فإن كنت تنوى ياسيدى أن تحاججنى فأنا مغلوب لك وأكتب دينونتى بيدى وأقر وأعترف أنى أهلاً للموت.. ولكن أنا أحتمى برحمتك وأهرب منك إليك لا تطلب منى ثمناً لرحمتك لأنه ليس أحد يبيع الصدقة ولا تؤاخذنى على جهلى لأنك عرفت منذ البدء أن قلب الإنسان شرير منذ حداثته وأنه من الطين أخذته فلاتستكثر عليه إذا إرتمى زماناً فى حمأته.. اذكر يارب أنه لا يتزكى أمامك أحد ومن هو مولود المرأة أمامك إنه خاطىء ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض. أليس بالإثم حبلت بى أمى وبالخطايا ولدتنى؟

من يكون طاهر أو حكيم لديك إذا كانت السماء أمامك غير طاهرة وإلى ملائكتك تنسب حماقة؟ وإن خلصت من هو مستحق الخلاص فليس هذا عجباً أو مناسب لسعة رحمتك، بل خلص يارب من هو غير مستحق مثلى!

إن قبلت الصديق وبررته فلا يوافق هذا كثرة تحننك ولكن بالحرى تحنن على الخاطىء المسكين الذى ليس له عون فى ذاته إن رحمتك يارب تسبق طلبتنا وتزيد عن تقديرنا فهوذا المديون طلب مهلة ليرد الدين ولكن من قبل الرحمة فككت دينه. هوذا الإبن الضال قال أرجع لأبى وأقول أخطأت وأطلب منه أن أصير كأحد الخدم فى بيته لأنى أخذت ميراثى وبددته ولكن من قبل الرحمة قبلته وأورثته من جديد أكثر من جميع أخوته. هوذا اللص طلب أن تذكره فى ملكوتك فإذا بك تأخذه معك إلى هناك لا ليتنعم بالذكرى بل ليحيا معك!!

هوذا بطرس بكى إليك لتصفح له عن جحوده فإذا بك تجعله صاحب السلطان لا على الأرض فقط بل وعلى السماء!.. هوذا رحمتك تنسكب

بغزارة على عبيدك الذين بلغوا حد اليأس وقطعوا الأمل من الإعتماد على أنفسهم ورجعوا اليك صارخين أن إرحمنا مجاناً وخلصنا برأفتك ولا تنظر إلى أعمالنا ولا تعاملنا بآثامنا. الآن زمان توبتى فأعطنى يارب قبولاً أمامك بمحبتك.. نعم هبنى حبك ولو أنى غير أهل لهذا الحب وإسمع صلاتى ولو أنى خاطىء واستجب لى برحمتك لأن ليس فى الموتى من يذكرك وليس بعد القبر توبة ولاندامة.

الرب يسمع صوت بكائى الرب يقبل صلاتى. فيخزى جميع أعدائى ويرتدوا عنى عاجلاً هلليلويا [1].

ـ ٥ ـ

يا الله ياسيدى غفرت خطيتى وأنت عالم كل خفى غفلت وأنت مطلع على السراير. أشرفت على قبيح فعلى وشرى. ونظرت إلى سوء أفعالى ولم تعاجلنى بالعقوبة. ولم تهتك سترى عند وقعتى. يارحيم لا يعجل. ياجواد لا يبخل. نظرت فضيحتى وأمهلتنى، وطولت روحك على منتظراً توبتى وقد إنتبهت من هجعتى وبادرت إليك أطلب رحمتك. ثقة منى بوعدك أنك تقبل توبة التائب وأنا أسألك ياسيدى أن ترفعنى من صرعتى وتقيمنى من سقطتى. وتتجاوز عن ذنبى. وتغفر خطيتى وتقبل توبتى لئلا يفتخر العدو أنه قد طرحنى من مرتبتى. يا من يجدد ولا يبخل ويعطى ولا يمنع ياربنا وإلهنا يسوع المسيح أنت قلت فى إنجيلك المقدس. وقولك الحق اليقين. أطلبوا تجدوا إسألوا تعطوا إقرعوا يفتح لكم. وأنا الخاطىء المسكين قد قبلت وعدك بأمانة ووثقت بقولك ووقفت بين يديك أعترف

(١) السبع طلبات ـ دير السريان ـ ١٩٥١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٥.

بخطيتى وأسألك أن لا تخيبنى ولا تقطع رجائى يارب وأسألك أن ترحم ضعفى. وتغفر لى خطيتى ولا تضرب وجهى بصلاتى. ولا تردها خائبة. وإن كنت مجرماً مذنباً ولست أستأهل ما أطلب منك لأنى نجس وسخ، ولكن من أجل كثرة نعمتك ورحمتك ومجيئك لخلاص خليقتك وسلامتهم.إستجب دعائى. وإقبل بكائى، ياسيدى وإلهى ولا تخيب دموعى ولا تؤاخذنى بشرورى، وسماجة أفعالى، وكثرة خطاياى. ولكن كمواعيدك الصادقة وأمانتى بإسمك القدوس. لأنى خليقتك وعمل يديك الطاهرة وأنى على صورتك ومثالك المقدس وأنى من عبيدك الذين خلقتهم بحكمتك لذلك تجاسرت وفتحت فمى النجس، وسألتك هذه، أن تغفر خطيتى وتقبل توبتى فيا من هو كريم. ويا من له القدرة والسلطان العظيم. برأفتك إشفينى أنا الشقى وخلصنى من أجل رحمتك، تعطف على وأبعد عنى ذنوبى التى كثرت وكثرة خطاياى. فإنى مذنب حزين. لا تحول وجهك عنى يارب فى وقت طلبتى. ولا تمنعنى رحمتك فى وقت مسكنتى. يا ملك الملوك لأنك تهوى سلامة العباد. وتحب خلاص الأنفس. أسألك ياسيدى أن تهب لى رجعة حقانية وتوبة مسيحية، وأمانة مستقيمة، وتنجينى فى ساعة الحق من الشياطين المردة، والأعداء الحسداء، وتقربنى إليك بعد خروج نفسى من جسدى ولا تجعل لغيرك على قدرة ولا لسواك على سلطان، لأنك أنت الرب الخالق والسيد المشفق معدن الرحمة وواهب الخلاص ومحب الخير نجينى من سوء الأعداء فإن نفسى مرتعدة منهم، وليس لى خلاص منهم إلابك. من أجل إسمك القدوس ياسيدى إلى دهر الداهرين. آمين[1].

(١) السبع طلبات ـ دير السريان ـ ١٩٥١ ص ١ ـ ٥

ـ ٦ ـ

إستعبدت طبيعتى للخطية فتسلط على الألم إرحم إرحم يارب، إصفح وإغفر، خلصنى يارب من هذه الشرور وأسكب على من خيرك فأنت وحدك القادر على خلاصى إذ قد عرفت أن كثرة رأفتك تغلب غزارةخطاياى، وعلمت أنك إذ قد جئت رحمت الكل ومنحت غفراناً كاملاً للخطية بالمعمودية وأنا معترف أننى قد تمتعت بنعمتك لكننى محتاج أيضاً إلى شفاء من الخطايا التى إقترفتها وإلى تطهير من دنسى وأفكارى وأنت يامن أقمت الموتى ما يصعب عليك شفائى يامن وهبت النور للأعمى الكفيف منذ ولادته أنر قلبى وعقلى لأنظر العجائب التى فى ناموسك. أنت خلصت آدم من فم الحية خلصنى من فم الأسد فهو يجول حولى يريد إبتلاعى إن شئت يارب أطهر فطهرنى حسب مشيئتك.. أنا أعلم حقاً أننى قد تزايدت فى الخطايا لكنها ما تغلب حنانك أو تكثر على صلاحك.. أنت رحمت المستحقين فمد يدك وإرحمنى أنا الغير مستحق فأنا واثق من رحمتك. إلا أنى متمرغ فى حمأة الخطية أشاء أن أنهض وما أستطيع لأن حمل الخطية قد أثقلنى ما أوثر أن أقوم والأرض تمسكنى أبصر ولكنى كمن يمشى فى ضباب وظلمة كثيفة، أشتهى الخير ولكننى بعيد عنه لذلك أنا محتاج إلى رحمة كثيرة. إنى أشاءُ أيها المسيح مخلصى أن أقر قدامك وأصف بحضرة مجدك كافة المرارة التى أحيا فيها وغصة الألم التى جففت حلقى وخبث نيتى وأذكر أيضاً كل الحلاوة التى صنعتها أنت معى منذ خرجت من أحشاء أمى وأنا صرت مغيظاً جاحداً خيرك ونعمتك. لا نشاط لى فى الخير ولكنك أيها السيد أعرضت عن كل هذه الشرور وتجاوزت عن كل آثامى وسكبت على رأفاتك يا إبن الله فإرتفعت رأسى بنعمتك وإذ كنت ذليلاً من كثرة خطاياى إجتذبتنى نعمتك إلى الحياة. قيدتنى العادة بقيود لا تنفك وأنا أفرح

وألتذ بذلك إذ أغوص إلى العمق والعدو فى كل وقت يجدد قيودى لأنه رآنى مسروراً برباطاتى فالعار والخزى لى لأننى أتقيد بمشيئتى لأنى أقدر أن أسحق القيود فى لحظة واحدة وأصير حراً من كافة الفخاخ المنصوبة لى ولكن ما أشاء أن أتحرك لأنى مضبوط بالإسترخاء متعبد للعادات الردية فهذا هو الهلاك إذ أنى بمشيئتى أنقاد إلى عدوى وأتلذذ بالقيود التى يحبها هو. أقدر على الهروب منها وما أريد وأستطيع أن أمزق كل الرباطات وأستريح منهاوما أشاء. أتنهد فى قلبى وأنوح من أجلها كل يوم وأوجد مربوطاً بالآلام فأنا شقى متوانى ما أحب الصلاح الذى يصلح.

جسمى مشتمل على زى العبادة. ونفسى مقيدة بأفكار غير لائقة. أتورع أمام الناظرين وفى داخلى وحش لا يستأنس. أحلى كلامى للناس وأنا من داخلى مرارة وخبث فماذا ياترى يارب أنا صانع يوم تكشف خطايا القلوب أنا أعلم أنك تعذبنى هناك إذا لم أستعطفك هنا بالدموع لذلك أنت تؤخر عنى سخطك وتنتظر عودتى وتوبتى. لأنك ما تشاء أن يحترق أحد بالنار بل تريد أن الجميع يخلصون ويدخلون الحياة فإذ أثق برأفتك يا إبن الله أسجد لك طالباً فأنظر إلى وأخرج نفسى من سجن المآثم أشرق فى شعاع نورك أنر ذهنى قبل أن أمضى إلى المداينة المرهوبة التى تنتظرنى حيث لا يمكن توبة ولا ينفع حسرة أو ندم فأنا الشقى المنافق إذ أرى نفسى مربوطة هكذا ومضبوطة بالعوايد الردية وما تريد أن تنفك منها أشتهى الإنفصال عن الجسد بجملته لئلا أبقى فأزداد خطية ولكنى أخاف كيف أمضى وأنا مشتعل بالذنوب مجرد من الفضائل فتلقانى النار المؤبدة فالآن أنا تحيرت يارب ووقفت بين الأمرين وما أدرى ماذا أختار لنفسى منهما فقد صرت مثل التاجر المتوانى العاجز الذى يخسر فى كل ساعة رأس المال مع الربح هكذا أنا أخسر الخبرات السمائية بما أفعله من العوايد الردية وأحس فى ذاتى كيف أسرق فى كل

ساعة وأوجد فى الأمور التى أبغضها بغير تحفظ وأتعجب من توبتى التى ما لها أساساً كل أيامى أبنى وأنقض فما لتوبتى المحمودة إبتداء ولا لنيتى المذمومة إنتهاء تعبدت لمشيئة عدوى بإسترخاء وأنا فى كل ساعة نشيط فى تكميل إرادته فمن يعطى لرأسى ماءاً كثيراً ولعينى ينابيع دائمة تفيض عبرات فأبكى كل وقت لديك أيها الأب الرؤوف وأسألك أن ترسل لى نعمتك فتنشلنى من أمواج بحر الخطايا لأن خطاياى قد كثرت وجراحاتى ما تقبل عصائب الشفاء وأقر فى كل وقت أتوب فأتوب باللفظ فقط وبالفعل أنا مبتعد عن التوبة أتذمر إذا أتت الشدائد وأنسى ما كنت فيه من راحة فأنا الشقى أخطىء وأغيظك وإمنحنى كرامة إسمك القدوس ولكن قد وثقت برأفاتك وإمهالك. فأتضرع إليك يارب خلصنى وإعط عبدك سؤال قلبه الذى يسأل من تحننك.

ـ ٧ ـ

أيها العريس المحبوب: أشكرك أنك فتحت باب قلبك أمام حقارتى الآن لأدخل وأتحدث إليك بكل ما يحمله قلبى.

فإذ ينتصف الليل أذكرك مع العذارى اللائى خرجن لإستقبال العريس. ها أنى خرجت من إهتمامات كثيرة ومسئوليات ملحة وصخب كثير وأتيت إليك ومصباحى ليس به زيت.. فأعنى الآن لأصنع توبـة، وأقدم لك دموعاً...

آتيك مع مار بطرس الذى أنكرك وسبك ولعنك... لأعترف لك أن حالتى أسوأ.. لأنى أعترف باللسان وأنكر بالفعل.. فأعمالى تنكر أنى أعرفك حتى ولو عبر لسانى بأحلى الكلمات عن معرفتك... وأسب وألعن وأنى لا أعرفك حينما أحاصر بأفعالى وردود فعلها.. فلتسندنى شفاعتك يامار بطرس

لأصنع توبة أقدم دموع لذلك الذى غسلك بالتمام بل وردك إلى رتبة الرعاية مرة أخرى..

آتيك مع مار توما الذى شك فيك، لأعترف بشكوكى التى تحرمنى صفاء القلب وهدوء المشاعر... أشك فى معاملاتك، ومواعيدك، وأولادك.. أشك فى وجودك، وفى قدرتك، وفى سرعة نجدتى.. أشك فى غفرانك، وفى كهنتك حاملى غفرانك، وقادة عروسك.. أشك وأعترف أننى لا أستريح إلا فى جراحات جنبك. التى تعبر عن حبك الفائق وحنانك الدافق ورجاؤك الصادق.. أضع أفكارى ورأسى وقلبى فى جراحاتك وأناديك ربى وإلهى سامحنى وإصفح عن شكوكى.. ولتكن شفاعة مار توما سنداً لى لأصنع توبة وأقدم لك دموعاً..

آتيك مع مار يوحنا أضع رأسى المثقل على صدرك الحنون وأسمع نبضات حبك على الصليب تنادينى من تيه شهواتى وفساد إنحلالى، وكأن كل دقة أسمعها لقلبك هى بوق يعلن بتكرار أنك تحبنى رغم سقطاتى، بل مستعد أن تضعنى فى داخل قلبك وترفعنى كلؤلؤة تزين تاجك الإلهى، إن قدمت عمرى كله توبة.. فأعنى بشفاعة ماريوحنا حبيبك وحبيب أمك أن أحقق رجاك فى وأصنع توبة وأقدم لك دموعاً.

ياعريس نفسى المشتهى.. أشكرك أنك خلعت إسمك القدوس علىّ أنا النجس... فليتقدس إسمك فى كيانى كله جسداً ونفساً وروحاً.. نعم ليتقدس إسمك فى خلال غربتى الآن كى ألبس الثياب التى تعدنى للدخول إلى عرسك الأبدى ثياب الطهارة التى بدونها لن يعاينك أحد.. ليكن إسمك الذى منحتنى شرف حمله مقدساً لى.. وإذ قد دنست كيانى كله فى الإثم فإننى أذرف الدموع الآن علها تصير حبات بخور يلقى فى جمر لاهوتك

المحب للبشر فتفيح فى كيانى رائحة طهرك وأمام عرشك رائحة رضاك وصفحك...

ياحبيب الخطاة التائبين، إجعلنى فى موضع حبك

يامعين الساقطين المجاهدين، إسكب فىّ طاعة إنجيلك

يابهجة المكرسين الحقيقيين، فرحنى دوماً بذبيحتك فىّ ومذبحك..

ياخلاص المسافرين المعذبين، خلصنى على خير وأهدنى إلى ملكوتك

ياعفة الأبكار البتوليين، إسمعنى من أجل خاطر العذراء أمك وأمى

يارب إرحمنى وإرحم كل من يطلب رحمتك

يارب إسمعنى وإستمع كل صوت إستغاثة يطلب تحننك

يارب باركنى وبارك كل من يطلب بركتك.. آمين[1].

(١) من صلواتى الخاصة.

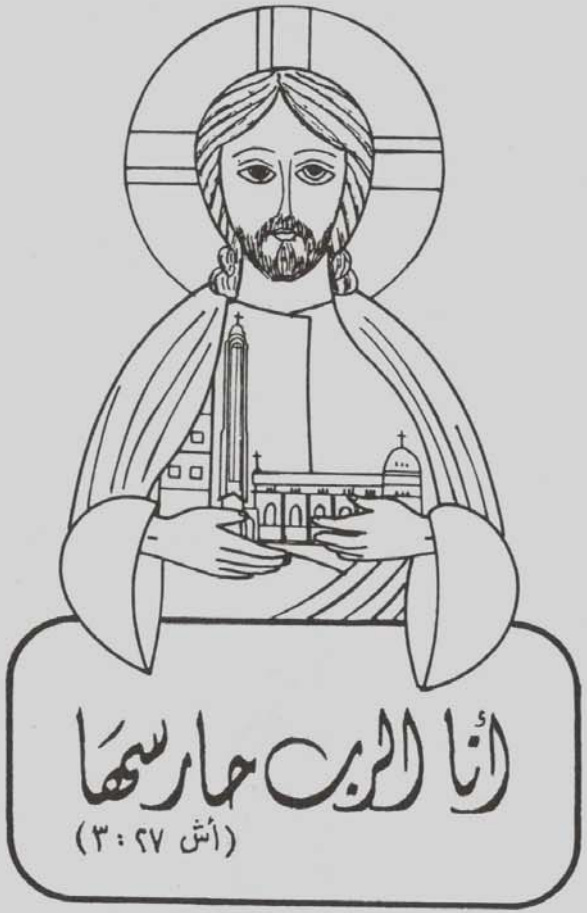

كتب أخرى للمؤلف

(أ) الأسرة

١ ــ كيف يختار الإنسان شريك حياته
٢ ــ كيف يتعامل الخطيبان
٣ ــ أضواء على البيت المسيحى ــ جزء (١)
٤ ــ أضواء على البيت المسيحى ــ جزء (٢)
٥ ــ الأم بين الكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة
٦ ــ الصوم وربة المنزل

(ب) لاهوت روحى :

٧ ــ توبنى يارب فأتوب
٨ ــ الصوم المسيحى ذبيحة حب
٩ ــ علاقتى مع : عدوى ــ صديقى ــ زميلى
١٠ ــ تعزيات
١١ ــ كنيستى
١٢ ــ خواطر القيامة
١٣ ــ الرهبنة
١٤ ــ التكريس
١٥ ــ حول سر الإعتراف
١٦ ــ ما هى حياتكم
١٧ ــ يوميات تائب ــ جزء (١)
١٨ ــ يوميات تائب ــ جزء (٢)
١٩ ــ رحلة مع الزمن ــ مقال ميلادى
٢٠ ــ هل يمكن لقافلة أن تسير بدون نبح كلاب ــ مقال ميلادى
٢١ ــ الشهوة والشهية
٢٢ ــ صلاة داود الأخيرة
٢٣ ــ المشورة
٢٤ ــ سلامتك أيام الامتحانات
٢٥ ــ رسالة كاهن الى راهب عن البتولية
٢٦ ــ لماذا أنا مسيحى ؟
٢٧ ــ إسندنى يارب فى تجارى
٢٨ ــ كارز الحب
٢٩ ــ جاء ليخلص
٣٠ ــ الكاهن القبطى
٣١ ــ النجاح
٣٢ ــ من أقوال الآباء فى التواضع

(جـ) مريميات :

٣٣ ــ العذراء فى اللاهوت العقيدى
٣٤ ــ العذراء فى اللاهوت الروحى
٣٥ ــ العذراء فى التاريخ الكنسى
٣٦ ــ العذراء فى الطقس الكنسى
٣٧ ــ العذراء فى أقوال الآباء
٣٨ ــ سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم
٣٩ ــ التطويب الأرثوذكسى للعذراء بلغات (قبطى/قبطى ــ قبطى/عربى ــ قبطى/انجليزى ــ انجليزى/عربى)

(د) الكتاب المقدس :

٤٠ ــ الكارز العظيم ماربولس الرسول
٤١ ــ الأعياد فى الكتاب المقدس

٤٢ ــ تأملات فى سفر يونان النبى
٤٣ ــ يسوع فى خيمة الإجتماع
٤٤ ــ مقدمه للدراسة إنجيل مارمرقس
٤٥ ــ محاضرات من سفر نشيد الأناشيد
٤٦ ــ محاضرات فى رسالة يعقوب
٤٧ ــ دراسة فى سفر طوبيا
٤٨ ــ دراسة فى سفر يهوديت
٤٩ ــ دراسة فى سفر المزامير
٥٠ ــ دراسة فى سفر أشعياء
٥١ ــ دراسة فى سفر دانيال
٥٢ ــ دراسة فى سفر أستير
٥٣ ــ دراسة فى سفرى صموئيل الأول والثانى
٥٤ ــ دراسة فى سفر يشوع بن سيراخ
٥٥ ــ دراسة حول نبوة باروخ
٥٦ ــ دراسة حول سفر الحكمة
٥٧ ــ دراسة حول سفرى مكابين الأول والثانى

ايضاح الكلمات والعبارات الغامضة فى :

٥٨ ــ سفر التكوين
٥٩ ــ سفر الخروج
٦٠ ــ أسفار لاويين ــ حبقوق ــ صفنيا
٦١ ــ أسفار التثنية ــ يهوديت ــ باروخ ــ الأمثال والرسالة إلى العبرانيين ويهوذا
٦٢ ــ سفر أرميا ومراثى أرميا ــ يوئيل ــ عوبديا
٦٣ ــ سفر القضاه والرسالتين إلى أفسس وفيلبى
٦٤ ــ سفر راعوث والرسالتين الى كورنثوس
٦٥ ــ أسفار نشيد الأناشيد ــ ناحوم ــ الحكمة

(هـ) للخدام وإعداد الخدام :

٦٦ ــ سلامة أخوتى الخدام
٦٧ ــ العمل الفردى
٦٨ ــ صيد السمك وصيد الناس
٦٩ ــ كيف تحضر درس مدارس التربية الكنسية
٧٠ ــ محاضرات مسطة عن لاهوت السيد المسيح
٧١ ــ مذكرات مختصرة لمحاضرة فى أوشية الراقدين
٧٢ ــ الخدمة عمل الله
٧٣ ــ الخدمة جندية روحية
٧٤ ــ ملف القانون الكنسى

واكتب أعمالى تبعاً لأقوالك
(القداس الاغريغورى)

فهرس

☐ مقدمة ـ يا إلهى رد نفسى ٧
☐ **سمات للإنسان التائب:** ١٣
▲ مراحل للخطية يفطن إليها التائب ١٤

أولاً : الإنسان التائب ينفر من الخطية ١٦
▲ حساسية التائب للخطية ١٨
▲ كراهية التائب للخطية ٢٠

ثانياً: الإنسان التائب لا يخجل من الإقرار بالخطية ٢٤
لمن يقر التائب بخطاياه؟ ٣١
١ ـ لله: لأن الخطية إهانة مباشرة لحبه ٣١
٢ ـ للكنيسة : لأن الخطية تعطيل لعمل الروح القدس فيها ٣٤
ما معنى إعترفوا بعضكم لبعض بالزلات؟ ٣٨
أب الإعتراف ٤٠
المرشد الروحى ٥٥
٣ ـ لمن أخطأ التائب فى حقه ٥٦

ثالثاً: الإنسان التائب يستعمل أسلحه النصرة ضد الخطية ٦٣
▲ طبيعة صراع التائب مع الشيطان ٦٣
▲ سلاح الله الكامل ٦٨
١ ـ سر القربان المقدس ٧٠
٢ ـ سر الصلاة ٧٢
٣ ـ سيف الروح ٧٦
٤ ـ منطقة الحق ٧٩
٥ ـ حذاء الإستعداد ٨٤
٦ ـ ترس الإيمان ٨٨
٧ ـ خوذة رجاء الخلاص ٩٠
▲ ليس لى سلاح منها ٩٣
❑ استفسارات حول الإعتراف ٩٥
❑ ما جاء بالإنجيل بحسب ما كتبه مار لوقا حول أمثال السيد المسيح عن التوبة ١١٥
❑ التوبة فى الطقس الكنسى ١٤٩
▲ الأب الكاهن فى طقس التوبة ١٥١
▲ طقس سر الإعتراف ١٥٤
▲ أوشية الجاحد ١٧٤

❑ **ملاحـــق**: مرشد لمحاسبة النفس ١٨٦
قديسون تائبون ١٩٨
صلوات تناسب التائبين المبتدئين ٢٠٩
❑ كتب أخرى للمؤلف ٢٢١

على هذا الصدر

أضع رأسى أنا الخاطئ بكل أثقالها ...

ألمس عمق محبتك لى فى عمق سقوطى.

ألمس أبوتك فى ضلالى ..

ألمس غفرانك الماحى لى الكل

فأهتف أناديك:

يا حبيب الخطاة التائبين.. اجعلنى فى موضع حبك..

يا معين الساقطين المجاهدين.. اسكب فى طاعة انجيلك..

يا بهجة المكرسين الحقيقيين.. فرحنى دوماً بذبيحتك فىَّ ومذبحك..

يا خلاص المسافرين المعذبين.. اسمعنى أنا الغريب فى هذا العالم.

يا رب ارحمنى وارحم كل من يطلب رحمتك.

يا رب اسمعنى واستمع كل صوت استغاثة يطلب تحننك.

يا رب باركنى وبارك كل من يطلب بركتك.

بشفاعة العذراء مريم أمك وأمى.. آمين.